التاريخ

المناهج الدراسية السودانية

المرحلة الثانوية

الصف الثالث

+971544600874
info@ebttikarworld

أفضل موقع لخدمات طلاب الشهادة السودانية
www.ebtikarworld.com

جمهورية السودان
وزارة التعليم العام
المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
بخت الرضا

وزارة التعليم العام

التعليم الثانوي

التاريخ

الصف الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التعليم العام

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بخت الرضا

التعليم الثانوي

التـــــاريخ

الصف الثالث

إعداد لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

من الأساتذة :

الأستاذ/ أحمد عبدالكريم أحمد - المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

أ .د . عمر حاج الزاكي - جامعة أم درمان الإسلامية

أ .د . حسن محمد صالح - جامعة الخرطوم

د .الفاتح الشيخ يوسف - جامعة الجزيرة

الأستاذ/عبدالرحيم إمام - وزارة التربية والتعليم

تنقيح وتطوير لجنة برامج التاريخ المكلفة من المركز والمكونة من :

د . محمد سعد محمد سالم - جامعة الخرطوم رئيساً

أ .د . عمر حاج الزاكي - جامعة أم درمان الإسلامية عضواً

أ . أحمد عبدالكريم أحمد - خبير تربوي عضواً

د . فدوى عبدالرحمن علي طه - جامعة الخرطوم عضواً

أ .عبدالرحيم إمام محمد- المركز القومي للمناهج عضواً

أ . معاوية السر قشي - المركز القومي للمناهج مقرراً

التصميم والإخراج الفني :

أ . الرفاعي عبدالله عبدالمهيل

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

الجمع بالحاسوب :

أ . الرفاعي عبدالله عبدالمهيل

حمدالنيل يوسف عبدالله الشيخ

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

الطبعة المنقحة ٢٠٠٩م

ISBN 978-99942-53-1-2 ردمك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــــة

أبناؤنا وبناتنا الطلاب :

يسرنا أن نقدم لكم الطبعة الجديدة المطورة والمنقحة من كتابكم التاريخ للصف الثالث الثانوي،وهي الحلقة الأخيرة من مقرر التاريخ للتعليم الثانوي.وقد جرى تطوير شامل لهذا المقرر من حيث تنظيمه وتبويبه ومحتواه وتصميمه التعليمي والفني. وقد جهدنا فيه أن نواكب أحدث ما توصلت إليه تقنيات الكتاب المدرسي. وذلك لتحقيق أقصى قدر من الفائدة ، ولتسهيل عملية التحصيل. وقد كان مرشدنا في ذلك ملاحظاتكم ومقترحات ورؤى أساتذتكم ، ونأمل أن نكون قد أرضينا بعضا من طموحكم وطموحهم.

شمل هذا الجهد، الذي اشترك فيه عدد من علمائنا في اللجنة الاستشارية لقسم التاريخ، تطويرا متكاملا لمنهج التاريخ للتعليم الثانوي لذا ستصدر تباعا مراشد المعلمين للكتب الثلاثة ،كما سيصدر الأطلس التاريخي للتعليم الثانوي ، ونأمل أن يثمر ذلك تحسينا لوضع المادة،ورفعا لمستوى تحصيلها. هذا في ظل اهتمام عالمي بمادة التاريخ ودورها التربوي.

يحتوي مقرر التاريخ للصف الثالث الثانوي المطور على أربع وحدات تتناول الموضوعات التالية:

الثورة والدولة المهدية.
الحكم الثنائي والحركة الوطنية.
دولة الخلافة العثمانية والأطماع الاستعمارية.

حركات التحرر العربية .

كما زود المقرر بمجموعة من الأسئلة المتنوعة والتدريبات والأنشطة التي نأمل أن تبذلوا جهدكم في أدائها ومناقشتها،تعميقا لفهمكم وتحصيلكم للمادة.

والله نسأله التوفيق والسداد

معاوية السر قشي

مقرر اللجنة الاستشارية

رئيس قسم التاريخ بالمركز القومي للمناهج

(بخت الرضا)

ديسمبر٢٠٠٩م

محتويات الكتاب

رقم	المحتـــــــــــــــــوى	الصفحة
١	**المقدمة**	أ ، ب
٢	**الوحدة الأولـــــــــــــــى:**	
	الثورة والدولة المهدية	
	في السودان ١٨٨١-١٨٩٩م	١
•	**الاهداف**	٢
•	درس مراجعة السودان خلال العهد التركي – المصري	
	١٨٢١ – ١٨٨٥م	٣
•	الدرس الأول : الثورة المهدية ١٨٨١ -١٨٨٥	٦
•	الدرس الثاني : اسباب قيام ونجاح الثورة المهدية	١١
•	الدرس الثالث : وقائع الثورة المهدية من أبا حتى	
	تحرير الخرطوم ١٨٨١-١٨٨٥	١٤
•	الدرس الرابع : تحرير المهدي للأبيض ١٨٨٢م	١٩
•	الدرس الخامس :حملة هكس باشا – نوفمبر ١٨٨٣م ...	٢١
•	الدرس السادس : الثورة المهدية في شرق السودان	٢٦
•	الدرس السابع : تحرير الخرطوم	٢٨
•	الدرس الثامن : الأسس والمرتكزات الفكرية للثورة	
	المهدية.....	٣٣
•	الدرس التاسع : عهد الخليفة عبدالله (١٨٨٥ -١٨٩٨)	
•	الدرس العاشر : سياسة دولة المهدية الخارجية	٤٠
•	الدرس الحادي عشر: نظام الحكم والإدارة في الدولة	
	المهدية	٤٩

٣ الوحدة الثـــــــــــانية:
الحكم الثنائي والحركة الوطنية
في السودان ٥٦
• الأهداف ٥٧
• الدرس الأول : اتفاقية الحكم الثنائي ٥٨
• الدرس الثاني : نظم الحكم والإدارة في فترة الحكم الثنائي ٦١
• الدرس الثالث : السياسة البريطانية في جنوب السودان
١٨٩٩-١٩٥٥م ٦٩
• الدرس الرابع : تطور المؤسسات الدستورية في فترة الحكم
الثنائي ٧٤
• الدرس الخامس : التطورات الاقتصادية والاجتماعية
في فترة الحكم الثنائي..... ٧٨
• الدرس السادس : الحركة الوطنية السودانية ١٨٩٩-١٩٥٣م
المرحلة الأولى ١٨٩٩-١٩١٧م..... ٨٥
• الدرس السابع: المرحلة الثانية في تاريخ الحركة الوطنية
١٩١٨ -١٩٢١م ٩٠
• الدرس الثامن : المرحلة الثالثة في تاريخ الحركة الوطنية
١٩٢٥ -١٩٣٧م ٩٧
• الدرس التاسع : المرحلة الرابعة في تاريخ الحركة الوطنية
١٩٣٨ -١٩٤٥م ١٠٠
• الدرس العاشر: المرحلة الخامسة في تاريخ الحركة الوطنية
١٩٤٥ -١٩٥٣م ١٠٥

٤ الوحدة الثـــــــــــالثة :
دولة الخلافة العثمانية والأطماع
الإستعمارية في العالم العربي: ١١٣
• الأهداف..... ١١٤

- الدرس الأول : نشأة الدولة العثمانية ١١٥
- الدرس الثاني : الدولة العثمانية في عهد محمد الثاني (الفاتح)..... ١٢٨
- الدرس الثالث : التوسع في ايران والبلاد العربية ١٣٠
- الدرس الرابع : نظم الحكم في الدولة العثمانية ١٤٠
- الدرس الخامس : تدهور دولة الخلافة العثمانية وانهيارها.. ١٤٩
- الدرس السادس : الغاء الخلافة وظهور دولة تركيا العلمانية ١٥٣
- الدرس السابع : حركات الاصلاح في العالم الاسلامي ١٥٧

٥ **الوحدة الرابعـــــــــــــــة :**

حركات التحرر العربية:..... ١٨٤

- **الأهداف .** ١٨٦
- الدرس الأول : خضوع الأقطار العربية للاستعمار الأوربي ١٩٢٠-١٩٤٥م ١٨٧
- الدرس الثاني : السمات العامة لحركات التحرر العربية ١٩٢
- الدرس الثالث : حركات التحرر المصرية ١٩٥
- الدرس الرابع : حركات التحرر العراقية ٢٠٠
- الدرس الخامس : التطورات السياسية في المملكة العربية السعودية والحجاز ٢٠٥
- الدرس السادس : سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ٢٠٩
- الدرس السابع : الحركة الاستقلالية في المغرب العربي ٢١٦
- الدرس الثامن : فلسطين عبر التاريخ ٢٢٢
- الدرس التاسع : الحركة الصهيونية وتطورها ٢٢٦
- الدرس العاشر : الانتداب البريطاني على فلسطين ٢٣١
- الدرس الحادي عشر : ثورة عرب فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩)..... ٢٣٥
- الدرس الثاني عشر : حرب ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل ٢٤٥

٦ **ملاحق الكتاب** .....

الوحدة الأولى :

الثورة والدولة المهدية في السودان ١٨٨١ – ١٨٩٩م

الأهـــداف :

يتوقع من الطالب بعد نهاية هذه الوحدة أن :

١. يميز بين مرحلتي الثورة والدولة في المهدية .
٢. يتعرف شخصية قائد الثورة والعوامل المؤثرة فيها .
٣. يحدد أسباب قيام الثورة وعوامل نجاحها .
٤. يتعرف وقائع الثورة من أبا حتى تحرير الخرطوم .
٥. يتعرف نظام الحكم والإدارة في الدولة .
٦. يحلل الأسس والمرتكزات الفكرية الرئيسة للمهدية .
٧. يتعرف مبادئ ومجريات السياسة الخارجية لدولة المهدية .
٨. يقرأ ويحلل بعض وثائق المهدية .
٩. يقدر بطولات وتضحيات السودانيين خلال هذه الفترة .
١٠. يرسم تفصيلياً خريطة السودان خلال هذه الفترة .

درس مراجعة

السودان خلال العهد التركي – المصري ١٨٢١ – ١٨٨٥م

من خلال دراستك لهذا الموضوع في الصف الثاني تعرفت على الغزو والحكم التركي المصري للسودان . والآن نريد منك الإجابة عن بعض الأسئلة المتصلة بهذا الموضوع :

١. ما الفرق بين الغزو والفتح ؟ وأيهما يصح أن نطلق على التحرك العسكري التركي – المصري في السودان عام ١٨٢١م .

٢. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة التي تمثل حقيقة تاريخية ، وكلمة (خطأ) أمام التي لا تمثل حقيقة فيما يلي :

أ. الدافع الرئيس للغزو التركي – المصري استغلال موارد السودان البشرية والمادية. ( )

ب. اهتم والي مصر محمد على باشا بنشر الحضارة والمدنية في السودان ( )

ج. كانت الضرائب الباهظة والطريقة القاسية في جمعها أهم مساوئ الحكم التركي – المصري . ( )

د. ضمت بحر الغزال ودارفور للسودان بفضل جهود القائد السوداني الزبير ود رحمة . ( )

٣. أرسم دائرة حول رقم الخيار الأصح فيما يلي :

أ. انتصرت جيوش الغزو على السودانيين بسهولة بسبب :

١. عجزهم عن المقاومة .

٢. السلاح الناري .

٣. رغبة أهل البلاد في الحكم المصري .

٤. الخضوع لخليفة المسلمين .

ب. فشلت تجارب الحكم اللامركزي في السودان خلال العهد التركي – المصري بسبب :

١. اتساع البلاد .

٢. تخلف وسائل المواصلات .

٣. عدم التعاون والتنسيق بين المديرين .

٤. كل ما ذكر صحيح .

٤. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة :

أ. أول مواجهة لحملة إسماعيل باشا كانت في معركة .....

ب. نقل عثمان بك جركس عاصمة الدولة من ..... إلى الخرطوم.

ج. أهم حركات المقاومة التي قام بها الجهادية السود ثورة .... عام ١٨٦٥م .

٥. رتب المعطيات التالية مع ما يناسبها في القائمة أدناه :

الملك نمر / قبلي السودان / غردون باشا / لائحة تنظيم الإدارة / سعيد باشا / مدرسة الخرطوم .

القائمة	الإجابة
١. عباس باشا	
٢. تجارة الرقيق	
٣. حرق إسماعيل باشا	
٤. رفاعة الطهطاوي	
٥. زيارة السودان ١٨٥٦م	
٦. ممتاز باشا	

٦. ارسم خريطة تفصيلية للسودان في العهد التركي – المصري موضحاً فيها الحدود ، المديريات ، المدن ، المعارك .

٧. الآن ناقش الموضوعات التالية مع زملائك :

أ. حملات الدفتردار الانتقامية .

ب. إدارة السودان في عهد الخديوي إسماعيل .

ج. التعليم في العهد التركي – المصري .

- اكتب مقالات تاريخية حول هذه الموضوعات .

صورة رقم (١) الخديوي اسماعيل .

الدرس الأول :

الثورة والدولة المهدية
١٨٨١م – ١٨٩٨م

تهدف الثورة إلى التحول السريع من حال إلى حال أفضل وقد تحدث الثورة في مجال الصناعة وتعرف بالثورة الصناعية أو في مجال الزراعة وتعرف بالثورة الزراعية وكذلك الحال بالنسبة لنظم التعليم والدساتير وغير ذلك ، ولكن حينما يتعلق أمر الثورة بنظام حكم قائم وإزالته ،فالثورة تعني اللجوء للقوة لأحداث التغيير المنشود . وبهذا المفهوم أستحق الجهاد والنضال العنيف الذي قاده محمد أحمد بن عبد الله (المهدي) وأنصاره ضد الحكم التركي – المصري الذي كان جاثماً على البلاد منذ عام ١٨٢١م استحق ذلك الجهاد اسم الثورة. والثورات عادة تقع وتنجح إذا توفرت لها أربعة عوامل، هي:

١. وقوع الظلم .
٢. الإحساس بذلك الظلم ورفضه .
٣. ضعف يظهر في قوة الظالم يغري بالتمرد عليه .
٤. ظهور قائد يلتف حوله المظلومون .

وقد تجمعت كل هذه العوامل في واقع السودان عام ١٨٨١م حينما اندلعت الثورة المهدية لتبلغ قمة نجاحها باجتياح الخرطوم وتحريرها في يناير ١٨٨٥م أما صفة المهدية التي ألحقت بتلك الثورة فتعود إلى عقيدة كانت رائجة في العالم الإسلامي تقول بظهور المهدي المنتظر الذي يقود حركة إصلاح ديني تملأ الأرض عدلاً بعد أن تكون قد امتلأت جوراً وظلماً . وكان ذلك حال السودان حينما أعلن محمد أحمد بن عبد الله أنه المهدي المنتظر ، فصدقه الناس وآمنوا به لما تحلى به من صفات الصلاح والاستقامة والعزيمة الصادقة ، فقادهم من نصر إلى نصر إلى أن حرر البلاد . ولم يكن هدف المهدي تحرير السودان وحسب وإنما إكمال رسالته التي آمن بها وبخاصة في العالم الإسلامي ولكن المنية وافته بعد فتح الخرطوم بقليل وبقي على خليفته إدارة الدولة من بعده وإكمال رسالة المهدية وظل الخليفة قائماً على ذلك حتى استشهاده في عام ١٨٩٩م .

فمن هو محمد أحمد هذا القائد الذي لولاه ما قامت ولا نجحت تلك الثورة ؟

نشأة محمد أحمد المهدي :

ولد محمد أحمد بن عبد الله بن فحل في جزيرة لبب في منطقة دنقلا عام ١٨٤٣م ، وتنتسب أسرته إلى الأشراف ، وهي أسرة ذات شهرة دينية . وقد اشتهرت بضاعة المراكب والسواقي ، فبرع والده في هذه المهنة التي ازدهرت إبان الحكم التركي – المصري في السودان . وعندما شحت الأخشاب في منطقة دنقلا ، رحل والده إلى كرر شمال الخرطوم حيث واصل مهنته . ولم تطل إقامته فيها ، إذ سرعان ما عاجلته المنية ، وبعد حين لحقت به زوجته . شب محمد أحمد يتيماً وأظهر – في وقت مبكر – عزوفه عن مهنة الأسرة ، ومال للعلم ، فدخل خلوة كرري ثم خلوة الخرطوم وانتقل منها إلى قرية كترانج في الجزيرة فتتلمذ على الشيخ الأمين الصويلح ، ووجد عنده مناخاً للدراسة أرحب .

ترامت إلى مسامعه بعد ذلك شهرة خلاوي الغبش بالقرب من بربر، فهاجر إليها وتتلمذ على شيخها محمد الخير عبد الله ، فنهل من علوم التوحيد والفقه ومبادئ التصوف ، فكان يمضي نهاره في حلقات الدرس والعلم ، وليله في التهجد ، فظهرت عليه علامات الصلاح والتقوى ، ومالت نفسه إلى الزهد والتقشف ، فرفض الأكل من جرايات الخلوة المشتبه في أمرها ، لأنها كانت مدعومة من الحكومة بالذرة والمال . علم الشيخ بأمر محمد أحمد ، وسره سلوكه ، فخصص له طعاماً من محصول سواقيه الخاصة .

وبعد أن نهل من علوم خلوة الغبش ، فكر في الرحيل إلى مكان آخر عسى أن يجد فيه سعة من العلوم الدينية ، ومزيداً من التصوف . فرأى أن الحقيقة لا تنقلها الكتب وحدها إذ لا بد من أخذ الطريقة على شيخ مشهور، فنمى إلى علمه شهرة خلوة أم مرحي بقرية الشيخ الطيب– شمال الخرطوم فقصدها ، وتتلمذ على شيخها محمد شريف نور الدائم ، حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير ، مؤسس الطريقة السمانية في السودان، فأنكب على أذكارها وأورادها ، وفني في خدمتها سبع سنوات . وكلما تفقد الشيخ حيرانه بالليل ، لم

يجد محمد أحمد نائماً مثلهم ، بل يجده منكباً على العبادة والتهجد . فلفت نظر شيخه الذي اطمأن إلى إخلاصه وتجرده للطريقة فمنحه إجازتها ، وأذن له بالذهاب إلى أي منطقة يريدها ليعلم القرآن الكريم ، ويبشر بالطريقة السمانية نيابة عنه وكتب فيه شعراً مدحه به .

كم صـــام كم صلى ، وكم قام كم تلا
من الله مـــــــا زالت مدامعه تجري
وكم بوضوء الليل كـــــبر للضحى
وكم ختم القـــــــــرآن في سنة الوتر
اقام لدينا خـادماً كل خـــــــــدمة
تعز على أهل التواضع في الســــــبر
كطحن وعوس واحتطـــــاب وغيرها
ويعطي عطاء من لا يخاف من الفقر

صورة رقم (٢) : الإمام المهدي

توجه محمد أحمد بعد حصوله على الإجازة نحو الخرطوم ، وتزوج ابنة عم له ، وحاول بادئ الأمر أن يكسب رزقه من عمل يده ، فعمل بالتجارة ولكنها تناقضت مع ميوله وما يؤمن به ، فهجرها للعمل بالاحتطاب وواجه

فيه ما واجهه في التجارة ، فتركها ولحق بإخوانه في الجزيرة أبا على النيل الأبيض ، وكانوا قد رحلوا إليها سنة ١٨٧١م ، لنفس الأسباب التي انتقلت بها الأسرة من دنقلا سابقاً .

بدأ محمد أحمد في بناء خلوة لتعليم الحيران القرآن الكريم وعلومه ، كما بنى مسجداً لصلاة الجماعة ، فهرع إليه التلاميذ من أبا والقرى المجاورة لها ، وانخرطوا في خلوته . وسرعان ما لمع اسمه في منطقة النيل الأبيض ، وساعده موقع الجزيرة أبا الاستراتيجي كثيراً على ازدياد شهرته .

ظل محمد أحمد يتردد على شيخه محمد شريف في المناسبات ، وقيل أنه زين لشيخه منطقة النيل الأبيض ، وسعة الرزق فيها ، فأقام شيخه خلوة في العراديب بين الكوة وأبا ، إلا أن شهرة محمد أحمد تجاوزت شهرة شيخه بشكل واضح في تلك المنطقة . غير أن خلافاً حدث بين محمد أحمد وشيخه دفع الشيخ محمد شريف إلى طرد محمد أحمد من سلك الطريقة السمانية .

لقد حزن محمد أحمد حزناً شديداً لما حدث ، لأن الطريقة السمانية أصبحت تجري في دمه ، وله أتباع وأحباب أخذوا الطريقة على يديه ، لذا حز في نفسه فراقها ، فمال للعزلة والخلوة والتأمل ، وأخيراً هداه تفكيره إلى أخذ إجازة الطريقة السمانية على يد الشيخ القرشي ود الزين ، الذي كان على رأس أحد فروع الطريقة السمانية في السودان ، والأخير أخذ إجازتها من الشيخ أحمد الطيب البشير رأساً .

تنفس محمد أحمد الصعداء بعد أن أعاده الشيخ القرشي ود الزين إلى حظيرة السمانية مرة ثانية ، فباشر نشاطه التعليمي في خلوته ومسجده بجد ومثابرة ، حتى توفي شيخه القرشي ود الزين في طيبة . فقرر أن يبني قبة على قبر شيخه تخليداً لذكراه وحفظاً للجميل الذي أسداه له بإعادته إلى سلك الطريقة .

وبينما كان محمد أحمد منهمكاً مع حيرانه في بناء قبة شيخه ، قدم عليه رجل عليه علامات الإعياء والتعب من طول السفر ، يسمى عبد الله إبن السيد محمد فتعرف على محمد أحمد ولازمه وقد ورد أنهما تكاشفا في أمر المهدي .

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

أ. ولد محمد أحمد بن عبد الله في جزيرة لبب عام ١٩٤٣ ( )

ب. تنتمي أسرة محمد أحمد لقبيلة الدناقلة . ( )

ج. كانت أسرة محمد أحمد تحترف الزراعة . ( )

٢. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة :

أ. التحق محمد أحمد بخلوة كرري ثم الخرطوم ومنها انتقل إلى قرية ..... بالجزيرة .

ب. هاجر محمد أحمد إلى خلاوي الغبش حيث تتلمذ على يد الشيخ ....

ج. انتمى محمد أحمد إلى الطريقة السمانية في قرية أم مرحي بواسطة الشيخ ..... .

د. أثناء بنائه لقبة شيخه القرشي ود الزين التقى محمد أحمد بـ .... الذي آمن به ولازمه بعد ذلك .

٣. عرف الآتي :

أ. المفهوم العام للثورة .

ب. المفهوم الخاص للثورة .

٤. العوامل التي تؤدي لنجاح الثورة .

الدرس الثاني :

أسباب قيام ونجاح الثورة المهدية

أسباب قيام الثورة :

اختلف المؤرخون حول الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة المهدية سنة ١٨٨١م ،ويعزى ذلك لاختلاف أفكارهم ، ودوافعهم ، ووجهات نظرهم ، ويمكن إيجازها فيما يلي :

(١) العامل الديني :

نعلم ضغوط الدول الأوربية وهجمتها الشرسة على العالم الإسلامي والتي انتهت بوقوع معظم الدول الإسلامية تحت سيطرة وقبضة المستعمر الأوربي مما أدى إلى ظهور الحركات الإسلامية والوطنية لطرد المستعمر من ديار الإسلام . فالسودان لم يكن بمعزل عما يدور في ساحة العالم الإسلامي آنذاك فخرج من صلبه محمد أحمد المهدي الذي تربى تربية إسلامية حقيقية دفعت به لإعلان ثورة دينية لإقامة دولة إسلامية على غرار دولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة . إذن تعد شخصية المهدي الدينية هي المحرك الأساسي للثورة ضد النفوذ الأوربي .

ولقد أفصح المهدي عن سبب ثورته في منشوراته وخطاباته ، بأنه يريد تحرير العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع ، ويريد إقامة دولة إسلامية تعيد مجد الإسلام الأول .

(٢) فداحة الضرائب :

الضرائب التي فرضها الحكم التركي – المصري منذ احتلال سنار ، لم تكن مألوفة لأهل السودان من قبل ، فقد اعتادوا دفع الزكاة عن طواعية في عهد السلطنات الإسلامية . ولكن الضرائب جاءت ثقيلة ولم يتقبلها الأهالي، وسرعان ما ثاروا ضدها هذا فضلاً عن أن العملة التي تجبي بها ، لم تكن متوافرة آنذاك، وقد فرضت نقداً بادئ الأمر ، مما أرهق كاهل الأهالي . أما جبايتها ، فقد كانت مصحوبة بقدر كبير من القسوة والفظاظة والإذلال ، فعذب الباشبوزق الأهالي وأجبرهم ذلك على الفرار من ويلاتها إلى أطراف البلاد . كل ذلك جعل أهل

السودان يكرهون الحكم الجديد ، ويسعون إلى إزالته.

(٣) سياسة العنف :

لازم العنف الحكم التركي – المصري في السودان ، بدءاً بالسياسة التي اتبعها إسماعيل بن محمد علي باشا تجاه الملك نمر وأهله الجعليين ، مما دفعهم لشق عصا الطاعة عليه والانتقام لكرامتهم بذلك الحريق المشهور . ثم جاءت حملات الدفتردار الانتقامية امتداداً لتلك السياسة ، فنكل بالجعليين وأعمل فيهم قتلاً وسبياً وإذلالاً ، بل لم تسلم من حملاته الانتقامية بعض القبائل الأخرى . ولما جاء عهد عثمان بك جركس – أول حاكم على السودان سنة ١٨٢٤م واصل السياسة الانتقامية السابقة فاقترن الحكم التركي – المصري في أذهان أهل السودان بالعنف والقسوة والقتل ، فأصبحوا يتحينون الفرص للتخلص منه .

(٤) سياسة فرق تسد :

ومن السياسات التي أظهرت استياءً واضحاً عند الأهالي ، استعانة حكام العهد التركي – المصري في السودان ببعض القبائل دون الأخرى، وتفضيل ومحاباة بعض الطوائف الدينية دون غيرها . فلا غرابة أن هذه السياسة الاستعمارية التي اتبعها الحكم التركي – المصري ، أدت إلى تأليب القبائل والطرق الدينية المبعدة ، وسخطها وتبرمها من النظام ، فسعت جادة لإزالته بشتى الطرق .

(ب) أسباب نجاح الثورة :

(١) ضعف الجهاز الإداري في الحكمدارية ، وتقلبه المستمر بين المركزية واللامركزية الإدارية ، علاوة على تعاقب الحكمداريين على حكم السودان لفترات قصيرة ، فترتب على ذلك ضعف الإدارة في المديريات ، فاستفاد المهدي من ذلك كثيراً ، فسقطت في يده المديرية تلو الأخرى .

(٢) ضعف الحاميات العسكرية في السودان ، ويعزى ذلك لقلة الجنود وإهمال التدريبات العسكرية ، وبدائية الأسلحة ، وهي التي دخل بها الجيش التركي- المصري السودان منذ ١٨٢٠م . كما أن الحاميات كانت موزعة على أماكن نائية وبعيدة مع صعوبة المواصلات ، ووعورة المسالك .

(٣) التطورات السياسية في مصر ، واندلاع الثورة العرابية عام ١٨٨٢م، شغلت الخديوي توفيق كثيراً ، فلم يعر أمر السودان وثورته اهتماماً كبيراً ، فانتهز المهدي هذه السانحة ، وتمكن من القضاء على الحاميات التركية – المصرية في السودان بسهولة ويسر . وعندما فرغ الخديوي من الثورة العرابية ، وجد ثورة المهدية قد استفحل أمرها واستحال القضاء عليها بسهولة .

(٤) إقالة الخديوي إسماعيل بمصر، وما تبع ذلك من فراغ سياسي مماثل في السودان باستقالة الحكمدار غردون. فالخديوي خلفه ابنه توفيق ، وكان ضعيفاً، فأصبح ألعوبة في يد بريطانيا . والحكمدار غردون خلفه محمد رؤوف ، وهو أيضاً شخصية ضعيفة مترددة لذا أصبح الحاكمان في مصر والسودان ضعيفين . استفاد المهدي كثيراً من هذه الظروف في ثورته فتمكن خلال فترة وجيزة من إقامة دولته بعد تحرير عاصمة الحكم التركي – المصري في السودان .

(٥) فهم بريطانيا الخاطئ لطبيعة ثورة المهدي ، مما حجبها عن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ، علاوة على انشغالها بحربها ضد روسيا في بلاد الأفغان ، الأمر الذي ساعد في نجاح الثورة المهدية .

خلاصة القول بعد أن توافرت أسباب قيام الثورة سابقة الذكر جاءت شخصية المهدي الدينية فحركت تلك الأسباب فاندلعت شرارة الثورة في الجزيرة أبا في أغسطس عام ١٨٨١م ، وظلت الثورة تنتقل من نصر إلى نصر آخر . ولم يمضي وقت طويل حتى تم للمهدي تحرير الخرطوم ، والاستيلاء على معظم أراضي السودان .

أسئلة :

١. وضح أثر العامل الديني في قيام الثورة المهدية .
٢. ما أهم مفاسد ومظالم الحكم التركي – المصري التي عانى منها السودانيون ؟
٣. اكتب مقالاً تاريخياً عن عوامل نجاح الثورة المهدية .

الدرس الثالث:

وقائع الثورة المهدية من أبا حتى تحرير الخرطوم ١٨٨١- ١٨٨٥م

دعوة المهدية :

عاد الشيخ محمد أحمد إلى الجزيرة أبا بعد فراغه من بناء قبة شيخه القرشي ود الزين واتجه بتفكيره إلى التخطيط لمقاومة الحكم التركي – المصري الذي ظل جاثماً على صدور أهل السودان ما يربو على الستين عاماً يرهبهم ويفزعهم بسلاحه الناري . وهكذا بدأ الشيخ محمد أحمد يضع خطته الحربية التي يستطيع بمقتضاها أن يبطل فعالية السلاح الناري ، وهذا لا يتأتى له إلا في الأماكن النائية التي تكثر فيها الأشجار والأدغال والجبال ، وأن تكون أيضاً وعرة المسالك .

ومن أجل ذلك خرج الشيخ محمد أحمد وبعض أتباعه في أواخر عام ١٨٨٠م إلى كردفان ، قيما عرُف بالسياحة الأولى ، (الدعوة السرية) ومن خلالها تعرف طبيعة المنطقة التي يود مقاومة الحكومة منها ، اضافة إلى تعرفه أهلها، ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، وشحذ همم الناس للآخرة وتزهيدهم في إقبالهم على الدنيا ، فزار مدن كردفان وجبال النوبة ، وكثف نشاطه الدعوي في مساجدها فعرف أهل كردفان وعرفوه .

عاد الشيخ محمد أحمد إلى كردفان مرة أخرى في مطلع ١٨٨١م ، وقد عرفت بالسياحة الثانية ، (الدعوة الجهرية) فزار الأبيض وجبال النوبة، وواصل نشاطه الديني السابق ، وأسر بدعوة المهدية لبعض زعماء الأبيض ، أمثال إلياس باشا أمبرير ، وأولاد سوار الذهب ، وأولاد العريق ، وآدم أم دبالو ملك تقلي . وبذلك اطمأن الشيخ محمد أحمد على طبيعة أرض المقاومة المرتقبة ، كما اطمأن أيضاً على أهلها ، ثم رجع إلى أبا وشرع في تنفيذ خطة المقاومة ، وقرر الهجرة إلى قدير عقب عيد الفطر المبارك مباشرة ، سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م ، على أن تنطلق شرارة ثورته من هناك .

وطفق الشيخ محمد أحمد في تحرير خطابات إلى أحبابه وبعض رجال الدين الذين يثق فيهم ، يدعوهم لنصرته ، فحثهم على الجهاد ورغبهم فيه ،

وناشدهم الهجرة إليه في قدير في عيد الفطر المبارك ، وتسرب أحد خطاباته، إلى الحكمدار محمد رؤوف .

معركة أبا – أغسطس ١٨٨١م :

لم يعر الحكمدار محمد رؤوف الأمر اهتماماً كبيراً لعدة أسباب منها لم يحدث من قبل أن ثار فقير أو رجل دين وناصب الحكومة العداء لما عرفوا به من الضعف والمسكنة ولو صح ذلك تكون قد انتابته حالة جذب روحي لا يلبث أن يفيق منها بعد قليل ويعود إلى رشده . كما عزاه للعداء بين الشيخ محمد شريف وتلميذه محمد أحمد . وعلى الرغم من تلك المبررات أرسل نائبه (معاون الحكمدار) محمد أبو السعود لمراجعته ، لما له من معرفة لصيقة بإخوة الشيخ محمد أحمد عندما كان وكيلاً لشركة العقاد سابقاً ، وكان بصحبته بعض أعيان الخرطوم وأقارب الشيخ محمد أحمد ، لإنجاح المهمة .

وعندما رست وأبور محمد أبو السعود والوفد المرافق له في أبا ، وتمت مقابلته للشيخ – وجده متمسكاً برأيه ، ولم ينكر أمره رغم تهديد أبو السعود وتوعده له . ولما ضاق أبو السعود ذرعاً بصلابة الشيخ محمد أحمد وتمسكه ، تلا عليه قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...) النساء (٥٩) فرد الشيخ على الفور بقوله : (أنا ولي الأمر في هذا الأوان ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر....) فخف أبو السعود راجعاً إلى حكمداره ليبلغه بما حدث .

جهز محمد رؤوف في الحال بلوكين مسلحين بأحدث الأسلحة فيهما خيرة العساكر ، ومع كل بلوك مدفع ؛ ويقود الحملة نائبه محمد أبو السعود بنفسه ، بغية إحضار الشيخ عنوة للخرطوم ، أو القضاء التام عليه . وأبرق في الحال القاهرة بالإجراءات التي اتخذها ، وطمأن الخديوية بقوله « ومن المأمول القضاء عليه » أما الشيخ فتيقن أن الحكومة لا يمكن أن تسكت على فعلته ، وستسعى للقضاء عليه بقوة السلاح ، فكاشف أتباعه بالأمر وصارحهم قائلاً : من أراد الجهاد معنا فليبايعنا بيعة الحرب ومن كان بيته عورة فليذهب إلى أهله وبيعتي معه بيعة عقيدة . فشرع في تدريب أتباعه ، ورسم خطته الدفاعية لهم وزاد عددهم على الثلاثمائة قليلاً واستعد لمقابلة جيش الحكومة

المرتقب.

وصلت حملة أبو السعود الجزيرة أبا قبل الفجر، فعلم المهدي بأمرها فانتظمت راياته مختفية وراء الأشجار، حسب ما خطط لها، فسار الجنود إلى القرية بصورة غير منتظمة، وفجأة باغتهم أنصار المهدي، وأصابوا منهم مقتلة عظيمة، وقليل منهم تمكن من اللحاق بالوابور التي عادت مسرعة إلى الخرطوم. وكسب المهدي كسباً مادياً ومعنوياً، حيث التف الناس حوله، وتيقنوا أنها كرامة تدل على صحة دعوة المهدي.

وفي اليوم التالي للمعركة، قرر المهدي الهجرة إلى قدير. وعندما بلغ محمد رؤوف خبر هزيمة حملة أبو السعود، انزعج كثيراً وأرسل على الفور خمسمائة من عساكره إلى الكوة وأمر مدير كردفان بالانضمام إليهم بقواته والتوجه بسرعة إلى المهدي في أبا، قبل أن يستفحل أمره. وعندما وصلت قوات محمد سعيد إلى أبا، علمت بأن المهدي قد غادرها إلى قدير، فظل يتتبع أثره ويطارده حتى دخل قدير، فرجع محمد سعيد إلى الأبيض، ولم ينجز مهمته. كما استفاد المهدي من هجرته إلى قدير من الناحية الدينية حيث شبهها بهجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة. وأنها تمت بأمر من الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما عزز مكانته الدينية.

حملة راشد بك أيمن، ديسمبر ١٨٨١م:

كانت الجزيرة أبا تتبع لمديرية فشودة، وكان مديرها راشد بك وأتباعه في قدير وقد تفشت الحمى بينهم، وأضناهم الجوع، فاستأذن الحكمدار أن يهاجم المهدي في عقر داره فلم يأذن له. ولكن رغم ذلك فقد قاد حملة للقضاء على المهدي كان قوامها ٣٥٠ من الجنود النظاميين، وألف من الشلك على رأسهم مكهم كيكون، وخطتهم كتمان خبر الحملة والسير بسرعة لمهاجمة المهدي ومباغتته، إلا أن إمرأة تدعى (رابحة الكنانية)، عرفت أمر الحملة، فظلت تسابقها جرياً حتى كشفت للمهدي أمرها. فحشد المهدي رجاله، وكان عددهم ثمانية آلاف مقاتل، وخرج بهم إلى غابة بالقرب من قدير، ينتظر مقدم حملة راشد بك. وصلت الحملة وهي منهوكة القوى بسبب السير السريع المتواصل فاشتبك الجيشان في ٩ ديسمبر ١٨٨١م، وهزمت الحملة وقتل راشد وكيكون

وأغلبية رجالهما ، ولم ينج منهم إلا الذين فروا إلى فشودة . انتهت المعركة بنصر آخر حاسم للمهدي ، وغنم أموالاً وأسلحة وذخائر ، وأسر منهم ١١١ رجلاً . فأخذ الناس يفدون على المهدي زرافات ووحدانا بعد هذا الانتصار.

وعندئذ أدرك الحكمدار محمد رؤوف خطورة الموقف وتعقيده ، فأرسل إلى القاهرة يناشدها المدد ، وظل ينتظره حتى مطلع مارس ١٨٨٢م . وكانت مصر تشهد وقتها اضطراباً شديداً بسبب قيام الثورة العرابية . وقد رأى المسؤولون في مصر أن انتصارات المهدي تعزى لضعف الحكمدار محمد رؤوف فعينوا عبد القادر حلمي خلفاً له .

حملة الشلالي باشا – ١٨٨٢م :

غادر محمد رؤوف الخرطوم قبل أن يصله عبد القادر حلمي ، فولى الحكمدارية بالإنابة (جقلر باشا) الذي أرسل برقية للقاهرة يلح على الحكومة أن تأذن له بإرسال حملة قوية للقضاء على المهدي في قدير قبل أن يشكل خطورة على الدولة ، فأذنت له الحكومة بالحملة ، فحشد جيشاً يقدر بثلاثمائة (٣٠٠) جندي نظامي ،وألف وخمسمائة (١٥٠٠) من الباشبوزوق والخطرية [×] وعقد لواء الحملة إلى يوسف باشا حسن الشلالي .

تحرك الشلالي بجيشه من الكوة في منتصف مايو ١٨٨٢م ، قاصداً فشودة ومنها اتجه غرباً ، فأتته نجدات من كردفان ، حتى وصل فنقر ، فمكث فيها طويلاً ، وبعث برسالة مطولة إلى المهدي ، حملت اعتراضه على أسلوب المهدي ومعاملته للخصوم ، وقصد من ورائها أن يحارب المهدي حرباً نفسية، فرد عليه المهدي برسالة مماثلة ، حاربه فيها معنوياً ، وختمها بقوله (فليس لكم عندنا إلا الرماح الطعان والسيوف السنان) .

وأخيراً التحم الجيشان في معركة شرسة انتصر فيها جيش المهدي بتفوق عدده وصبر رجاله ، وانجلت المعركة ولم ينج من جيش الشلالي إلا القليل الذي اختفى وراء الأشجار والوديان ، أو اتجه نحو فشودة . وغنم المهدي الكثير من النقود ، والملبوسات ، والدواب ، والأسلحة والذخائر ، إضافة إلى كسبه المعنوي. المتمثل في الإعداد الكبيرة والوفود التي وصلت إليه من أنحاء السودان ، علاوة على اندلاع الثورات ضد الحكومة التي قضت الهزائم على هيبتها في مناطق

× تشكيلات من الجنود غير النظاميين

متفرقة من الجزيرة ، أمثال ثورة عامر المكاشفي ، والشريف أحمد طه ، وفضل الله ود كريف ، وود الصليحابي ، وود برجوب ، وأحمد المكاشفي . وبعد أن وصل الحكمدار الجديد عبد القادر باشا حلمي إلى الخرطوم في مايو ١٨٨٢م ، تمكن من القضاء على تلك الثورات ، وشتت شملها ، كما عمد الحكمدار الجديد أن يشن حرباً إعلامية على المهدي فكلف لجنة من العلماء لتكذيب دعواه واهتم في نفس الوقت بتحصين الخرطوم من جهة الجنوب .

أسئلة :

١. ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يلي :

(أ) بدأ محمد أحمد المهدي دعوته السرية في :

١. أواخر عام ١٨٨٢م
٢. أوائل عام ١٨٨٠م .
٣. أواخر عام ١٨٨٠م

(ب) هزيمة قوات الحكومة في أبا من جانب المهدي وأنصاره كانت ناتجة عن :

١. الاستخفاف بالمهدي وأنصاره .
٢. استخدام الأنصار للسلاح الناري .
٣. قلة جنود الحكومة .

١. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

(أ) أرسل الحكمدار محمد رؤوف وفداً لمفاوضة المهدي بقيادة .....

(ب) أراد راشد بك أيمن مدير فشودة مباغتة المهدي في قدير إلا أن المهدي عرف أمره بواسطة .....

(ج) رأى المسئولون المصريون أن انتصارات المهدي تعزى إلى .....

٣. اكتب مقالاً تاريخياً قصيراً عن حملة الشلالي باشا .

نشاط :

ارسم خريطة السودان ووضح عليها مناطق المعارك : أبا ، وقدير و المدن والقرى : دنقلا ، لبب ، كرري ، أمرحي الشيخ الطيب ، كترانج ، طيبة القرشي فشودة ، الأبيض .

الدرس الرابع :

تحرير المهدي للأبيض في يوليو ١٨٨٢م

هنالك دوافع دفعت المهدي لفتح الأبيض ، منها أن الحكمدار عبد القادر باشا حلمي امتنع عن إرسال حملة له في قدير التي اكتظت بالوفود والجيش ، حتى أصابهم الجوع ، علاوة على اندلاع الثورات في مناطق متفرقة في كردفان ولم تبق من المدن إلا الأبيض ، وبارا ، والدلنج . لهذه الأسباب مجتمعة، قرر المهدي فتح الأبيض ، وتحرك بجيشه من قدير ، وكتم خبر وجهته حتى وصل إلى كابا ، التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الأبيض ، وتبعد منها حوالي الستة أميال .

أما محمد سعيد ، فقد حفر خندقاً حول الأبيض في شكل مربع ، وشيد فيه خمسة أبراج جعل على كل زاوية فيه برجاً ، وشيد البرج الخامس في وسط الضلع الشرقي ، تجاه مركز المديرية . وباتت جيوش البرج المهدي التي بلغ قوامها خمسين ألف مقاتل ، حول الخندق ، وفق الخطة الحربية التي رسمت في كابا .

وفي يوم الجمعة ٨سبتمر ١٨٨٢م ، هاجم الأنصار مدينة الأبيض بعد صلاة الفجر ، فواجههم العساكر بالمدافع . ولمّا حان ظهر ذاك اليوم ، إلا وقتل من الأنصار عشرة ألف رجل فنادي منادي المهدي بوقف القتال ، وعسكر المهدي وانصاره في منهل الجنزارة بالقرب من الأبيض .

أعلن المهدي بعد يومين من الهجوم ، حصار الأبيض ، وبارا ، والدلنج ثم كون فرقة الجهادية (حملة السلاح الناري) ، تحت قيادة حمدان أبو عنجة فكانت أول مرة يستعمل فيها المهدي السلاح الناري . وكان يتمسك من قبل بأن يحارب بنفس السلاح الأبيض الذي حارب به الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهكذا فإن معركة الجمعة ، صححت مفهوم الأنصار ، بأن من أراد النصر ، لا بد من أن يأخذ بأسبابه.

سلمت حامية الدلنج للمهدية في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م . أما حامية بارا فقد صمدت طويلاً ، وظلت تترقب قدوم حملة الإنقاذ القادمة من الخرطوم

ولكن الأنصار تمكنوا من القضاء على حملة الإنقاذ وهي في طريقها إلى بارا، فانقطع عشم الحامية ، وساء حالها ، فكتبوا للمهدي أن يرسل لهم من يسلمونه الحامية فأرسل إليهم عبد الرحمن النجومي فتسلمها في ٥ يناير ١٨٨٣م .

بعد ذلك أحكم المهدي وأنصاره حصارهم على الأبيض ، فكتب محمد سعيد مديرها خطاباً للحكمدار عبد القادر حلمي ، حيث جاع الناس حتى أكلوا الفئران ، والجلود اليابسة ، وضايقوا النمل في بيوته . ولكن الحكمدار لم يكن يملك القوة التي ينقذ بها الموقف وأصابه اليأس فطلب من الخديوي أن يعفيه من منصبه ، متعللاً بظروفه الصحية ، ولكن الخديوية رفضت طلبه ، غير أنها عادت بعد عشرة أيام وعزلته ، وعينت علاء الدين باشا حكمداراً على السودان . ولعل تطورات الأوضاع في مصر والسودان ، وتأزم موقف حامية الأبيض أجبرت محمد سعيد في آخر الأمر على الاستسلام فتم تحرير الأبيض وهذا يعني أن كردفان كلها أصبحت في يد المهدي . وقد ترتب على ذلك عزل دارفور، وبحر الغزال ، وخط الاستواء ، عزلاً تاماً عن الخرطوم عاصمة الحكمدارية ، كما أصبح لزاماً على انجلترا التعاون مع الحكومة المصرية ضد الثورة المهدية، بسياستها وببعض ضباطها ، خاصة احتلالها لمصر منذ سبتمبر ١٨٨٢م .

أسئلة :

١. ما دوافع المهدي لفتح الأبيض .
٢. استخدم المهدي أسلوباً عسكرياً جديداً في فتحه الأبيض ،ما هو ؟
٣. ما الفرقة الجديدة التي كونها المهدي بعد تحرير الأبيض ؟ ومن قائدها ؟ ولماذا كوّن تلك الفرقة؟
٤. ما النتائج التي ترتبت على تحرير الأبيض ؟

الدرس الخامس :

حملة هكس باشا – نوفمبر ١٨٨٣م :

بدأت حكومة بريطانيا التدخل في شؤون السودان ، فأرسلت الضابط البريطاني ، الكولونيل استيورات ، إلى السودان لتقصي الحقائق حول الأوضاع هناك . فطاف على أنحاء السودان المختلفة ، ورفع توصياته . أما الحكومة المصرية ، فقد أصرت من جانبها أن تقضي على الثورة المهدية ، والتمسك بالسودان . فعينت علاء الدين حكمداراً على السودان ، وسليمان نيازي قمندانا للعساكر ، (قائد عام) على أن يكون هكس باشا – الضابط البريطاني – رئيساً لأركان حرب الجنود . كما صدرت الأوامر إلى سليمان نيازي للعمل باستشارة هكس، إلا أنه تمسك بحقه في أن تكون جميع السلطات العسكرية بيده ، ما دام هو القائد العام . لذا فقد نشب الخلاف بينهما ، فحسمه الخديوي بنقل سليمان إلى حكمدارية سواحل البحر الأحمر ، لينفرد هكس بمنصب القائد العام ، على الرغم من أن الخديوية كانت تتحاشى أن يكون قائد الجيش مسيحياً، لأنه سيواجه جيشاً إسلامياً فتتحول بذلك المعركة لمعركة دينية (صليبية).

صورة رقم (٣) معركة شيكان .

خريطة رقم (١) معارك المهدية .

وتمت استعدادات هكس ، وبدأت تتجمع الحملة في الدويم في أواخر يوليو عام ١٨٨٣م ، فتألفت الحملة من الضباط العظام المصريين والبريطانيين، أثني عشر ألف جندي ، معظمهم من بقايا جيش عرابي .كما صحبت الحملة أجهزة الإعلام المختلفة . وتم حشد أعداد كبيرة من دواب النقل لحمل المواد الغذائية ، والأسلحة والذخائر . لهذا كانت الحملة ضخمة لم يشهد مثلها السودان من قبل .

غادرت الحملة الدويم في ٢٧/ سبتمبر ١٨٨٣م ، وكان أمامها طريقان إلى الأبيض ، طريق بارا (الشمالي) وطوله ١٣٥ ميلاً ، والطريق الثاني طريق شات (الجنوبي) الذي تكثر فيه المياه ولكنه طويل يبلغ ٢٥٠ ميلاً وتسكنه قبيلتا الجوامعة والغديات اللتان أعلنتا عن ولائهما للمهدية . فتمسك هكس بالطريق الشمالي (بارا) لقصره ولمروره على الكبابيش الذين لم يؤيدوا المهدي، بينما رأى الحكمدار علاء الدين أن الطريق الجنوبي أفضل . وبعد مداولات سلكت الحملة الطريق الجنوبي (شات) .

كما نشب خلاف آخر بينهما ، سببه أن هكس كان يرى أن يترك خلفه حاميات صغيرة تتكون كل حامية من مائتي جندي لحفظ الاتصال وخط الرجعة للخرطوم ، إن تعرضت الحملة للهزيمة ، بينما اعترض علاء الدين على ذلك ، وكان يرى أن هذه الحاميات الصغيرة لا تستطيع أن تحفظ نفسها، ناهيك عن خط الاتصال . كما أن العربان يمكن أن ينقضوا عليها بسهولة ، وأن الاثنى عشر محطة المزمع قيامها ستؤدي حتماً إلى تناقص الجيش المراد به القضاء على المهدي في الأبيض . وإزاء هذا الخلاف ، عقد هكس مجلسه ، وبعد النقاش المستفيض ، أقروا رأي علاء الدين بأن يسير الجيش بأكمله .

نعود إلى المهدي في الأبيض لنرى ماذا فعل ؟ نقلت عيون المهدي أخبار حملة هكس قبل تحركها من الخرطوم أولاً بأول ، فأعلن الاستنفار العام وبنى معسكره في شجرة تبلدي خارج الأبيض . ثم شرع في جمع الأسلحة وصيانتها، والتدريبات العسكرية المكثفة الشاقة لأنصاره نهاراً ، والمواعظ وشحذ الهمم ليلاً، وكان مجلسه الحربي في حالة انعقاد دائم . وعندما تحركت حملة هكس من الدويم، أرسل المهدي إليها حملة للمناوشات ، قوامها ثلاثمائة فارس

يحملون أسلحة نارية ، بقيادة محمد عثمان أبو قرجة . وكانت مهمتهم مناوشة الحملة كلما سنحت لهم الفرصة ، وأن لا يشتبكوا معها في أي معركة فاصلة وأن تنقل إلى المهدي أخبار هكس بانتظام ، كما أصدر المهدي الأوامر بإخلاء القرى التي تقع على خط سير الحملة ، وأن تطمر الآبار ، حتى لا تجد الحملة شيئاً تستفيد منه .

ومن ثم واجهت حملة هكس كثيراً من الصعاب عندما ظهرت حملة المناوشة في قرية العقيلة ، فأجبر جيش هكس للسير في هيأة مربع وسط الغابات الكثيفة ، وأصبحت الدواب محصورة وسط الحملة ولا تجد فرصة للرعي وإذا أتيحت لها الفرصة اختطفها رصاص فرسان أبي قرجة مما عرضها للهزال والموت ، فأصبح هكس في حاجة لدواب ، ولكنه لم يجدها . وعندما يأوي الجنود للنوم ليلاً ليخلدوا للراحة بعد سيرهم طوال النهار ، كان رصاص حملة المناوشة ينهال عليهم ، فأصبحوا لا ينامون ليلاً هذا فضلاً عن شح المياه . لهذا عانى الجنود معاناة نفسية كبيرة ، خاصة وأنهم من العرابيين المغضوب عليهم . والدليل على معاناة أفراد الجيش ، هروب بعضهم إلى معسكر المهدي .

وذهب المهدي ابعد من ذلك ، حيث بثّ منشورات تحمل انذاره للحملة قبل وصولها إلي الرهد ، فعمد لمحاربتها حرباً معنوية اوضح فيها أنه مرسل من الله وأن من يخالفه موعودٌ بالهزيمة وسوء الخاتمة مما أثّر على نفسيات الجنود .

خرج المهدي بجيشه لملاقاة جيش هكس ، بعد مغادرته للرهد مباشرةً ،فالتقى الجيشان في غابة شيكان في ٥نوفمبر١٨٨٣م ، وبعد قتالٍ مستميت أُبيدت حملة هكس وعلى رأسها قادتها ولم ينج إلاّ القليل .

ضم بحر الغزال في أبريل ١٨٨٤م :

لقد ضربت الفوضى أطنابها في بحر الغزال بعد سفر الزبير باشا إلى القاهرة سنة ١٨٧٥م ، وبناء على نصيحة والده ، سلم سليمان بحر الغزال للإيطالي جسي الذي أصبح مديراً عليها ، ولكنه قدم استقالته ، فخلفه عليها لبتن بك الإنجليزي سنة ١٨٨٠م ، وكان صغيراً مغامراً يجهل طبائع البلاد ولغتها ، وحينما علم زعماء القبائل الجنوبية في بحر الغزال بثورة المهدي ، ذهبوا إليه في قدير وبايعوه ، فأمرهم بالعودة إلى بلادهم ، وطرد الأترك

منها، وحكم بلادهم بأنفسهم. فإنطلقت ثوراتهم ضد لبتن منذ مطلع ١٨٨٢م، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على قوة الحكومة .

وكذلك جاء وفد من دناقلة بحر الغزال إلى المهدي في الأبيض ، وشهدوا معه معركة شيكان ، وبعدها أرسلهم المهدي على رأس قوة لضم بحر الغزال تحت قياد الأمير كرم الله الكركساوي ، وفرض حصاراً على لبتن بك ورجاله ، وبعد جهد جهيد استسلم لبتون بك في أواخر أبريل ١٨٨٤م .

ضم دارفور يناير١٨٨٤م

انضم أهل دارفور للثورة المهدية منذ اعلانها وقصد زعماء قبائلها المهدي في قدير وبايعوه . وبعد معركة شيكان عُزل سلاطين باشا المدير التركي للأقليم وتمرد عليه انصاره، مما اجبره على الاستسلام لقائد المهدي محمد خالد زقل في أواخر عام ١٨٨٣م. ليدخل زقل دارفور معلنا ضمها للمهدية في يناير ١٨٨٤م.

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

أ. بدأ تدخل بريطانيا في شئون السودان ابان المهدية بإرسال الكولونيل استيورات ( )

ب. تمثل موقف الحكومة المصرية في الإصرار على القضاء على الثورة المهدية ( )

ج. تميزت حملة هكس باشا بتجانس قيادتها ( )

٢. اشرح المشكلات التي واجهت حملة هكس أثناء طريقها من الدويم إلى الأبيض .

٣. اكتب مقالاً تاريخياً في الموضوع التالي : (يعتبر ضم دارفور وبحر الغزال من أهم نتائج انتصار المهدي في شيكان) ناقش

الدرس السادس :

الثورة المهدية في شرق السودان :

والحديث عن المهدية في شرق السودان ، ارتبط بشخصيتين مهمتين هما : عثمان دقنة الذي ينحدر من أسرة أصلها من الأكراد ، جاءت إلى سواكن وعملت بالتجارة بين سواكن والحجاز ، فتصاهرت مع البجة واختلطت معهم. لحق عثمان دقنة بالمهدي في الأبيض وبايعه فعينه أميراً على الشرق. أما الشخصية الأخرى فهي ، الشيخ الطاهر المجذوب ، من سلالة المجاذيب بالدامر وهم أهل علم وصلاح وكان للطاهر نفوذ ديني وتلاميذ في شرق السودان .

صورة رقم (٤) : عثمان دقنة

بدأ عثمان دقنة والشيخ الطاهر يبشران بالمهدية في الشرق في مطلع أغسطس ١٨٨٣م ، وحرضا قبائل البشاريين والأمرأر على الثورة ضد الحكومة ، ثم قصدا سنكات لنفس الغرض ، ووجدت دعوتهما استجابة من البجة ، فانخرطوا تحت رأية المهدية لكراهيتهم للحكم التركي – المصري ، لأنه أساء معاملتهم ، وسجن عدداً من قادتهم بعد أن نقضت الحكومة الاتفاقيات التجارية معهم .

في البداية هاجم عثمان دقنة برجاله سنكات ، ولكن حاميتها ردته على أعقابه ، كما تعرض لهزيمة أخرى في معركة قباب في سبتمبر ١٨٨٣م ولكنه تمكن من قطع خط التلغراف بين سواكن وكسلا . ولم يجد اليأس إلى قلب عثمان دقنة سبيلاً ، فظل يكر ويفر على حامية سنكات حتى تمكن من هزيمتها وضمها إلى المهدية في فبراير ١٨٨٤م . كما ضم طوكر أيضاً في فبراير ١٨٨٤م

وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها ، لم يتمكن من ضم سواكن بسبب الحامية البريطانية التي تحرسها . فظلت صامدة حتى مجئ الحكم الثنائي للسودان سنة ١٨٩٨م .

ومن أهم نتائج ثورة عثمان دقنة في الشرق ، تمكنه من قطع طريق سواكن – بربر – الخرطوم ، وعليه فقد رأت الحكومة المصرية إرسال قوة الباشبوزق بقيادة فالنتين بيكر تساعده قوة من السود . حاولت قوات فالنتين فك الحصار المضروب على طوكر . ولكنها منيت بهزيمة نكراء ، ثم أرسلت الحكومة البريطانية حملة أخرى بقيادة جراهام لإنقاذ طوكر ، وإبعاد الخطر عن سواكن، وعلى الرغم من الانتصارات التي حققتها الحملة ، إلا أنها انسحبت إلى سواكن، وعادت طوكر وسنكات مرة أخرى لقبضة عثمان دقنة القوية فضلاً عن انقطاع طريق سواكن – بربر .

أسئلة :

١. ارتبط نشاط المهدية في شرق السودان بشخصين من هما .
٢. ما القبائل التي ساندت عثمان دقنة في شرق السودان ؟
٣. ما أهم نتائج نشاط عثمان دقنة في شرق السودان .

نشاط :

ارسم خريطة شرق السودان ووضح عليها : المدن التي حررها عثمان دقنة والمدن التي استعصت عليه (استخدم مفتاحاً مناسباً) ، المعارك ، مواضع القبائل ، طريق سواكن ، بربر ، الخرطوم .

الدرس السابع :

تحرير الخرطوم :

سياسة إخلاء السودان :

تطورت الأحداث في السودان بعد هزيمة هكس ومقتله ، وأجبرت بريطانيا للتخلى عن سياستها السابقة ، والقاضية بعدم التدخل في الشئون الداخلية للسودان ، خاصة وأنها أصبحت بحكم احتلالها لمصر ، مسؤولة عما يجري في السودان ، وادعت أن خطر المهدي أصبح الآن يقترب من مصر نفسها ، وحرىّ بها أن تتخذ الإجراءات التي تمكنها من الدفاع عن مصر . وهكذا تدرجت بريطانيا في التخلي عن سياستها نحو السودان .

لقد اقترح أفلن بيرنج ، المعتمد السامي البريطاني في مصر ، والضابط الإنجليزي فيها ، بأن مصر ليس في مقدورها الاحتفاظ بالسودان بمفردها ، وينبغي أن تتجمع الحاميات البعيدة في الخرطوم ، ثم يتم التراجع التدريجي إلى مصر . لذا اتجهت سياسة بريطانيا بادئ الأمر نحو تكليف ضابط مصري يقوم بإخلاء السودان . وتم اقتراح عبد القادر باشا حلمي لهذه المهمة ، غير أنهم اختلفوا حول كيفية تنفيذ الانسحاب ، إذ أصرت بريطانيا على الإعلان أولاً ثم الانسحاب ثانياً . بينما رأى عبد القادر أن الإعلان بهذه الكيفية يعرقل مهمة الانسحاب ، لهذا صرف النظر عن انتداب عبد القادر لهذه المهمة ، ثم اقترح بيرنج أن يتم تعيين ضابط انجليزي لمهمة الانسحاب تلك .

لقد واجهت الحكومة البريطانية ضغوطاً من الرأي العام البريطاني والصحافة لتختار غردون لهذه المهمة ، وذلك لمعرفته السابقة بأهل السودان وطبيعتهم . ولكن هذا الاختيار وجد معارضة من بيرنج والخديوي توفيق .

وأخيراً حددت حكومة جلادستون مهمة غردون بأن تكون استشارية حيث يذهب إلى السودان ، ويقف على طبيعة الأوضاع هناك ويرفع تقريراً عنه مع التوصيات ، على أن يقابل الخديوي والمعتمد السامي البريطاني في القاهرة، واللذان ربما يكلفانه بمهمة أخرى .

وعندما أصبح الخديوي توفيق أمام الأمر الواقع ، منح غردون

فرمانين ليختار منهما ما يناسب الأوضاع في السودان ، فرمان بتعينه حكمداراً عاماً على السودان . والفرمان الآخر بسحب الحاميات وإخلاء السودان ، وإقامة حكومة من الوطنيين .

رحل غردون واستيورات وإبراهيم فوزي قاصدين الخرطوم ، في يناير ١٨٨٤م ، وعندما وصل غردون إلى بربر ، انهالت عليه الشكاوى ، فأعلن الفرمان الثاني القاضي بإخلاء السودان ، كما أرسل كسوة شرف إلى المهدي ومعها رسالة أعلن فيها تعيينه ملكاً على كردفان ، وناشده إطلاق سراح السجناء ولكنه عندما وصل الخرطوم ، وفرح الناس بمقدمه ، واحتفل به الأجانب ، وصرحوا بأنه الرجل الذي سينقذ السودان ، ويقضي على ثورة المهدي ، غير رأيه في الانسحاب، وأعلن الفرمان الأول بتعيينه حكمداراً عاماً للسودان .

رد المهدي كسوة غردون إليه ، ومعها رسالة أوضح فيها بأنه المهدي المنتظر ، ولا يريد جاهاً ولا سلطاناً ، ودعاه لاعتناق الإسلام ، وأنه سيعينه أميراً على جهة من الجهات إن أسلم ، وإلا فإنه سيهلك كما هلك الذين من قبله ، فغضب غردون غضباً شديداً على المهدي ، خاصة عندما دعاه لاعتناق الإسلام وهو مسيحي متعصب ، لذا قرر سحق المهدي في كردفان .

لقد تركنا المهدي عقب نهاية حملة هكس يرتب أموره في الابيض ويستعد لفتح الخرطوم ، حاضرة الحكمدارية ، فعين محمد الخير عبدالله عاملاً على بربر ، فاستطاع ضمها للمهدية ، وقطع خط الاتصال بين القاهرة والخرطوم كما سبق أن أرسل إلى الشيخ العبيد ود بدر لمحاصرة الخرطوم ، فنهض أبناء الشيخ ورفعوا راية الجهاد ، وحاصروا الخرطوم ، وانضم إليهم الشيخ مضوي عبد الرحمن من العيلفون ، والشيخ الأمين أم حقين ، والشيخ عبد القادرقاضي الكلاكلة .فأصبحت الخرطوم محاصرة من كل الجهات. ولتوحيد قيادة أمراء الحصار عين المهدي أبو قرجة ولقبه بأمير البرين والبحرين .

وبعد ارتفاع منسوب النيل أعد غردون حملتين برية وبحرية معاً ، بغية فك الحصار المضروب عليه ، واستطاع إنزال الهزيمة بقوات أبي قرجة في معركة بري ، ثم أردفها بمعركة الجريف غرب . وتنفس غردون ورجالة الصعداء ولكن إلي حين . فأرسل المهدي جيشاً تحت قيادة الأمير عبد الرحمن النجومي،

سماه أمير حصار الخرطوم ، فتمكن بعد جهد كبير من إحكام الحصار على الخرطوم مرة ثانية . وأخيراً وصل المهدي بجيش قوامه يزيد على الستين ألف مقاتل ، وعسكر في ديم أبي سعد .

اشتد الحصار على غردون ، وبات من الضروري إرسال حملة لإنقاذه ودارت حولها مناقشات ومداولات عقيمة ، دامت أكثر من ثلاثة أشهر ، بين مجلس الوزراء البريطاني ومجلس العموم . وكانت حكومة جلادستون تتمسك بإنها كلفت غردون بمهمة استشارية . وأما إذا كلفته الخديوية بمهمة تنفيذية ينبغي أن تتكفل بإنقاذه ، وأخيراً تدخل الرأى العام البريطاني ، وضغط على الحكومة ، إلى أن استجاب جلادستون لإنقاذ غردون ، فتكونت الحملة ، واختير اللورد ولسلي لقيادتها ، ولكنها تأخرت في القاهرة بسبب الجدل الذي دار حول الطريق الذي تسلكه إلى الخرطوم، واستقر الرأي أخيراً على طريق النيل، فأصدر المهدي أمراً لمحمد خير عبد الله لاعتراض الحملة . كما أرسل جيشاً بقيادة موسى ود حلو لهذه المهمة ، فاشتبك معهم في معركة أبي طليح قرب (المتمة) في يناير ١٨٨٥م، وهزم جيش الأنصار هناك ، ثم أرسل المهدي حملة أخرى بقيادة النور عنقرة التقت حملة الإنقاذ في المتمة في يناير ١٨٨٥م وقتل فيها قائد الفرقة ستيورات ، ولكن الحملة واصلت مسيرتها جنوباً نحو الخرطوم بقيادة ولسلي .

صورة رقم (٥) : غردون باشا

في هذا الأثناء شدد المهدي وجيوشه حصارهم للخرطوم وكانوا في سباق مع حملة الإنقاذ القادمة ، وتمكنوا من تحرير الخرطوم وقتل غردون في ٢٦ يناير ١٨٨٥م ، وفوتوا الفرصة على حملة الإنقاذ التي وصلت الخرطوم بعد يومين من تحريرها فقفلت راجعة شمالاً من حيث أتت . وبذا سقط الحكم التركي المصري في السودان وقامت دولة المهدية .

هنالك أسباب أدت إلى فشل مهمة غردون نوجزها فيما يلي :

أولاً :

تناقض مهمة غردون ، فحكومة جلادستون كلفت غردون بمهمة استشارية بأن يرفع تقريراً وتوصيات عن الأوضاع في السودان ، بينما كلفته الخديوية، بمهمة تنفيذية ذات شقين فنجده في بربر رفع الفرمان الثاني ، وفي الخرطوم رفع الفرمان الأول ، مما يدل على اضطراب تفكيره وهوسه .

ثانياً :

كان غردون مسيحياً متعصباً لدينه ، بينما المهدي كان متمسكاً بإسلامه ومتحمساً له ، مما جعلهما طرفي نقيض .فأصبحت المقاومة مقاومة دينية بين الطرفين .

ثالثاً :

ثقة غردون المفرطة في نفسه ، إذ أنه نجح في مهمته الأولى في السودان، وتمكن من فتح خط الاستواء عام ١٨٧٤م وضمه للحكمدارية في فترة ثلاث سنوات . كما نجح أيضاً في مهمته الثانية في السودان عندما عين حكمداراً (١٨٧٧-١٨٧٩م) ، وظن أنه سينجح في مهمته الثالثة ولكن هيهات .

رابعاً :

فهم غردون الخاطئ لطبيعة الثورة المهدية ، وما صاحبها من تطورات سياسية ، ودينية ، واجتماعية في السودان .

خامساً :

تباطؤ الإجراءات بين حكومة بريطانيا ومجلس عمومها، وضياع الوقت قبل الاقتناع بإرسال حملة إنقاذ .

سادساً :

نجاح المهدي في فرض حصار مبكر على الخرطوم ، حتى تمكن من تحريرها .

أسئلة :

١. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

١. أول من اقترح لتنفيذ سياسة إخلاء السودان هو الضابط المصري .....
.....

٢. عندما وصل غردون إلى ..... أرسل كسوة شرف للمهدي ورسالة يعينه فيها مديراً على كردفان .

ج. أرسل المهدي ..... ولقبه بأمير البرين والبحرين ليوحد قيادة الحصار حول الخرطوم .

د. أهم ما قام به محمد الخير بعد تعيينه عاملاً على بربر
.....

٢. ارسم دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يلي :

أ. أصر الرأي العام البريطاني على تعيين غردون لمهمة الإخلاء بسبب :

١. قوة شخصيته ٢. معرفته السابقة بالسودان وأهله .

٣. عدم وجود ضابط مصري مناسب ٤. قدراته في القيادة العسكرية

ب. وصل المهدي بجيش يزيد عن الستين ألفاً إلى الخرطوم وعسكر في:

١. الكلاكلة ٢. الجريف ٣. ديم أبي سعد ٤. بري

ج. هزمت حملة انقاذ غردون الأنصار في معركة :

١. أبي طليح ٢. كرري ٣. بري ٤. الجريف

د. تمكن الأنصار بقيادة المهدي من تحرير الخرطوم في يوم :

١. ٢٣ يناير ١٨٨٥م

٢. ٢٥ يناير ١٨٨٦م

٣. ٢٣ يناير ١٨٨٤م

٤. ٢٦ يناير ١٨٨٥م

٣. اكتب مقالاً تاريخياً قصيراً حول : أسباب فشل غردون باشا في مهمته

الدرس الثامن :

الأسس والمرتكزات الفكرية للثورة المهدية :

(أ) فكرة المهدية :

ظهرت هذه الفكرة في العالم الإسلامي ، عندما تفككت الدولة الإسلامية واشتد التمزق والصراع بين دويلات المسلمين ، فتبدل حالهم من القوة إلى الضعف ، ومن الوحدة إلى الفرقة والتحزب ، ففقد المسلمون كيانهم السياسي ، والاقتصادي ، والعسكري ، مما شجع المستعمر الأوربي أن يبسط استعماره على الدويلات الإسلامية ، ولهذا فقدوا الأمل في عودتهم لماضيهم . وفي وسط هذا الظلام الدامس برزت عند علماء المسلمين ومفكريهم فكرة المنقذ الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً استناداً إلى ما ورد في بعض كتب السنن . فوجدت الفكرة استجابة وقبولاً من عامة المسلمين ، خاصة المظلومين والمغلوبين على أمرهم ، فتعلقوا بهذه الفكرة ، وتطلعوا إليها ، وتحمسوا لها وظلوا يترقبونها على أحر من الجمر .

وانطلاقاً مما سبق ، يتضح أن تفسير فكرة المنقذ (المهدي المنتظر) برزت بصورة واضحة في ظروف معقدة وحرجة ، ومع أن ذكرها لم يرد في القرآن الكريم ، ولا في صحيحي البخاري ومسلم ، إلا أنها وردت في بقية الصحاح. وعليه فقد تفرقت السبل بعلماء المسلمين الذين آمنوا بفكرة المهدي المنتظر ، وتباينت أفكارهم حول شروطه وغاياته ، كما اختلفوا حول زمان ظهوره ومكانه واسمه .

ونشير هنا إلى بعض العلماء الذين بشروا بالمهدي المنتظر ، منهم محي الدين بن عربي ، وأحمد بن إدريس ، وشهاب الدين بن أحمد بن حجر. فلا غرابة أن عبرت هذه الفكرة إلى السودان مثلما عبرت أفكار أخرى من علماء السودان آنذاك ، فأقبلوا عليها ، وقد حظيت كتب ابن عربي على سبيل المثال بالتداول بين السودانيين وتعلقوا بها . فتأثر مهدي السودان بمؤلفاته ، وكان يتوق أن يكون من أتباعه . وكان محمد أحمد يؤمن بأن المهدي يختاره الله لهداية الناس ، وأخذهم إلى الإسلام الصحيح لقيام مجتمع العدل . وقد

ساعدت محمد أحمد المهدي تربيته الدينية ومؤهلاته العلمية التي اكتسبها ، إلى جانب مقدراته العقلية الفذة ، وتجرده وإخلاصه للدين .

(ب) فكر المهدي :

نحاول أن نعطي فكرة موجزة عن أفكار المهدي في كل مجالات الحياة والأنظمة التي أقامها ، ليصل بها إلى مجتمع إسلامي سليم متعاف يأتي على نمط مجتمع الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده . ولقد اجتهد المهدي وبذل قصارى جهده لتحقيق تلك الغاية النبيلة ، فمنح نفسه حرية مطلقة في وضع الأنظمة والتشريعات ، لاعتقاده بأنه مؤهل لذلك . فلا عجب أن تعرضت أنظمته المختلفة للتعديل والتغيير على حسب ما اقتضه الظروف والملابسات . فالأمثلة على التطورات التي صاحبت عهده كثيرة ، ولا يتسع المجال لذكرها جميعاً ، ولنضرب بعض الأمثلة .

(١) مجال السياسة :

تناولت وثائق المهدي الإمامة والخلافة ، فالإمام هو قائد الجماعة ورأسها ، أما الخلافة فهي أمر ديني رتبه المهدي على أن يكون هو خليفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن يكون خلفاؤه خلفاء لخلفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(٢) مجال التعاليم الدينية :

كتب المهدي لإرشاد أتباعه ، حتى يتمكنوا من تأدية عباداتهم بالصورة المطلوبة ، ويكونوا على بينة من أمرهم . فشرح لهم العبادات وأبعادها الحسية وآدابها ، حتى تكون عبادتهم خالصة لله وحده .

(٣) مجال الجيش :

جاء فكر المهدي عن الجيش وتنظيمه ، وفي آداب الجهاد وإحياء سنته وذلك بالابتعاد عن المصطلحات التي كان يستخدمها الحكم التركي – المصري في السودان ، حتى يتسنى له تكوين جيش على نمط الجيوش الإسلامية خاصة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) . لهذا حرص في بادئ الأمر أن يقاتل بالسلاح الأبيض الذي كان يستخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

(٤) المجال الاجتماعي :

عندما أعلن المهدي ثورته ، وانخرط معظم أهل السودان فيها ، وانفصل الرجال عن زوجاتهم لفترات طويلة ، وتفشت ظاهرة الطلاق ، وقل عدد الرجال بصورة كبيرة باستشهاد الكثيرين منهم في المعارك ، تعرض المجتمع المهدوي الوليد ، لقضايا ومشكلات اجتماعية ، دفعت المهدي للتفكير في علاجها فكتب عن الزواج ، وحجاب المرأة والمحافظة على الحرمات .

(٥) المجال الاقتصادي :

كتب المهدي حول نظامه المالي ، بعد تأسيسه لبيت المال في قدير ، فصدرت منشورات حول الغنائم ، وتوزيعها على المجاهدين ، كما كتب عن العملة ، والمرتبات ، والزكوات ، وطرق جبايتها ، وآداب التجارة ، وما يتصل منها بالشراء والبيع .

(٦) مجال القضاء :

عين المهدي قاضي الإسلام ، أحمد جبارة في قدير ، وللمهدي مؤلفات ومنشورات كثيرة في هذا المجال ، لأهميته في الدولة الإسلامية . كما فوض المهدي أمراء الأقاليم للنظر في القضايا المختلفة .

مما سبق يتضح جلياً ذلك التراث الضخم الذي خلفه المهدي ، فغطى به كل مناحي الدولة ، في المجالات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، والقضائية .

(ج) مرتكزات فكر المهدي :

١. بذل المهدي جهداً كبيراً ليقيم دولة إسلامية في السودان ، تتبع في نظمها المختلفة الشكل الذي كانت عليه دولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، وما كان عليه الخلفاء الراشدون من بعده .

٢. جعل المهدي الدين والسياسة شيئاً واحداً ، وأنهما يشتملان على كل أمور الدولة وشؤونها المادية والروحية معاً .

٣. أسس المهدي فلسفة دولته الاجتماعية على التقشف والزهد ، لاعتقاده بأنه الترياق الناجع لكل مشكلات السودان ، بل والعالم الإسلامي . لهذا حفلت خطبه ومنشوراته بما يجنب مجتمعه الجديد فساد التكالب على الدنيا ،

فكانت مقولته المشهورة " الدنيا جيفة وطلابها كلاب"

٤. كان المهدي يتطلع لإقامة دولة إسلامية في السودان ، لينطلق منها لنشر دعوته في الدول المجاورة حتى تقوم الدولة الإسلامية المرتقبة في العالم .

٥. ومن معالم سياسة المهدي البارزة ، قراره القاضي بإلغاء المذاهب الفقهية ، والطرق الصوفية في السودان .

٦. تأثر فكر المهدي بالمذهب السلفي ، نسبة لإطلاعه على كتب ابن تيمية ، ومحي الدين بن عربي ، وأحمد بن إدريس ، والغزالي . بل امتد أثرهم على أسلوبه في الكتابة .

٧. كان المهدي يعدل في أنظمته المختلفة من وقت لآخر ، ومن مكان لآخر ، وفق ما تمليه عليه المستجدات ، وتقلبات الأوضاع التي تمر بها دولته . والأمثلة كثيرة ، مما يدل على سعيه لمراعاة مصالح رعيته .

نماذج من منشورات المهدي :

أخذت كتابات الإمام المهدي ، أشكالاً مختلفة ، ونماذج متباينة ، فبعضها كتب في شكل مقال ، والآخر في شكل رسالة ، وهو الأكثر شيوعاً . وهناك أيضاً الخطب ، وتعليقه على العرائض التي تقدم إليه . كما له كتابات في التعزية ، وتعليقات على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة . وله منشورات ، منها الخاصة ، ومنها العامة . هذا بجانب كتب الإنذار وكتب البيان .

خط المهدي :

كتابات المهدي واضحة ومقروءة ، إذا ما قورنت بكتابات أخرى في زمانه، فكان يعطي كل حرف حقه ، فلا يضخم حرفاً ، ولا يضعف آخر ، ولا يميل إلى الاستعاضة ، ويجنح أحياناً إلى استعمال حركات الشكل ، متأثراً بالرسم العثماني . كما أهملت كتاباته الهمزة .

أسلوبه :

استخدم المهدي الأسلوب المباشر ، بعيداً عن التكلف ، كما اتسم أسلوبه بالقوة والحرارة ، وأنه امتاز على كتاب عصره بحس أدبي واضح . ويعود ذلك

× انظر ملاحق الباب الثاني

لانفعاله بأمر الدين الذي يعتمل في دواخله ، ولا يسترسل في الأمور الإدارية ، ويميل أسلوبه إلى العامي ، بينما يستطرد في المواعظ ، ويخلط حديثه ببعض الألفاظ المحلية . أما أسلوبه في الخطب فقد كان أجود وأرفع بياناً ، وتتخلله كثرة علامات الاستفهام ، والتعجب ، والسجع ، والتعاطف مع المستمع ، بتوجيه الخطاب المباشر له .

الديباجة :

تبدأ بالبسملة ، والحمد لله والصلاة على النبي مع التسليم ، وتأتي في سطر واحد .

التخاطب :

وهو يلي الديباجة مباشرة ، وأساسه المرسل والمرسل إليه . ويبدأ بعد كلمة (بعد) وكان اسم المرسل في بداية المهدية في المؤخرة ، فأصبح يأتي قي المقدمة ، أي بعد الديباجة مباشرة . أما اسم المرسل إليه ، فاتبعه المهدي بصفة (النعت) ، والتي درج على مخاطبة أعوانه ومساعديه بها، أمثال الأمير والنائب، والخليفة ، وخليله وصفيه ، والأحباب .

الموضوع :

ينقسم إلى مقدمة وصلب . وهو أهم أجزاء الوثيقة . والهدف من المقدمة إيجاد جو صافي ، أو إطار عام يدور فيه الأمر المباشر . إذن فالمقدمة، همزة وصل لشحذ الفكر ، ونجاحها والتوفيق فيها ، يسهل الموضوع ، ويجعل الدخول إليه طبيعياً ، فتتحقق به الغاية .

الخاتمة :

ينهي المهدي رسالته غالباً ، بكلمة السلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم يأتي تاريخ الوثيقة بالهجري ، وغالباً ما يكون باليوم والشهر والعام.

الخاتم

هو عند المهدي ، علامة من علامات الاثبات الدالة على صحة ما جاء في الوثيقة ، وقد تم تعديل شكل خاتم المهدي أربع مرات . ومكتوب عليه لا إله إلا الله محمد أحمد المهدي عبد الله ، وفي السطر الرابع التاريخ .

أسئلة :

١. (ظهرت فكرة المهدية عندما ضعفت الدولة الإسلامية وتفككت) علل .
٢. كيف رتب المهدي مسألة الخلافة ؟
٣. ما الفكرة التي بنى عليها المهدي جيشه ؟
٤. سم أثنين من العلماء المسلمين الذين بشروا بالمهدي المنتظر .
٥. اكتب مقالات تاريخية قصيرة حول الموضوعات التالية :
أ. تعاليم المهدي في المجال الاجتماعي والاقتصادي .
ب. مرتكزات فكر المهدي .
ج. أسلوب المهدي .

لهم من فرجا ومخرجا واما الترك فطاعتهم بعد امام
الدين كفر وضلال لانهم كفار مخالفون لحدود الله
تعالى وساعون في اطفاء نوره فان تعرضوا عليكم
فقاتلوهم فقد اجاز كم الله في قتالهم ووعدكم بالنصر
عليهم ما دامت نيتكم لله وبالله قال تعالى اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
ولينصرن الله من ينصره ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم الا ان حزب الله هم الغلبون ولا
تخافوا من كثرتهم ولا من اسلحتهم فان الله ناظركم
وناصركم وما النصر الا من عند الله ومن تخلف
عن امر الهجرة دخل في وعيد قوله تعالى قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله فتربصوا حتى يأتي
الله بامره الآية وهذا ما لزم والسلام
جمادى آخر سنة ١٣٠١

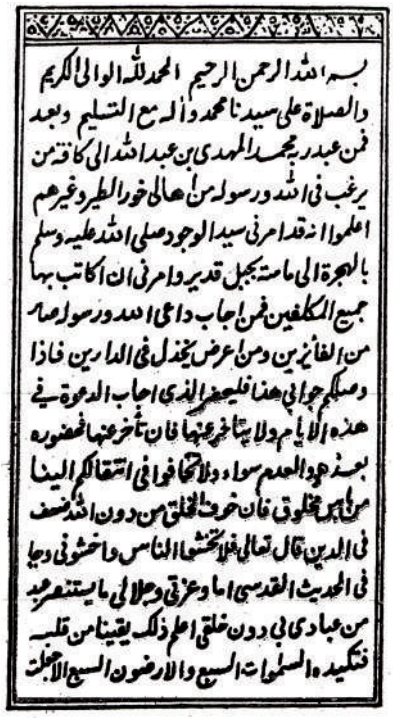

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم
والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى كافة من
يرغب في الله ورسوله من اهالي خور الطير وغيرهم
اعلموا انه قد امرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
بالهجرة الى ماسة بجبل قدير وامرني ان اكاتب بها
جميع المكلفين فمن اجاب داعي الله ورسوله صار
من الفائزين ومن اعرض يخذل في الدارين فاذا
وصلكم جوابي هذا فليعجل الذي اجاب الدعوة في
هذه الايام ولا يتاخر عنها فان تاخر عنها فعضوه
بعد هو العدم سواء ولا تخافوا في انتقالكم الينا
من ابن مخلوق فان خوف الخلق من دون الله ضعف
في الدين قال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وجاء
في الحديث القدسي اما وعزتي وجلالي ما يستنصرني
من عبادي بي دون خلقي اعلم ذلك يقينا من قلبه
فتكيده السموات السبع والارضون السبع الا جعلت

اي الوجيهين ونرسله لك ان رأينا في ذلك صلاحا للدين
واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك
في الدارين فتحمل بها ان عمكت والسلام ٢١ ربيع الاول سنة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على
سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر
الى الله المعتصم به محمد المهدي بن عبد الله الى المتردون
باشا فلم تسلم يونك الله اجرك مرتين وان اعترضت
كان عليك اثمك واثم من معك فقد اتاني الخبر من الرسول
صلى الله عليه وسلم ان الجرذة الاتية لو كان معي ستة
انفار تموت او خمسة تموت او واحد تموت او وحدي كذلك
ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد
اتاني خبرها انها تموت ايسر من موت جرذة ولله الشكر اولي
وسكر والمدبرات الغربية كلها والبحر الابيض وكذا الله موجود
بجميع البلاد فلا امر لغير الله وما دام ان الله القادر ايدني بالكرامات
وبالنصر فلا يضرني انكار منكر وانما يضر نفسه فقط
والامر الذي اوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم
جار على ان الجرذة التي تعتمدوها مالها وجه يوصولها

الدرس التاسع

ثانياً : عهد الخليفة عبد الله (١٨٨٥م – ١٨٩٨م)

سياسة الخليفة عبد الله الداخلية

نشأته والتقاؤه بالمهدي :

هو عبد الله بن السيد محمد ، ولد سنة ١٨٤٦م بقرية توردات جنوب دارفور . كان والده فقيهاً اشتهر بالورع والتقوى والصلاح . استخدم السيد محمد فقيهاً ليعلم أولاده القرآن الكريم وعلومه ، وكانوا يقبلون على العلم ، إلا عبد الله ، الذي كان كثيراً ما ينصرف عن حلقات العلم ، ويميل إلى التأمل في شؤون الحياة ، وتارة يهتم بالفروسية ، والمشاركة في دراسة مشاكل مجتمعه . وكان والده لا يرغمه على شيء ، وقد دلته فراسته على أن ابنه هذا سيكون له شأن عظيم في المستقبل . بل قيل بشره بأنه سيصبح خليفة المهدي المنتظر .

انتقل السيد محمد من دار التعايشة إلى دار الجمع ، وقيل أنه كان في طريقه إلى الحج ، وهناك طلب ناظر الجمع من السيد محمد أن يبقى في داره حيناً ، نسبة لمرضه ، ولكن المنية عاجلته في أبي ركبة ودفن فيها .

ولما كانت سيرة الشيخ محمد أحمد بن عبد الله ، الفقيه الزاهد العابد، المقيم في الجزيرة أبا ، قد انتشرت في المناطق المجاورة لها ، فقد سمع به عبد الله ، فساوره إحساس قوي بأن هذه الصفات ، تنطبق على المهدي المنتظر . فشد الرحال إليه ، فعلم أنه في طيبة الحلاويين يشيد قبة على قبر أستاذه الشيخ القرشي ود الزين سنة ١٨٨٠م وهناك التقى به ، ودخل في سلك مريديه ، وأظهر له الحب والولاء ، فأسر إليه محمد أحمد المهدي ، بأنه المهدي المنتظر ، فآمن به عبد الله، وأصبح ساعده الأيمن في نشر الدعوة في مرحلتيها السرية والعلنية.

مكانته لدى المهدي :

وبعد اندلاع الثورة المهدية وانتصاراتها ، عين المهدي في قدير أربعة خلفاء له ، كان أولهم عبد الله بن السيد محمد ، بمنزله خليفة أبي بكر الصديق؛ وقسم الجيش إلى ثلاث رايات ، وجعل كل راية منها تحت قيادة أحد الخلفاء ، وكانت أكبر تلك الرايات من نصيب الخليفة عبد الله .

وبعد تحرير الخرطوم ، عين المهدي سبعة أمناء ، ليكونو بمثابة مجلس وزراء ، وجعل الخليفة عبد الله رئيساً لهم . فشئون بيت المال والأسرى والقيادة العامة للجيش ، كلها تركزت في يده .

وهكذا كانت للخليفة عبد الله المكانة الأولى ، والقربى عند المهدي، الذي أعطاه كثيراً من الصلاحيات ، وأطلق يده في الأمور الإدارية . وبات مفهوماً لدى الأنصار ، أن عبد الله هو الذي سيتولى الحكم ، في حالة وفاة المهدي ولذلك ، وعند الوفاة بايعه كبار الأنصار ، وتبعهم الآخرون . وعلى الرغم من المبايعة ، فقد حدثت مشاكل داخلية عدة كما سنرى .

الخليفة عبد الله والمشكلات الداخلية :

توفي المهدي فجأة ، بعد خمسة أشهر من تحرير الخرطوم ، حينما كان يؤسس لدولة المهدية الناشئة ، ويعد لإخضاع الحاميات التركية المتبقية، ويبعث بالرسائل لملوك وسلاطين وأباطرة الأقطار المجاورة والبعيدة ، طالباً منهم الدخول في مهديته . وكان على الخليفة أن يواصل العمل لتحقيق كل ذلك . وأول أعماله هو إخضاع كسلا في يوليو ١٨٨٥م ، وإخضاع سنار في أغسطس ١٨٨٥م ، ثم بعدها واجهته صعاب كثيرة ، ومواقف عصيبة ، استنزفت الكثير من جهد الدولة الناشئة .

على الرغم من البيعة التي أخذها الخليفة ، فإن التسليم بزعامته لم يكن كما كان الحال بالنسبة للمهدي . فالمهدي كان حوله هالة من التقديس والاحترام الديني ، ولم ينافسه أحد في مهديته أو زعامته ، أما الخليفة ، فلم يكن في نظر الكثيرين متميزاً عليهم ليخضعوا له ، بل رأوه واحداً منهم لا يتمتع بأي نفوذ ديني أو قبلي يوجب عليهم طاعته ، فأصبحوا متمسكين بسلطاتهم وحقوقهم القبلية .

وهكذا واجه الخليفة عبد الله في بداية عهده مشكلة الولاء ؛ فبعضهم كان يرى أنه أولى بخلافة المهدي منه ، كما أراد البعض الآخر الاستقلال عن السلطة المركزية وهيمنتها .

الصراع بين الخليفة والأشراف :

الأشراف هم أبناء عمومة المهدي ، وكان زعيمهم الخليفة محمد

شريف حامد ، خليفة المهدي الرابع وصاحب الراية الحمراء ، وهي راية حربية ضمت كبار قواد المهدية ، أمثال عبد الرحمن النجومي ، ومحمود عبد القادر، ومحمد عبد الكريم ، ومحمد عثمان أبو قرجة ، ومحمد خالد زقل وكرم الله كركساوي . ولو لم يكن كل هؤلاء القواد ومعهم أكثرية المحاربين من سكان النيل، خارج العاصمة أم درمان وقتها ، ربما وقعت مواجهة طاحنة بين الخليفة محمد شريف وأنصاره، والخليفة عبد الله وأتباعه ، ذلك لان الأشراف ، ومنذ حياة المهدي ، أبدوا رفضهم لخلافة عبد الله ، وأرادوها فيهم فزجرهم المهدي في آخر جمعة صلاها في حياته في أم درمان ، بل سبق أن منع التعامل المباشر بين الخليفة عبد الله ومحمد شريف ، منعاً للإحتكاك بينهما .

بايع الأشراف الخليفة عبد الله وهم غير راضين ومغلوبين على أمرهم. ومن جانبه كان الخليفة يعرف نواياهم وأطماعهم في الحكم ، فبدأ في تقوية مركزه في العاصمة أم درمان . ولتأمين نفسه وسلطته ، اتخذ الخليفة عدة إجراءات منها فرض هجرة جماعية لبعض القبائل إلى العاصمة ، ليشدوا من أزره ، فوضعهم في المناصب القيادية التي كان يشغلها الأشراف بالأمس ثم كون لنفسه حرساً خاصاً عرف بالملازمية . وأخيراً عين أخاه يعقوب نائباً أول له ، وابنه عثمان شيخ الدين قائداً لقوات الجهادية .

أدت هذه الإجراءات إلى توسيع دائرة الخصومة والمواجهة بين سكان النيل وأهل الغرب ، حتى استفحل الأمر فشرع الأشراف سنة ١٨٨٦م في تدبير مؤامرة هدفها إبعاد وإقصاء الخليفة من منصبه . وتكرر ذلك مرة أخرى في عام ١٨٩١م ، وحسم الأمر في المرتين .

الثورات القبلية :

تزامن مع ثورات الأشراف ، تمرد العديد من القبائل ضد الحكم القائم، بهدف التحرر من السلطة المركزية وتحقيق الاستقلال القبلي والإقليمي . وقد استغرقت الثورات السنوات الثلاث الأولى من حكم الخليفة ، أي حتى عام ١٨٨٨م. ولما كانت الثورات القبلية متفرقة ، ولم يكن لها هدف مشترك ، فقد أفلح الخليفة في إخمادها الواحدة تلو الأخرى ، وبعنف شديد ، استنزف الكثير من الجهد والموارد والأرواح .

أسئلة :

١. وضح مكانة عبد الله بن السيد محمد لدى المهدي والوظائف التي منحت له .

٢. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

١. أول أعمال الخليفة عبد الله بعد وفاة المهدي تمثلت في إخضاع كسلا في يوليو ١٨٨٥م وإخضاع ..... في .....

٢. تمردت عدة قبائل على حكم الخليفة عبد الله بهدف .....

ج. نجح الخليفة في إخماد الثورات القبلية لأنها كانت ..... ولم يكن لها .....

٣. اكتب مقالاً تاريخياً قصيراً عن الصراع بين الخليفة عبد الله والأشراف

الدرس العاشر

سياسة دولة المهدية الخارجية :

قامت السياسة الخارجية لدولة المهدية على مبادئ واضحة تتمثل في نشر الدعوة المهدية في كل أرجاء العالم ، باعتبار أن المهدي المنتظر معني بهداية كافة البشر وإصلاح أمور دينهم ودنياهم . وعلى هذا الأساس قام المهدي بتحرير الرسائل إلى الزعماء الكبار آنذاك مثل ملك بريطانيا والسلطان العثماني وخديوي مصر و إمبراطور الحبشة و توعدهم فيها بالحرب في حالة رفض الدعوة .

حروبات الخليفة الخارجية :

بدأ الخليفة عبد الله بعد وصوله إلى الحكم مباشر سنة ١٨٨٥م ، يعمل على نشر دعوة المهدية خارج السودان ، وبعث برسائل ، كما كان يفعل المهدي- إلى توفيق خديوي مصر ، وفكتوريا ملكة إنجلترا ، وسلطان المسلمين في تركيا، وإمبراطور الحبشة ، والسنوسي في ليبيا ، وسلطان وداي ، وقبائل الحجاز ، يدعوهم فيها لاعتناق المهدية . ولم يستجب أحد منهم كما أن الأحباش أظهروا العداء لدولة الخليفة ، وأصبحوا خطراً ماثلاً لا بد من مواجهته .

(أ) حرب الحبشة :

كتب المهدي خطاباً إلى إمبراطور الحبشة يوحنا يدعوه إلى الإيمان بالمهدية ، فرد بخطاب وصل بعد وفاة المهدي وفيه استنكار وإساءة للمهدية ، بل ودعوة للمهدي لاعتناق المسيحية . وعندما اشتد ضغط الأنصار على حامية القلابات التركية المصرية ، ساعد الأحباش الأتراك في الانسحاب ، واستولوا على القلابات ثم انسحبوا منها . ودخل الأنصار القلابات ، بقيادة محمد أرباب، فعينه المهدي عاملاً عليها ومن حينها بدأت العلاقة متوترة بين الدولتين الجارتين ، كما بات الصدام بينهما حتمياً .

ولما كان الخليفة مشغولاً بإخماد ثورات وتمرد القبائل في الداخل ، فقد أجل المواجهة الشاملة مع الأحباش ، واكتفى رجاله بشن الغارات المحدودة على الحدود . وفي عام ١٨٨٧م زاد استفزاز الأنصار للأحباش ، حينما أحرقوا

كنائسهم ، فقاد الرأس عدار حاكم مقاطعة أمهرة ، جيشاً دخل القلابات ، وأحرقها وقتل محمد أرباب عاملها وقفل راجعاً ومعه الغنائم والأسرى .

طلب الخليفة من الامبراطور يوحنا وقف الاعتداء على الحدود السودانية، وإعادة الأسرى والغنائم ، وتسليم اللاجئين والمارقين ، ولكن يوحنا لم يستجب فاستعد الطرفان للقتال ، وأرسل الخليفة يونس ود الدكيم ليكون عاملاً على القلابات بعد انسحاب الأحباش منها ، فشرع في إرسال التجريدات العسكرية لمناوشة الأحباش .

وأخيراً قرر الخليفة حسم الصراع ، وأرسل حمدان أبو عنجة في جيش كبير لمواجهة الأحباش . وفي يناير ١٨٨٨م غزا حمدان الأحباش وهزمهم ، ودخل غندار ، ولم يواصل الغزو وعاد إلى القلابات ، ثم بدأ في المناوشة مرة أخرى .

وفي ذلك الوقت ، بدأت إيطاليا غزو الحبشة ، فطلب يوحنا من الخليفة عقد صلح بينهما لمواجهة غزو الأوربيين ، ولم يستجب الخليفة ، واستعد الفريقان لمعركة فاصلة ، ولكن حمدان أبا عنجة توفي فجأة ، وتولى القيادة الزاكي طمل ، الذي حصن القلابات ، واستعد لمنازلة الأحباش . وفي ٩ مارس ١٨٨٩م هاجم يوحنا القلابات في جيش كثيف بلغ ٢٠٠ ألف مقاتل بينما كان عدد الأنصار ٧٢ ألف . وبعد معركة حامية ، انتصر الأنصار وقتل يوحنا وتمزق جيشه .

ولم يواصل الأنصار زحفهم داخل الحبشة ، واكتفوا بالنصر الذي تحقق ، كما انشغل الأحباش بالصراع الداخلي على التاج ، وهدأت الحدود السودانية الحبشية إلى حين .

(ب) حرب مصر :

الانتصار الذي حققه الأنصار على الأحباش ، والقضاء على الفتن الداخلية ، شجع الخليفة على مواصلة الجهاد ضد الأتراك ، والاستيلاء على مصر ، والانطلاق منها لنشر دعوة المهدية في العالم .

ومنذ عام ١٨٨٦م كان الخليفة قد اختار عبد الرحمن النجومي ليقود الحملة الزاحفة على مصر ، ولكن النجومي بقي في دنقلا ولم يبدأ الغزو إلا في عام ١٨٨٩م . ومن أسباب تأخر الحملة حتى ذلك التاريخ ، انشغال الخليفة

بالأزمات الداخلية وضعف التمويل .

وقبل بدء الجهاد ضد مصر ، أراد الخليفة أن يمهد لتحرك جيوش النجومي داخل مصر ، فخاطب العبابدة وأهالي صعيد مصر لينضموا للأنصار في حربهم ضد الكفرة .

وأخيراً زحف النجومي صوب مصر ، على رأس جيش تكون من أربعة آلاف مقاتل ، ومعهم ثلاثمائة بندقية فقط . كما تبع الجيش سبعة آلاف من النساء والأطفال ، من أسر الجنود ، كانوا يزمعون الإقامة في مصر بعد فتحها.

تحرك هذا الجيش بمؤن قليلة ، واستعدادات بسيطة ، تدفعهم الحماسة والإيمان بالمهدية ، والثقة في النصر ، غير عابئين بظروفهم ، ولا بقوة خصمهم . وقد صور النجومي الأحوال القاسية التي كان عليها جيشه ، في خطاب وجهه للخليفة . وجاء فيه :

« إن الأنصار الذين معنا قد مسهم الضرر الشديد ، وأن الجوع الحال بهم قد أضناهم وأذهب قواهم ، فورم أجسامهم ، وغير أحوالهم ... وكثيرون منهم ماتوا جوعاً ... وكذلك الجمال والخيول والحمير ماتت من شدة المحل ... ولذلك فإن خيل الكفرة تبدو سريعة ، وليس عندنا خيل قوية لمطاردتها ... وجزي الله الأنصار خيراً ، وبارك فيهم ، فإنهم ما زالوا مطمئنين على حالهم وثابتين على محاربة عدوهم لا ينتظرون إلا النصر والظفر بالأعداء أو الفوز بالشهادة »

ومن الجانب الآخر استعد الجيش الإنجليزي – المصري بقيادة ود هاوس في وادي حلفا ، فتابع تحرك النجومي وأمر السكان في ضفة النهر الغربية بإخلاء قراهم لحرمان الأنصار من أي إمدادات غذائية ، وحشد قوة من ألفي جندي في أرقين على الضفة الغربية ، قبالة حلفا ، كما نشر الوابورات الحربية بمدفعيتها في عرض النيل ، وفي ٢ يوليو ١٨٨٩م ، اشتبك الأنصار مع ود هاوس حينما أرادوا ورود النيل ، وفي محاولاتهم للحصول على الماء فقدوا قرابة الألف جندي ، مما اضطرهم إلى السير في الصحراء بعيداً عن مرمى القنابل .

وتجاوز النجومي حصون أرقين بالسير في الصحراء إلى أن وصل سهل توشكي . طلب قرانفيل سردار الجيش المصري ، من النجومي التسليم واتقاء الموت والأسر ، ولكن النجومي ، رغم ضعف قوته ، رد بأنه مجاهد يبتغي النصر أو الشهادة .

صورة رقم (٦) : عبدالرحمن النجومي

وفي ٣ أغسطس ١٨٨٩م ، هزم الأنصار في توشكي ، واستشهد النجومي وغالبية الأنصار ، ووزع الأسرى والنساء والأطفال رقيقاً في مصر. وبعد توشكي، اتخذ الجيش المصري بقيادة الإنجليز ، خطة الهجوم على الدولة المهدية .

(ج) الأمير عثمان دقنة في شرق السودان :

نجح عثمان دقنة في وضع السودان الشرقي تحت راية الخليفة ، في الفترة ، بين سنة ١٨٨٦م و ١٨٨٧م ، ما عدا الحامية الإنجليزية المصرية ، التي ظلت محاصرة في سواكن . وقد حاول كتشنر والكولونيل كوك ، في عام ١٨٨٨م، على التوالي ، الهجوم على دقنة ، وكسر شوكته ، ولم يفلحا ، وفي عام ١٨٩١م ، وبعد هزيمة النجومي في توشكي ، سمحت الحكومة البريطانية للعسكريين في سواكن بمهاجمة طوكر واحتلالها . وقد تم لهم ذلك بعد تضحيات كبيرة في الأرواح .

وتراجع عثمان دقنة بعد طوكر إلى نهر عطبرة . وبعد الهزيمة في طوكر وتوشكي أصبحت دولة الخليفة في حالة دفاع عن وجودها ضد الأخطار العسكرية الخارجية ، وقبل نهاية القرن التاسع عشر ، استولت الجيوش الايطالية على كسلا في عام ١٨٩٤م .

أسئلة :

١. ما المبادئ التي قامت عليها سياسة دولة المهدية الخارجية ؟

٢. رتب المعطيات التالية مع ما يناسبها في القائمة أدناه :
الملكة فكتوريا / يونس ود الدكيم / غندار / الزاكي طمل / الرأس عدار

القائمة	الاجابة
حمدان أبو عنجة	
القلابات	
محمد أرباب	
الخليفة عبد الله	
مقتل يوحنا	

٣.اكتب مقالاً تاريخياً عن معركة توشكي ونتائجها .

الدرس الحادي عشر

نظام الحكم والإدارة في الدولة المهدية :

(أ) حكومة المهدي :

وضع المهدي نظام حكومته وهيكل إدارتها ، منذ أن كان في قدير . وبعد تحرير الخرطوم اتخذ أم درمان عاصمة له ، حيث اكتمل صرح دولته .

وكانت السلطة العليا للمهدي ، بصفته رأس الدولة الإسلامية الناشئة. وعين المهدي أربعة خلفاء يعاونونه في تسيير دفة الحكم ، وليخلفوه بعد وفاته. وكان يترسم خطى الدولة الإسلامية الأولى ، فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما احتل الخليفة عبد الله ، منصب الخليفة أبي بكر الصديق، والخليفة علي ود حلو، احتل منصب الخليفة عمر بن الخطاب ، والسنوسي يحتل منصب الخليفة عثمان ابن عفان ، وجعل الخليفة محمد شريف حامد في مكانة الخليفة علي كرم الله وجهه . وأصبح كل واحد من هؤلاء الخلفاء ، قائداً لراية من رايات المهدية ، وللمهدي راية خاصة به . أما منصب الخليفة عثمان بن عفان ، فقد ظل شاغراً لرفض السنوسي هذا الترشيح .

كذلك أنشأ المهدي بيت مال خاص منذ أن كان في قدير ، تحفظ فيه أموال الدولة ومؤنها ، كما نظمت طرق جمع موارد بيت المال ، وكيفية الصرف منه .

وكان دستور الدولة التي أسسها المهدي ، الشريعة الإسلامية . وللدولة قاضيها الأول – قاضي الإسلام – ويعاونه قضاة صغار ، وكان المهدي وخلفاؤه ينظرون في القضايا الكبيرة .

وفي الأقاليم ، كان هيكل الإدارة مأخوذاً من النظام المركزي في قضائه وبيت ماله . وكان على رئاسة كل إقليم أمير ، أطلق عليه اسم عامل ، له مطلق التصرف في إقليمه ، فهو الحاكم المدني ، والقائد الحربي ، والداعية الديني .

(ب) حكومة الخليفة عبد الله :

بعد وفاة المهدي ، تولى الخليفة عبد الله رئاسة الدولة المهدية ولم يحدث – كما سنرى- تغيراً في الشكل الذي رسمه المهدي للحكومة ، غير أن فترة

حكمه الطويلة ، فرضت عليه التركيز ، وملء الثغرات التي ظهرت مع التطبيق . كما حاول معالجة المتغيرات التي طرأت على الدولة المهدية .

١ . القيادة العليا :

أصبح الخليفة في أم درمان ، رأس الدولة ، يتم الرجوع إليه وإلى حكومته في كل الأمور . وكان كثيراً ما يستشير أخاه يعقوب الملقب بـ(جراب الرأي) وابنه عثمان شيخ الدين ، ويستأنس برأي الخليفة علي ود حلو ، ومجلس الأمناء والقضاء . كما كان يعقد اجتماعاً يومياً مع كبار مستشارية ، للنظر في أمور الدولة .

وقد قسمت السلطات ، فكان للخليفة تنفيذ الأحكام ، وليعقوب سلطة الشرطة ، ولقاضي الإسلام السلطة القضائية . ولكن الخليفة كان أحياناً يتدخل في أمر القضاء .

٢ . إدارة العمالات (الأقاليم) :

تم تقسيم البلاد في عهد الخليفة عبد الله ، إلى عمالات (أقاليم) ، والخريطة رقم (٢-١) توضح أقصى حدود وصلتها الدولة المهدية ، وأطلق لفظ عامل ، على كل حاكم عمالة . كما أطلق لفظ أمير ، على قائد الجيش فيها .

وانقسمت العمالات إلى نوعين : العمالات العسكرية ، والعمالات الحضرية . أما العمالات العسكرية ، فهي العمالات الواقعة في أطراف الدولة، عليها مجابهة الغزو الخارجي . وشملت عمالات دنقلا ، والقلابات ، وعمالة الغرب . وقد أشرف عليها حكام عسكريون . أما العمالات الحضرية ، فقد شملت مقاطعات وسط البلاد ، ولم يكن فيها حكام عسكريون . كما أنها خضعت لحكم الخليفة المباشر . وسمي الموظف المسؤول عنها عاملاً .

وقد اهتم الخليفة كثيراً بسير الأمور في العمالات ، وانتظمت رسائله إلى عمالة فيها ، وأمرهم أن يمدوه برسائل منتظمة عن أحوال عمالاتهم . وكان تحت كل عامل ، عدد من صغار الأمراء ينفذون أوامره ، وعدد من المعاونين ، يجمعون الضرائب . كما عين لكل عامل كاتب سري ، ليكون مسؤولاً عن المراسلات مع الخليفة .

وكانت الأوامر والمنشورات ترد على العامل من العاصمة لتنفيذها.

وخلال الأزمات ، كان الخليفة يرسل عدداً من رجاله ، عرفوا باسم الأمناء ، للتحقيق في المسائل الكبرى ، وحل هذه الأزمات . وبالرغم من أن الخليفة لم يتعود زيارة تلك العمالات ، إلا أنه درج على عقد مؤتمرات جامعة لعماله في الرجبية (٢٧رجب) ، وفي عيدي الأضحى والفطر ، لتلقي التقارير والمشورة في أمور العمالات .

٣ . الجيش :

اهتم الخليفة اهتماماً كبيراً بالجيش ، وكانت لجيوش المهدية ثلاث مهام رئيسة هي : حماية السلطة القائمة ، وإخضاع التمرد في العمالات ، ومدافعة الأعداء عند الثغور .

وتكون جيش الخليفة من عدة فرق :

- فرقة الملازمية القديمة ، وهم حرس الخليفة الخاص .
- فرقة الملازمية الجديدة وهم الذين يحملون أسلحة نارية ، وكانوا تحت قيادة ابن الخليفة عثمان شيخ الدين .
- جيش الراية الزرقاء ، وسلاحهم السيوف والرماح ، وكانوا تحت قيادة يعقوب أخو الخليفة .
- جيش الراية الخضراء وهو يتكون من قبائل دغيم وكنانة ، ويقوده علي ود حلو .
- جيش الراية الحمراء يقوده الخليفة محمد شريف .
- وأخيراً جيش الكارة ويتكون من الجنود الذين وقعوا في الأسر من الحكم التركي – المصري . هذه الجيوش توجد في أم درمان العاصمة ، أما جيوش العمالات ، فقد كانت تحت قيادة الأمراء والعمال هناك .

وكان في الجيش أيضاً عدد من الخيالة والمدفعية ، وقد ورثت المهدية من الحكم التركي – المصري ،ورشة لتصليح الأسلحة ، (الترسانة) ، وثمان بواخر نيلية .

وكان الجيش منظماً ، على رأس كل عشرين جندي مقدم ، وعلى رأس كل مائة ، رأس المية . وهناك أمير لعدد من المئات . ولبس الجنود الرسمي الجبة المرقعة ، والعمامة والصندل ، ويسمح للجنود من غير الملازمين العودة لديارهم في الخريف ليزرعوا ويحصدوا ثم يعودون لأم درمان ، مما يؤكد اهتمام الدولة

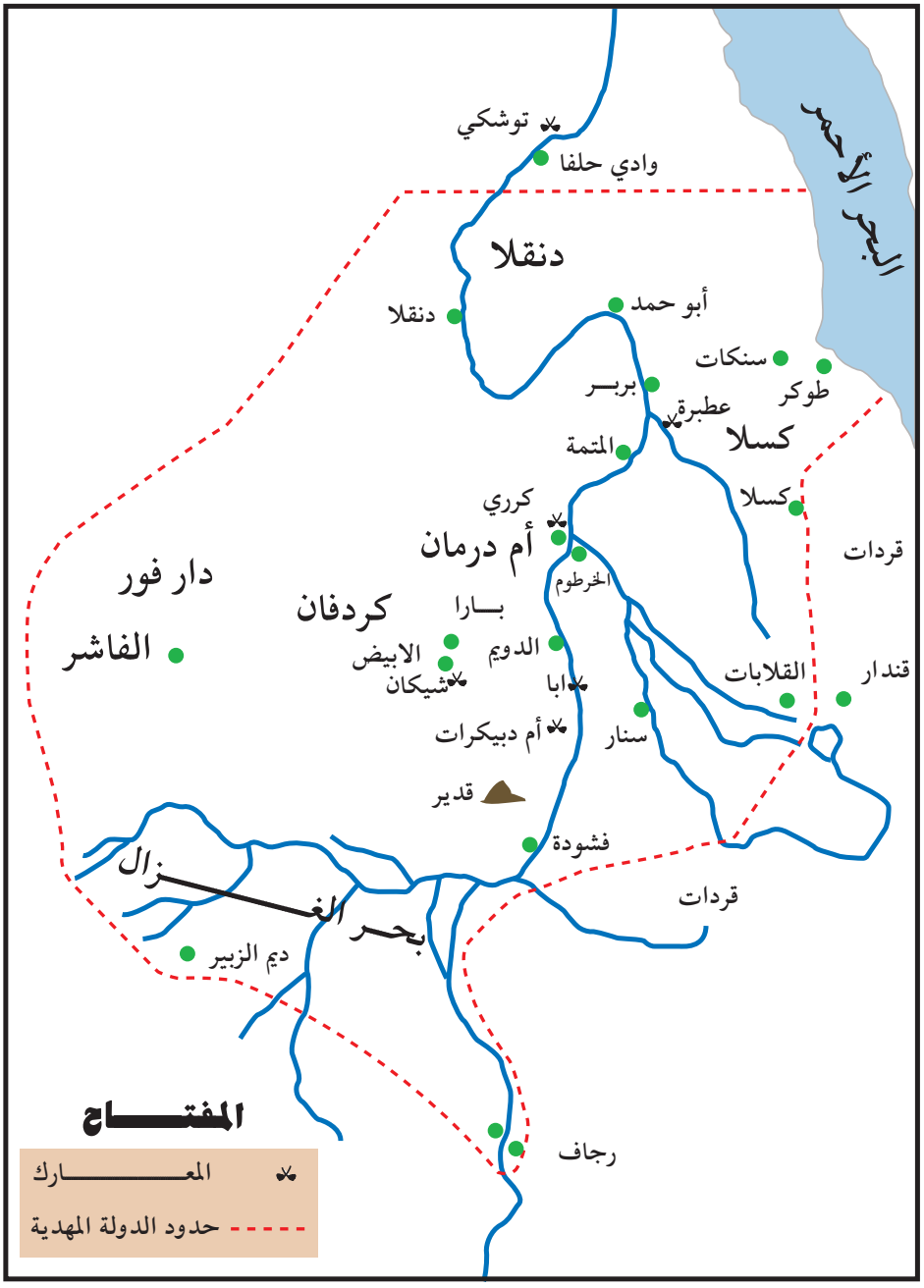

خريطة رقم (٢) توضِّح أقصى اتساع الدولة المهدية

بالإنتاج . وبلغت جيوش المهدية المعدة للقتال أكثر من ربع مليون جندي ، بيد أن الحروب والمجاعات أدت إلى تناقص الجيش .

٤ . القضاء :

أعلى وظيفة قضائية في الدولة هي وظيفة قاضي الإسلام ، وأنشئت في أم درمان محاكم متخصصة ، مثل محكمة الإسلام ، وتنظر في القضايا التي يحولها لها الخليفة ، ومحكمة الاستئناف وتنظر في قضايا جميع جهات الدولة ، ومحكمة للسوق ، تنظر في قضايا تنظيم السوق والأسعار والمكاييل والموازين ، ومحكمة لبيت المال ، تنظر في القضايا المتعلقة ببيت المال ، ومحكمة الكارة*، ومحكمة الملازمين . وفي العمالات أنشئت محاكم أخرى مماثلة .

وكان الخليفة يعين القضاة في أم درمان والعمالات . وأصيب منصب قاضي الإسلام بشيء كثير من الزعزعة في عهد الخليفة ، وكان قاضي الإسلام حتى عام ١٨٩٤م هو القاضي أحمد علي ، ولم يكن على وفاق مع يعقوب ، وانتهي النزاع بينهما بإثبات تهمة الرشوة عليه ، وإيداعه السجن حتى توفاه الله . وتولى المنصب بعده ، الشيخ الحسين الزهراء ، من خريجي الجامع الأزهر ، وكان ذا رأي مستقل في تطبيق الشريعة ، بدلاً من العمل بمنشورات المهدي ، فاختلف معه الخليفة وأودعه السجن ، ومات فيه . وبعد ذلك تقلصت أهمية هذا المنصب وتجنبه العلماء .

ومع ما أنشئ من محاكم ، وما عين من قضاة ، فقد كانت حوادث تعدي الجهادية – الذين عرفوا بالخيانة – على الأنفس والأموال والزروع ترد إلى الخليفة دون إنقطاع . وبذل الخليفة جهوداً كبيرة لردعهم ، فأصدر المنشورات التي تمنع التعدي على حقوق الآخرين ، وحث المتضررين على رفع ظلاماتهم له ، وعين في العمالات قضاة عرفوا باسم قضاة رد المظالم .

٥ . الأحوال الاقتصادية في عهد الخليفة :

تكونت مالية الدولة في عهد الخليفة مما يجبي من الزكاة والبضائع والمراكب والمشارع والغنائم . وكان في كل عمالة عسكرية (حدودية) بيت مال ، وفي أم درمان بيت المال العام .

× هم الجنود الذين تم اسرهم من بقايا الجيش التركي المصري

أولاً : بيت المال :

بيت المال العام : حسنت نظم بيت المال العام في عهد الخليفة ، وضبطت حساباته في دفاتر نظمت الدخل والمنصرفات ، كما قسم إلى أجزاء وأقسام حددت موارد دخل ومنصرفات كل قسم منها . فبيت المال العام دخله من أهل أم درمان وما جاورها ، وفائض بيوت أموال العمالات . ويصرف منه على آل المهدي والخلفاء و إعداد الجيش للغزوات .

بيت مال الملازمين : ودخله من أرض الجزيرة ، ويصرف منه على الخليفة والملازمية .

بيت مال الترسانة (الورشة الحربية) : ودخلة من مزارع الخرطوم ومبيعات سن الفيل . ويصرف منه على صنع الذخائر والأسلحة .

بيت مال الخمس : ودخله من إيرادات المراكب والمشارع ، وأرباح ريش النعام ، وعشور البضائع الواردة من الخارج ، ويصرف منه على الخليفة وأقربائه.

وكان في بيت المال قسم خاص بصك العملة وقد ضربت الريالات ولما كان مقدار النحاس فيها كبيراً فلم يقبل عليها الناس .

ثانياً : الموارد الاقتصادية :

أما أحوال الدولة الاقتصادية في عهد الخليفة ، فقد شهدت تدهوراً ملحوظاً ولعدة أسباب ؛ منها الأوبئة ، وسنين القحط ، ومجاعة عام (١٣٠٦هـ) (١٨٨٨- ١٨٨٩م) ونزوح السكان من مناطق الزراعة لأم درمان ، والانخراط في الجندية . كما أدت الحروب المتصلة إلى استنزاف الموارد ، إذ كان على الخليفة إعداد المؤن الغذائية لهذه الجيوش . ومن جانبهم أحدث المحاربون كثيراً من الفوضى بتعديهم على ممتلكات الأهالي ، خاصة المزارعين منهم . وأخيراً فإن الدولة حرمت نفسها من التجارة الخارجية بحظرها التعامل مع كل الدول التي لا تؤمن بالمهدية ، وبصفة خاصة مع مصر ،خوفاً من تسلل الجواسيس. ولكن في خلال الفترة (١٨٩٢-١٨٩٨) تم فتح أبواب التجارة الخارجية عن طريق اسوان وسواكن ، وكان الميزان التجاري في مصلحة السودان .

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

أ. وضع المهدي الهيكل الإداري لحكومته في قدير. ( )

ب. أطلق على الأمير أو حاكم الإقليم لقب العامل في المهدية. ( )

ج. كانت السلطة القضائية في الدولة المهدية في يد المهدي والخليفة من بعده . ( )

د. تولى الخليفة علي ود حلو قيادة جيش الراية الخضراء. ( )

هـ. كان دخل بيت مال الملازمين يأتي من الغنائم والعشور . ( )

٢. اجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١. ممن تكونت القيادة العليا للدولة في عهد الخليفة عبد الله ؟

٢. وضح أقسام العمالات في عهد الخليفة .

ج. ما أسباب تدهور الأحوال الاقتصادية للدولة المهدية ؟

نشاط :

ارسم خريطة تفصيلية للدولة المهدية : وضح فيها الآتي :

١. المدن المهمة .

٢. العمالات العسكرية والحضرية .

٣. المواقع الحربية .

الوحدة الثانية

الحكم الثنائي والحركة الوطنية في السودان

الأهـــــداف :

يتوقع من الطالب بعد نهاية هذه الوحدة أن :

١. يعرف فترة الحكم الثنائي الاستعماري .
٢. يتعرف دوافع ووقائع الغزو الثنائي الانجليزي - المصري.
٣. يحلل اتفاقية الحكم الثنائي .
٤. يتعرف ملامح النظام الإداري للحكم الثنائي في السودان .
٥. يتتبع المظاهر الرئيسة للتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في السودان .
٦. يتتبع تطور حركة المقاومة والحركة الوطنية المناوئة للحكم الثنائي .
٧. يربط مشكلات السودان المعاصر الرئيسة بجذورها التاريخية .
٨. يقدر بطولات السودانيين وتضحياتهم في سبيل الاستقلال .
٩. يكتب المقال التاريخي بصورة صحيحة .
١٠. يرسم خريطة السودان التفصيلية لهذه الفترة .

الدرس الأول :

اتفاقية الحكم الثنائي ١٨٩٩م

بعد أن بسط الغزاة نفوذهم على السودان كان عليهم أن يحددوا مستقبل البلاد السياسي ، وقد أرادت بريطانيا أن تقيم حكماً ثنائياً تنفرد فيه بالسلطة ، مع منح مصر بعض الامتيازات وقد تم ذلك بتوقيع اتفاقية الحكم الثنائي بين كل من (اللورد كرومر) القنصل البريطاني في مصر نيابة عن الحكومة البريطانية وبطرس غالي رئيس وزراء مصر نيابة عن مصر في ١٩ يناير ١٨٩٩م .

استطاعت بريطانيا من واقع احتلالها لمصر بقوتها العسكرية والدبلوماسية أن تجعل من نفسها شريك القوي في هذه الاتفاقية التي ظلت تحكم السودان حتى توقيع اتفاقية الحكم الثنائي وتقرير المصير في ٢١ فبراير عام ١٩٥٣م .

تكونت الاتفاقية من اثني عشر بندا ابتكر (كرومر) فيها أداة إدارية تكفل السيطرة الإنجليزية على السودان وتبعد السيادة التركية كما تبعد شبح الامتيازات الأجنبية آخذاً في الاعتبار الأماني المصرية ، لذا فقد تجاهلت الاتفاقية السيادة العثمانية على السودان ولم ترد إشارة إليها .

وأكدت الاتفاقية في مقدمتها أن فتح السودان بمجهودات بريطانية مصرية مشتركة مؤكدة على حق بريطانيا في المشاركة في إدارة السودان.

وفيما يلي أهم بنود الاتفاقية :

حددت الاتفاقية في مادتها الأولى حدود السودان السياسية أنها تشمل كل الأراضي جنوب خط العرض ٢٢° شمالاً أي الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل الثورة المهدية التي أعيدت الآن وكذلك الأراضي التي يمكن ضمها مستقبلاً من قبل دولتي الحكم الثنائي .

كما أقرت الاتفاقية رفع العلمين البريطاني والمصري في كل أنحاء السودان عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصري وهكذا أقرت الاتفاقية شرعية مشاركة بريطانيا في الحكم .

جاءت المادة الثالثة من الاتفاقية فأحكمت قبضة بريطانيا على الحكم . إذ ركزت السلطات المدنية والعسكرية في يد موظف أطلقت عليه لقب (حاكم عموم السودان) عرف بالحاكم العام ، ويكون تعيينه بأمر عال من خديوي مصر بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ، ولا يفصل إلا بأمر عال من خديوي مصر يصدر برضاء الحكومة البريطانية ، وكان جميع من تولوا هذه الوظيفة من البريطانيين .

وقد أحكمت المادة الرابعة قبضة بريطانيا على الحكم في السودان بأن جعلت القوانين والأوامر واللوائح تصدر من الحاكم العام بمنشور منه ومنح بذلك سلطات واسعة في تعديل أو إلغاء القوانين دون الرجوع لدولتي الحكم الثنائي . وقد اشترط عليه إخطار الدولتين فقط بعد إصدار الأوامر . وهكذا أصبح الحاكم العام هو السلطة العليا في البلاد ، ومنح استقلالاً تاماً في البلاد وظلت مصر في موقف الشريك الضعيف ، وأخذت تسعى بشتى السبل لتجد لها وضعاً أفضل في حكم السودان .

أما المادة الخامسة من الاتفاقية فقد نصت على منع تطبيق أي قانون مصري في السودان قبل موافقة الحاكم العام ، ومنعت المادة الثامنة تطبيق أحكام المحاكم المختلطة المصرية في كل أجزاء السودان عدا سواكن التي ظلت تحت وضع خاص حتى يوليو ١٨٩٩م . وقد قصد بهذه النصوص أن يمنح الأجانب حرية الإقامة والتجارة بالبلاد مع حرمانهم من الامتيازات الخاصة تفادياً لتسرب النفوذ الأجنبي للبلاد ، وأحكمت ذلك المادة العاشرة التي أقرت أن تعيين وإقامة ممثلي الدول الأجنبية في السودان خاضع لموافقة الحكومة البريطانية. وقد عالجت الاتفاقية في بعض بنودها المسائل الإدارية واستثنت البضائع المصرية المصدرة إلى السودان من الجمارك في المادة السابعة . أما المادة التاسعة فقد وضعت البلاد عدا سواكن تحت الأحكام العرفية (الطوارئ). ومنعت المادة الحادية عشرة تصدير وتوريد الرقيق إلى السودان . أما المادة الثانية عشرة فقد جعلت صناعة وبيع الأسلحة النارية والخمور تسير وفقاً لمعاهدة بروكسل الموقعة في ٢ يوليو ١٨٩٠م .

وهكذا أصبحت الإدارة في السودان في يد الحاكم العام الذي تمتع

بسلطات واسعة ومطلقة الأمر الذي مكنه من تنفيذ ما يريد دون الرجوع لدولتي الحكم الثنائي . وبموجب هذه الاتفاقية ظلت بريطانيا تتحكم في وضع السودان الدستوري في فترة الحكم الثنائي .

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

٢. هدفت بريطانيا من توقيع اتفاقية الحكم الثنائي إلي الانفراد بحكم السودان. ( )

٢. كان ممثل بريطانيا في توقيع الاتفاقية هو اللورد كتشنر. ( )

٣. نصت الاتفاقية على تطبيق القوانين المصرية في السودان.( )

٢. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

١. كان ممثل مصر في اتفاقية الحكم الثنائي هو .....

٢. ركزت الاتفاقية السلطات المدنية و ..... في يد الحاكم العام .

٣. اكتب مقالاً تاريخياً تناول فيه بالشرح والتحليل اتفاقية الحكم الثنائي .

الدرس الثاني :

نظم الحكم والإدارة في فترة الحكم الثنائي

النظام الإداري :

أنشأ الاستعمار البريطاني في السودان نظاماً إدارياً مركزياً يقف فيه الحاكم العام على قمة الهرم الإداري . وكان (اللورد كرومر) المندوب السامي البريطاني في مصر هو مهندس الهرم فهو الذي وضع اتفاقية الحكم الثنائي التي وضعت في المادة الثالثة الرئاسة العليا المدنية والعسكرية في قبضة الحاكم العام الذي يعينه الخديوي بعد أن ترشحه الحكومة البريطانية .

تولى منصب الحاكم العام خلال الفترة من يناير ١٨٩٩م حتى ديسمبر ١٨٩٩م (السير هربرت كتشنر) باشا وهو القائد العسكري لجيش الغزو وسردار الجيش المصري، وبهذا أصبح طابع الدولة عسكرياً في كل إداراتها وللحاكم العام السلطات المدنية والعسكرية . وكانت المديريات تحكم بمديرين من قيادة الجيش الغازي بينما تحول أغلب الضباط إلى مفتشين في المراكز وكان مساعدوهم المآمير ونوابهم من المصريين وهكذا اتسمت الإدارة بالانضباط والطاعة العسكرية. وقد استمر الطابع العسكري في الإدارة ثم بدأ التغيير فيه تدريجياً باستيعاب بريطانيين من خريجي الجامعات .

السير ريجنالد ونجت صورة رقم (١).

وبنهاية فترة (كتشنر) في منصب الحاكم العام خلفه (السير ريجنالد ونجت) (١٩٠٠-١٩١٦م)واستفادت الإدارة البريطانية من نظامي الحكم التركي والمهدوي ومن التجارب البريطانية في المستعمرات . وكانت الإدارة البريطانية

أنجح من الإدارات السابقة لأن الإداريين الذين اختيروا كانوا أكثر مسؤولية وأوسع أفقاً ، فعملت الإدارة على تخفيض الضرائب لأن البلاد فقدت الأموال والرجال . وكانت الإدارة تعمل بنجاح بفضل مراقبة اللورد كرومر والحاكم العام .

يعتبر (السير ونجت) المؤسس للنظام الإداري الاستعماري في السودان وقد تعاقب على المنصب بعده سبعة من البريطانيين :

(السير لي ستاك)	(١٩١٧- ١٩٢٤م)
(السير جفري آرثر)	(١٩٢٥ – ١٩٢٦م)
(السير جون مفي)	(١٩٢٦ – ١٩٣٣م)
(السير استيوارت سايمز)	(١٩٣٤- ١٩٤٠م)
(السير هربت هدلستون)	(١٩٤٠- ١٩٤٧م)
(السير روبرت هاو)	(١٩٤٧- ١٩٥٥م)
السير نوكس هلم	(١٩٥٥م)

ولم تتجاوز فترة السير نوكس هلم بضعة أشهر حيث أعلن استقلال السودان .

إدارة السودان في فترة (السير ريجنالد ونجت) (١٩٠٠-١٩١٦م) :

قضى (ونجت) في منصب الحاكم العام ستة عشر عاماً وشهدت هذه الفترة الطويلة ترسيخ الأسس الإدارية لحكم البلاد .

كان السودان في حاجة إلى نظام إداري يحقق الأمن والاستقرار وقد وضعت الإدارة خططها حتى يكون النظام امتداداً للنظامين السابقين (التركي والمهدوي) – عملت الإدارة أولاً على كسب ثقة الأهالي حيث طاف (السير ونجت) بلاد السودان وقابل الزعماء والأعيان والشيوخ وكسب ودهم وطمأنهم ووزع عليهم كساوي الشرف .

وفي النظام الجديد يأتي الحاكم العام على قمة الهرم الإداري . ثم يأتي بعده المفتش العام فالسكرتيرون الثلاثة (الإداري – المالي – القضائي) ثم رؤساء المصالح الحكومية خاصة مصلحة المخابرات .

المفتش العام :

أنشئت هذه الوظيفة في عام ١٩٠٠ من قبل (ونجت باشا) وأنشئت خصيصاً لسلاطين باشا النمساوي وقد كان يعمل منذ عام ١٨٩٥م نائباً لمدير مخابرات الجيش المصري وأصبح سلاطين الرجل الثاني في الإدارة ومستشار الحاكم العام الأول في الشؤون القبلية والأهلية .

وكان عليه مراقبة المفتشين في المديريات كما كان يشرف على إدارة المخابرات وظل سلاطين في موقعه حتى استقال في عام ١٩١٤م فانتهى المنصب باستقالته وقد عمل سلاطين في هذه الفترة على تعيين زعماء القبائل وترسيخ النفوذ القبلي .

السكرتير الإداري :

هو المسؤول عن المديريات وتحركات الأجانب في السودان ، وله حق إصدار رخص التجارة في المناطق المقفولة . وأهم واجباته النقل والترقي للموظفين ، وهو مسؤول عن السجون والشرطة . وكانت وظيفة الشرطة قد أسندت للمصريين ثم استبدلوا بالسودانيين . وقد استخدم بجانب الشرطة الخفراء الذين يعملون في توصيل رسائل العمد للمآمير . وقد تطور منصب السكرتير الإداري في عام ١٩٥٠م إذ أصبح بمثابة رئيس الوزراء كما أصبح السكرتير الإداري يحتل المنصب الثاني في الأهمية بعد الحاكم العام .وتولت شخصيات مقتدرة منصب السكرتير الإداري مثل ماكمايكل ونيوبلد وروبرتسون .

السكرتير القضائي :

يأتي على قمة الهيئة القضائية ،وهو مسؤول عن وضع القوانين ويعاونه ثلاثة قضاة. وفي عام ١٩٠٤م انشئت المحاكم المدنية في الخرطوم وسواكن وأصبح مدير المديرية قاضياً من الدرجة الأولى بينما أصبح مفتشو المراكز قضاة من الدرجة الثانية والمآمير قضاة من الدرجة الثالثة . وقد أشرف السكرتير القضائي على القضاء بأنواعه المختلفة.

السكرتير المالي :

حددت سلطاته بقانون صدر في عام ١٨٩٩م .وكان عليه إعداد الميزانية والإشراف عليها كما كان له حق تعيين الموظفين في العاصمة والأقاليم ممن زادت مرتباتهم عن خمسة جنيهات وله حق الإشراف على أمين المخازن . ولكن في فترة (ونجت) قلصت سلطاته وأضحت سلطات تعيين الموظفين في يد الحاكم العام عدا الصرافين ، شغل المنصب (بيرناند) باشا المالطي خلال الفترة من (١٩٠٠-١٩٢٣م) وكان السكرتيرون الثلاثة يخضعون للحاكم العام ويساعدونه في إدارة البلاد ويستمدون سلطاتهم منه .

ومن الوظائف المهمة في فترة الحكم الثنائي منصب السكرتير الخاص للحاكم العام ومنصب وكيل حكومة السودان في مصر الذي كان بمثابة السفير. ومن الإداريين البارزين مديرو المصالح كمصلحة المساحة – الزراعة الغابات- الصحة - والمخابرات وقد كان (ونجت) مديراً منذ عام ١٨٩٥م وحينما كان حاكماً عاماً أديرت المصلحة في السودان بنائب مدير للمخابرات تحت إشراف (سلاطين باشا) . وقد ألحق مكتب العمل بمصلحة المخابرات . وكان أغلب العاملين في هذه المصلحة من السوريين.

ومن مديري المصالح البارزين مدير مصلحة التعليم (جيمس كري) الذي شغل منصب أول مدير للتعليم في السودان وكان دوره مهماً في الإدارة إذ وضع أسس النظام التعليمي الاستعماري في السودان .

مجلس الحاكم العام :

تكون المجلس باقتراح من (ونجت) عام ١٩١٠م والمجلس يمثل مجلساً تشريعياً وتنفيذياً يتكون من السكرتيرين الثلاثة والمفتش العام ويضاف إليهم اثنان إلى أربعة أعضاء من البريطانيين يعينهم الحاكم العام ، ومدة العضوية لهؤلاء ثلاث سنوات قابلة للتجديد . من سلطات المجلس إجازة الميزانية وإقرار القوانين والأوامر ، وللحاكم العام الحق في تعطيل قرارات المجلس مع توضيح الأسباب ، وينظر المجلس فيما يتعلق بالدفاع وتعيينات الموظفين وترقيتهم بصفة استشارية عندما يطلب الحاكم العام ذلك . ويحدد الحاكم العام اجتماعات المجلس . وكان المجلس مكاناً لتبادل الآراء واكتساب الخبرة والدراية

بشؤون الحكم والإدارة .

الإدارة في المديريات :

قسم السودان إلى مديريات كانت في البداية ست وفي عام ١٩٣٤ أصبح عدد المديريات أربع عشرة . وقد استقرت المديريات في آخر الأمر على تسع وهي الخرطوم ، النيل الأزرق، كردفان ، دارفور ، الشمالية ، كسلا ، بحر الغزال ، أعالي النيل ، الاستوائية.وعلى رأس كل مديرية مدير والمديرية مقسمة إلى مراكز وعلى المركز مفتش ، وقسمت المراكز إلى أقسام على رأس القسم مأمور . وكان على مدير المديرية ومعاونيه حفظ الأمن وجمع الضرائب وإدارة القضاء وهو رئيسه وعليه تطوير الموارد الزراعية والصناعية والإشراف على الموظفين في مديرياتهم ،ويعمل مديرو المصالح مع مديري المديريات في تقديم المشورة الفنية الخاصة ببناء المدارس والمنازل الحكومية والشفخانات والمستشفيات .

ولا يسمح لمدير المديرية أن يتصل بالحاكم العام ويكون اتصاله بالسكرتيرين الثلاثة فيما يخصه .

موظفو الحكومة :

كانت إدارة السودان تستخدم العديد من الموظفين من بريطانيين ومصريين وكذلك من أهل الشام (سوريا ولبنان) كما استخدمت بعض السودانيين.

في بداية الحكم الثنائي كان الضباط البريطانيون للجيش الغازي هم الذين احتلوا إدارة الدولة العليا في العاصمة والمديريات ، ولم تتوافر في هؤلاء الكفاية الإدارية والخبرة ببلاد السودان ، فأهمل التطور الاقتصادي والاجتماعي بالبلاد وما أن حل عام ١٩١٠م حتى أخذت الإدارة في تعيين خريجي الجامعات البريطانية خاصة أكسفورد وكامبردج في مواقع إدارية بالسودان . وظل هؤلاء في تزايد مستمر حتى بلغ عددهم (٣١٥) في عام ١٩٣٣م . وقد استمر معظم هؤلاء في خدمة حكومة السودان حتى سن التقاعد وشغل بعضهم وظائف عليا وتقلدوا فيما بعد مناصب في المستعمرات البريطانية ومن هؤلاء (ماكمايكل) حاكم عام تنجانيقا،(وجيمس روبرتسون) حاكم نيجيريا وقد اكتسب هؤلاء الخبرة الإدارية في بلاد السودان وتميزوا بالانضباط في خدمة الإمبراطورية .

أما المصريون فقد عملوا في وظائف المآمير ونوابهم ومدرسين بالمدارس وقضاة بالمحاكم الشرعية . ولم تكن الحكومة البريطانية تفضل استخدامهم خوفاً من انتشار الدعاية المصرية والنفوذ المصري . وقد رفض بعضهم العمل لقلة المرتبات . وقد استخدمت الحكومة اللبنانيين والسوريين والأقباط في وظائف كتبة وصرافين ومترجمين في البوستة والتلغراف والمخابرات .

أما أبناء السودان فقد استعانت الحكومة ببعضهم وأدوا دوراً فاعلاً في تثبيت أركان الحكم في سنواته الأولى. وعملت الحكومة على إنشاء المدارس وفتحت الورش وعينت خريجي المدارس وكلية غردون والورش في وظائف الخدمة المدنية والجيش بدلاً من المصريين واللبنانيين .

شجعت الإدارة البريطانية الإسلام السني أولاً وكونت في ١٩٠١م لجنة العلماء من العلماء الذين تلقوا دراستهم في الأزهر في مصر . هذا ولما تيقنت الحكومة من أثر زعماء الطرق الصوفية على الأهالي والرأي العام في السودان وتمتعهم بنفوذ شعبي واسع ،عملت على التعاون معهم لتحقيق الاستقرار للحكم .

وكان لزعماء العشائر دور مهم في دعم الإدارة البريطانية ، كما اتجهت الحكومة نحو الإدارة الأهلية ، فأصدرت قانون سلطات مشائخ قبائل الرحل ١٩٢٢م ، الذي أعطى مشائخ القبائل الرعوية سلطات قضائية لمحاكمة أغلب القضايا الكبرى . وفي عام ١٩٢٥م أنشئت المحاكم القروية . وفي عام ١٩٢٧م صدر قانون سلطات المشايخ ليشمل كل زعماء القبائل ثم عدل في ١٩٢٨م . وكان للحاكم العام الحق في إنشاء المحاكم الأهلية . وكانت هناك محاكم كبرى ومحاكم صغرى للقضايا المدنية والجنائية وقد امتدت هذه المحاكم للمدن . أما الجنوب فقد صدر تشريع محاكم الجنوب في عام ١٩٣١م ومنح زعماء قبائل الجنوب سلطات قضائية . وفي عام ١٩٣٨م بدأت الحكومة في التفكير في إدخال نظام الحكومة المحلية ليتدرب السودانيون على إدارة شئون مدنهم وأريافهم فبدأت المجالس الريفية والبلدية أعمالها بأعضاء معينين وآخرين منتخبين. وقد بلغ عدد المجالس الريفية والبلدية في عام ١٩٥٢م حوالي (٥٦) مجلساً . وكان الهدف من ذلك نشر نوع من الإدارة اللامركزية في السودان وإشراك أهل

البلاد في إدارة شئونهم .

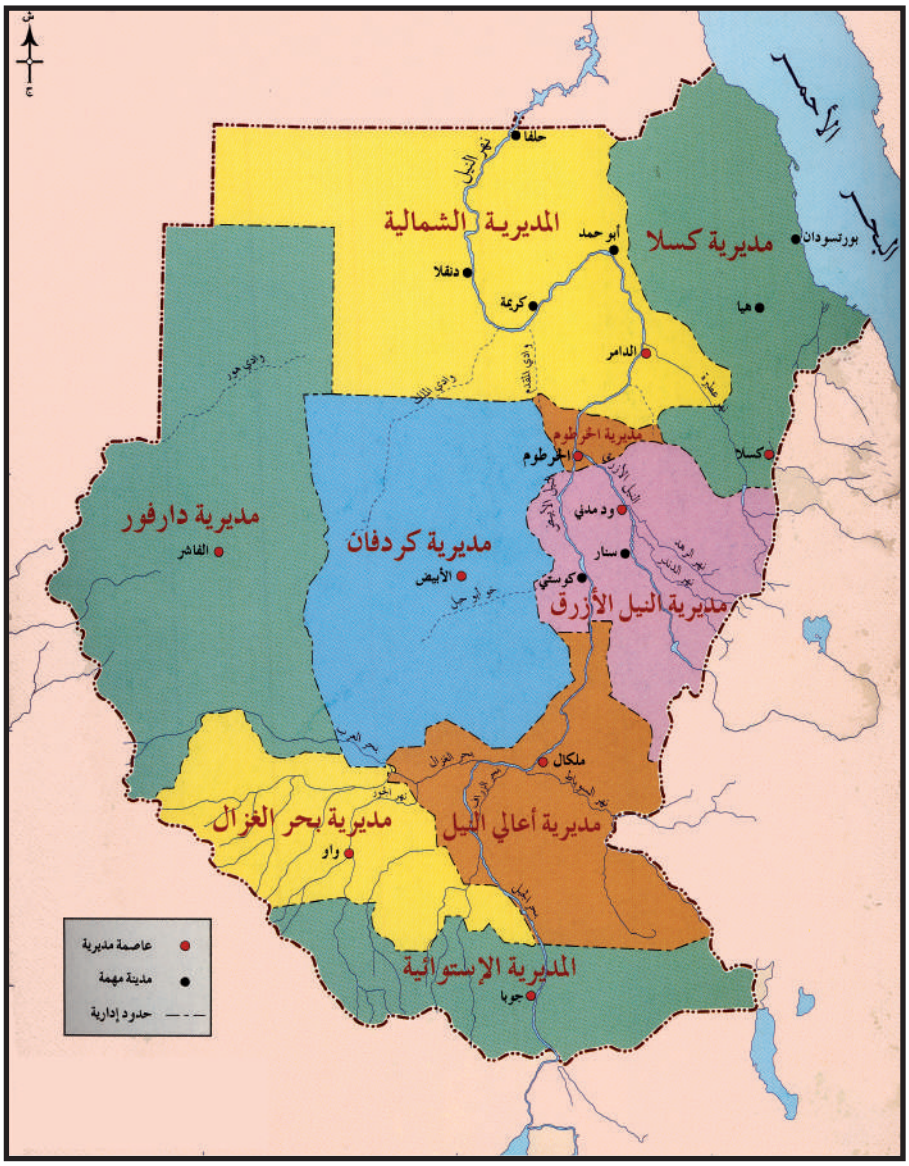

خريطة رقم (١) : مديريات السودان الإنجليزي المصري.

أسئلة :

١/ أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي:

١. حرصت الإدارة البريطانية على تعمير ..... لتصبح عاصمة للبلاد .

٢. كان ..... هو مهندس النظام الإداري في السودان .

٣. تولى ..... منصب الحاكم العام من (١٩٠٠-١٩١٦م) .

٤. شغل سلاطين باشا منصب المفتش العام وكان مستشار الحاكم العام في الشئون .....

٢/ ارسم دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يلي :

١. كان طابع الحكم الثنائي في البداية

١. مدنياً . ٢. عسكرياً.

٣. تقليدياً . ٤. الإجابتان ١ و ٢

٢. أهم المصالح الحكومية في هرم الإدارة الثنائية في السودان كانت هي مصلحة:

١. الغابات . ٢. المعارف.

٣. الزراعة. ٤. المساحة .

٣. أول من شغل منصب مدير المعارف في الإدارة الثنائية :

١.حيمس كري. ٢. نوكس هلم.

٣. بابكر بدري. ٤. بيرنارد باشا .

٤. تكون مجلس الحاكم العام في عام :

١. ١٩٠٢م ٢. ١٨٩٩م

٣. ١٩١٠م ٤. ١٩٠٨م

٣/ اكتب مقالاً تاريخياً عن إدارة السودان في عهد السير ريجنالد ونجت (١٩٠٠-١٩١٦ م) .

الدرس الثالث

السياسة البريطانية في جنوب السودان
(١٨٩٩م – ١٩٥٥م)

السياسة البريطانية نحو الجنوب (١٨٩٩م- ١٩١٩) :

هدفت السياسة البريطانية في هذه الفترة على تأكيد السلطة وحفظ الأمن والنظام. ولم تبذل الحكومة أي مجهود لأعمار الجنوب وتطويره . وقد قسم الجنوب لإقطاعيات لتباشر فيه الجمعيات التبشيرية عملها في نشر المسيحية والوقوف ضد انتشار الإسلام بصورة واسعة في جنوب البلاد .

وعملت الحكومة للحد من انتشار الإسلام عن طريق الجيش بأن استبدلت الجيش المصري بقوات من أبناء الجنوب حيث كونت الفرقة الاستوائية تحت قيادة ضابط بريطاني وتنامت هذه المجموعة حتى كونت خمس فرق في عام١٩١٤ وقد انتفضت هذه الفرق ضد الاستعمار عام ١٩١٥م الأمر الذي عرقل جهود الإدارة البريطانية التي كانت تهدف لإضعاف النفوذ الإسلامي .

ونجد أن هذه السياسة خلال هذه الفترة قد عمقت الخلاف ووسعت من التباعد بين أبناء الوطن الواحد في الشمال والجنوب وذلك للأسباب الآتية :

١- جهود جمعيات التبشير المسيحي في مجال التعليم وبثها للكراهية تجاه الشمال المسلم.

٢- سوء المواصلات .

٣- سياسة الوحدات الإدارية .

السياسة البريطانية نحو الجنوب (١٩٢٠ – ١٩٤٧م) :

هدفت السياسة البريطانية خلال هذه الفترة لفصل جنوب البلاد عن شمالها حتى يسهل ضمه إلى يوغندا أو شرق أفريقيا لتكوين اتحاد فدرالي في وسط إفريقيا تحت الإدارة البريطانية . ولتحقيق ذلك اتخذت الإجراءات التالية :

١- منع اتصال مديري المديريات الجنوبية بمديري مديريات السودان الشمالية على أن يعملوا بالاتصال بيوغندا وكينيا.

٢- سن قانون المناطق المقفولة عام ١٩٢٢م وقد هدف القانون لإبعاد الشماليين والمصريين من الجنوب وقد عملت الحكومة على إحلال السوريين والاغاريق محل الشماليين والمصريين .

٣- منع استخدام اللغة العربية وجعل اللغة الانجليزية واللهجات المحلية بديلاً عنها ، كما منع استخدام الأسماء العربية واللبس العربي وكل هذا لطمس الهوية وتوسيع الفجوة بين الشمال والجنوب حتى لا يتحقق الانصهار .

٤- إبعاد الموظفين الشماليين وتعيين الجنوبيين محلهم ولضمان تنفيذ هذه السياسة عين مفتش للتعليم بجنوب البلاد عام ١٩٢٦م وفتحت المدارس الأولية والوسطى بالتعاون مع الجمعيات التبشيرية وذلك لإنهاء الوجود العربي والإسلامي ومحو ثقافته وجعل الثقافة المسيحية بديلاً لها .

وقد بلغت هذه السياسة ذروتها في فترة الثلاثينيات حينما وضع السكرتير الإداري برنامجاً واضحاً لفصل الجنوب .

٣. السياسة البريطانية نحو الجنوب (١٩٤٧م- ١٩٥٥م) :

في هذه المرحلة تغيرت الظروف داخلياً وخارجياً مما جعل الإدارة البريطانية تختط سياسة جديدة تجاه الجنوب وذلك للعديد من الأسباب التي نوجزها في التالي .

١- انعقاد مؤتمر جوبا في ١٩٤٧ م الذي ضم السلاطين والمثقفين الجنوبيين والإداريين البريطانيين وبعض الشماليين . حيث أوصى هذا المؤتمر بوحدة السودان وتوحيد السياسة التعليمية بين الشمال والجنوب وقد حضره السير (جميس روبرتسون) السكرتير الإداري ، ومديرو المديريات الجنوبية الثلاث، ومدير شؤون الخدمة وسبعة عشر جنوبياً من زعماء القبائل والمثقفين وشارك فيه ستة من الشماليين، من بينهم السادة محمد صالح الشنقيطي ومكي عباس.

اتضحت في هذا المؤتمر رغبة أبناء الجنوب في وحدة السودان جنوباً وشمالاً وما أن حل عام ١٩٥٠م حتى بدأت الحكومة في تنفيذ أول خطوة نحو توحيد التعليم فأدخلت تدريس اللغة العربية في مدارس الجنوب فوق الأولية وأرسلت بعض طلاب الجنوب لكلية غردون بدلاً من كلية ماكر يرى بيوغندا .

٢- نضج الحركة الوطنية السودانية ومطالبتها بوحدة السودان ويتضح ذلك منذ مذكرة مؤتمر الخريجين ١٩٤٢م حيث طالبت بحرية التجارة وتوحيد المناهج وإلغاء قانون المناطق المقفولة .

٣- معاهدة ١٩٣٦م وعودة النفوذ المصري جعل السياسة البريطانية في السودان عامة وفي الجنوب خاصة عرضة للهجوم في الصحافة مع المطالبة بوحدة السودان .

٤- فشل سياسة الإدارة البريطانية الرامية لفصل الجنوب ودمجه مع كينيا ويوغندا بسبب صعوبة الاتصال الطبيعي للجنوب مع هذه المناطق مع سهولة اتصاله مع الشمال . ثم جاءت لجنة السودنة عام ١٩٤٦م وطالبت بتوحيد الجهاز الإداري والمرتبات في جميع أنحاء البلاد . وهكذا وضح تماماً للإدارة البريطانية أن العوامل الجغرافية والاقتصادية تجعل تطور الجنوب مرتبطاً بالشمال مما يؤكد وحدة البلاد .

السياسة التعليمية في الجنوب :

أما التعليم في المديريات الجنوبية فقد اتخذت الحكومة نحوه سياسة مختلفة عما جرى في المديريات الشمالية ، فهي لم تنشئ في أول الأمر مدارس لتعليم الجنوبيين وتركت ذلك للإرساليات لتقوم به وفق أهدافها واستمرت الإرساليات المسيحية من كاثوليكية وبروتستانتية تسيطر على التعليم حتى ١٩٢٦م حين رأت الحكومة بعض المثقفين السودانيين من الشماليين والجنوبيين الذين نشأوا وتعلموا في الشمال قد بدأت ميولهم تتجه نحو مصر كما حدث في جمعية اللواء الأبيض ، وهنا اتجهت الحكومة نحو الاحتفاظ بجزء من السودان في حالة إضطرارها إلى إخلاء الجزء الشمالي . ورغبت في ربط السودان الجنوبي بيوغندا وكينيا .

وفي عام ١٩٢٨م عقدت إدارة الحكم الثنائي مؤتمراً في الرجاف حضره ممثلون عن حكومة يوغندا ، والكنغو البلجيكي ، السودان وجمعية الإرساليات التبشيرية في الأقطار الثلاثة وكانت مديرية بحر الغزال ومنقلا قد وضعت تحت إشراف رئاسة بطريكية الإرسالية في شمال يوغندا عام ١٩٢٦م . وكان أهم مقررات هذا الاجتماع هي توحيد حروف الكتابة بين تلك الأقطار وجنوب

السودان واستبعاد اللغة العربية من المناهج المدرسية . وكانت هذه الخطوة التي اتخذها البريطانيون فيما يخص التعليم في الجنوب من المسائل التي أدت الي إثارة الخواطر في الشمال وأضعفت ثقة أهله في نوايا الانجليز نحو وحدة البلاد ، ولم يغير الانجليز من خططهم تلك إلا في سنة ١٩٤٨م أي بعد مؤتمر جوبا الذي ضم عدداً من المندوبين الشماليين والجنوبيين ، والذي قررت فيه الأغلبية الجنوبية رغبتها الأكيدة في المحافظة على وحدة السودان بكامل حدوده الجغرافية . أما في الفترة مابين سنة (١٩٢٨- ١٩٤٨م) فقد عمد الانجليز إلى تنفيذ سياستهم الانفصالية ودفعوا للإرساليات إعانات سنوية كبيرة كي يتولوا التعليم في الجنوب . وكانت الإرساليات تعلم اللهجات المحلية بالأحرف الرومانية مع قراءة الإنجيل واللغة الانجليزية واتسعت بذلك الشقة بين التعليم في الشمال والتعليم في الجنوب ولم يجتمعا إلا بعد الحركات الوطنية في الشمال . واستمر التعليم في الجنوب في أيدي الإرساليات حتى استقلت البلاد وانهى عمل الإرساليات . إلا انه وبالرغم من هذا التحول نحو الوحدة فقد ألقت السياسة الانفصالية في الفترة من(١٨٩٩ - ١٩٤٧م) بظلال من الشك وعدم الثقة لدى الجنوبيين تجاه الشمال مما شكل حاجزاً نفسياً جعل أبناء الجنوب بعد اتفاقية الحكم الذاتي ١٩٥٣م يطالبون بإقامة نظام فدرالي يمنح الجنوب الحكم الذاتي . وقد أدت السياسة البريطانية خلال تلك الفترة إلى تعقيد مشكلة الجنوب وجعلتها تستنزف قدرات البلاد منذ تمرد الكتيبة الاستوائية في توريت عام ١٩٥٥م حيث قتل في التمرد عدد كبير من أبناء الشمال ورغم أن الحكومة السودانية تمكنت من قمع التمرد في أغسطس ١٩٥٥م إلا أن مشكلة الجنوب ظلت قائمة في الحقب الوطنية المختلفة إذ اقترن تمرد أبناء الجنوب بدخول الغابة حتى توقيع اتفاقية السلام الشامل في نيفاشا بكينيا في يناير ٢٠٠٥م . والقضية في أساسها ترجع إلى عدم الثقة التي غرسها المستعمر في أبناء الجنوب .

أسئلة :

١- أجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١- وضح نتائج السياسة البريطانية في الجنوب خلال الفترة من ١٨٩٩م-١٩١٩م.

٢- ما هدف السياسة البريطانية نحو الجنوب خلال الفترة (١٩٢٠-١٩٤٧م) ؟

٢- اكتب عن الموضوعات التالية :

١- مؤتمر جوبا ١٩٤٧ .

٢- السياسة التعليمية في الجنوب خلال فترة الحكم الثنائي الاستعماري.

الدرس الرابع :

تطور المؤسسات الدستورية في فترة الحكم الثنائي

نتيجة للتطورات العالمية خلال فترة الحرب العالمية الثانية ولنمو الوعي القومي وتطور الحركة الوطنية اتجهت الإدارة البريطانية في السودان لتغيير سياستها إلى سياسة جديدة تهدف إلى جذب المثقفين من أهل السودان للمشاركة في الحكم لامتصاص الطموحات الوطنية والوعي القومي المتنامي . ففي مجال الحكم المحلي بدأ تقليص الإدارة الأهلية وتكوين المجالس المحلية. وفي ١٩٣٧م صدر قانون المجالس البلدية في المدن الكبيرة مثل الخرطوم وبور تسودان ثم قانون مجالس المدن الصغيرة مثل الأبيض وكسلا والقانون الثالث قانون المجالس الريفية، ثم تلاحقت التطورات في عام ١٩٤٣م وصدر قانون المجلس التشريعي لشمال السودان وبصدور هذا القانون اقترح السكرتير الإداري توسيع سلطات المجالس المحلية لتمنح سلطات مالية وإدارية . ثم صدر قانون مجالس المديريات لكي يتم اختيار أعضاء المجلس الاستشاري من بينها في عام. ١٩٤٤م. وقد أسندت رئاسة المجلس للحاكم العام وينوب عنه السكرتيرون الثلاثة أما عضويته فتتكون من ثمانية عشر عضواً يمثلون المديريات الشمالية الست ، وثمانية يمثلون المصالح الاقتصادية والزراعية واثنين الغرف التجارية ، وضم المجلس أعضاء شرف وهم السيد علي الميرغني راعي طائفة الختمية والسيد عبد الرحمن المهدي راعي طائفة الأنصار. ونص قانون المجلس على انه مجلس استشاري يقدم النصح للحاكم العام في المسائل التي يبحثها مجلسه ويعقد المجلس جلستين في العام . وقرارات المجلس ليست ملزمة للحكومة . وكانت غالبية عضوية المجلس من أعضاء الإدارة الأهلية كما اقتصرت عضويته على المديريات الشمالية الست . اختلفت ردود الأفعال حول المجلس الاستشاري فقد عارضته الحكومة المصرية واعتبرته محاولة من بريطانيا للتخلص من النفوذ المصري في السودان وفصل الجنوب عن الشمال ، كما عارضه مؤتمر الخريجين، لأنه مجرد هيأة استشارية محدودة السلطات وليس خطوة نحو الحكم الذاتي كما عارضه حزب الأشقاء ، لان غالبية أعضاء المجلس من زعماء

القبائل الذين وصفوا بأنهم عملاء لبريطانيا ورموز للجهل والتخلف . وقد رحب السيد عبد الرحمن المهدي زعيم الأنصار بالمجلس واعتبره الأنصار خطوة نحو الحكم الذاتي يمكن أن تتوسع ،كما أنه يهيئ فرصة للتدريب على الحكم ووسيلة للضغط التدريجي على الإدارة البريطانية . وقد اعتبرت الإدارة البريطانية ممثلة في الحاكم العام أن المجلس أول تعبير محدد للأمة السودانية ، كما دافع عنه بأنه أول خطوة نحو الحكم الذاتي .

نتيجة للمعارضة التي واجهت المجلس ولفشله في أن يستوعب الطموح الوطني المتزايد ولتوسيع قاعدة المشاركة في الحكم بدأت الإدارة البريطانية في البحث عن صيغة أخرى أكثر فعالية لإشراك السودانيين في الحكم وقد أوكلت هذه المهمة للمجلس الاستشاري . ولذلك كون المجلس مؤتمر إدارة السودان لدراسة الخطوات التي تربط السودانيين بالحكومة في أبريل ١٩٤٦م فاصدر توصية بإنشاء جمعية تشريعية لكل السودان ومجلس تنفيذي .

الجمعية التشريعية :

دخلت الحكومتان المصرية والبريطانية في مفاوضات بينهما في أوائل عام ١٩٤٦م لتعديل معاهدة ١٩٣٦م . وقد انتهت المفاوضات إلى مشروع اتفاقية صدقي – بيفن (اسماعيل صدقي رئيس وزراء مصر، ومستر إرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا) التي أكدت الحكم الذاتي وتقرير المصير لأهل السودان ، إلا انه قرن ذلك بالوحدة مع مصر وقد عارض حزب الأمة هذا الأمر وبدأ في الضغط على حكومة السودان ، وأخيراً فشلت مفاوضات ١٩٤٦م ..في مثل هذه الظروف اشتد الصراع بين دولتي الحكم الثنائي حول مسألة السودان حتى رفعت إلى مجلس الأمن الدولي في عام ١٩٤٧م وقد تم تعليق هذه المسألة .

وضعت توصيات مؤتمر إدارة السودان إنشاء جمعية تشريعية لكل السودان ومجلس تنفيذي موضع التنفيذ . وصدر قانون الجمعية التشريعية في عام ١٩٤٨م ونص على استبدال مجلس الحاكم العام بمجلس تنفيذي من (١٢-١٨) عضواً نصفهم على الأقل من السودانيين ويضم في عضويته السكرتيرين الثلاثة والقائد العام لقوة دفاع السودان . أما الجمعية التشريعية فتتكون من خمسة وسبعين عضواً .

وقد عارضت الأحزاب الاتحادية قانون الجمعية التشريعية وقاطعت انتخاباتها ونظمت ضدها المظاهرات . وقد قمعت الحكومة المظاهرات بالقوة واعتقلت المتظاهرين وعلى رأسهم إسماعيل الأزهري . أما حزب الأمة والأنصار فقد رحبوا بالجمعية التشريعية وشاركوا في انتخاباتها . ولذلك جاءت مشاركة أهل السودان في انتخابات الجمعية التشريعية مشاركة ضعيفة . إلا أنها قد اختلفت عن المجلس الاستشاري لشمال السودان وتميزت عنه بأنها مثلت جميع السودان إذ تخلت الحكومة عن سياسة فصل الجنوب ، وشارك في الجمعية ثلاثة عشر عضواً من أبناء الجنوب انتخبوا من مجالس الجنوب المحلية ، كما ضمت اثنين وخمسين عضوا شمالياً انتخبوا بالانتخاب المباشر أو غير المباشر . وأعطى قانون الجمعية الحاكم العام الحق في تعيين عشرة أعضاء كما ضمت الجمعية أعضاء جاءوا إليها بحكم مناصبهم . وقد انتخبت الجمعية التشريعية سكرتير حزب الأمة عبد الله خليل رئيساً لها . أما المجلس التنفيذي فقد حل محل مجلس الحاكم العام ، ونص القانون على تكوينه من اثني عشر عضواً إلى ثمانية عشر عضواً على أن يكون نصفهم من السودانيين . وقد كان من أعضائه السكرتيرين الثلاثة والحاكم العام بسلطاته الواسعة التي تصل إلى حد إلغاء قرارات المجلس التنفيذي . ولا يحق للجمعية مناقشة العلاقات الخارجية والجنسية السودانية والعلاقة بين دولتي الحكم الثنائي وما يتعلق بالدستور . تعتبر هذه الخطوة خطوة أخرى في اتجاه التطورات الدستورية للوصول للحكم الذاتي لذا فقد أزعجت هذه التطورات الحكومة المصرية فأعلن مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء المصري ١٩٥١م إلغاء اتفاقية ١٩٣٦م واتفاقية الحكم الثنائي ١٨٩٩م من جانب واحد وأعلن فاروق ملكاً على مصر والسودان ، إلا أن التطورات المتسارعة في مصر جاءت بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م المصرية التي قادها ضابط في الجيش المصري فدخلت مسألة السودان إلى مرحلة جديدة قادت السودان نحو إعلان الاستقلال .

صورة رقم (٢) عبدالله بك خليل .

أسئلة :

١- أجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١- ما الأسباب التي دفعت بريطانيا لتغيير سياستها في السودان إلى انتهاج أسلوب التعاون مع المثقفين ؟

٢- وضح تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان .

ج - ما موقف مصر من المجلس الاستشاري ؟

٢- اكتب مقالاً عن الجمعية التشريعية .

الدرس الخامس :

التطورات الاقتصادية والاجتماعية في فترة الحكم الثنائي

مقدمة :

فرضت الحروب الداخلية والخارجية التي بدأت منذ قيام المهدية طابع اقتصاد الحرب على الوضع الاقتصادي ، ووجه الاقتصاد لسد ضروريات المعارك واحتياجاتها وأصيبت حركة السوق الداخلي في فترة المهدية بالشلل من جراء المعارك والاضطرابات وما صاحب ذلك من فوضى أدت إلى إحجام التجار الأجانب عن ممارسة نشاطهم كما أضطرب تداول العملة وغيرها من النشاطات التي تتأثر بحالة الحرب لذلك لم تشهد فترة حكم الخليفة نشاطاً تجارياً فعالاً .

عموماً فإن الحروب في عهد المهدية قد أنهكت السودان اقتصادياً ، فالزراعة قلت والأيدي العاملة نقصت والتجارة اضمحلت والثروة الحيوانية تضاءلت .

تطورات الاقتصاد السوداني خلال الفترة الحكم الثنائي :

نظام ملكية الأرض :

أصبح من الضروري بعد هزيمة الدولة المهدية ،حل النزاعات حول ملكية الأرض ،وكان قانون ملكية الأرض الزراعية لعام ١٨٩٩م من أول القوانين التي أصدرها الحكم الثنائي ومن بين ما نص عليه أن الاحتلال المستمر للأرض منذ مجئ الحكم الجديد يعطي الشخص حقاً أولياً لملكيتها . وفي عام ١٩٠٣م صدر قانون آخر يعطي الحكومة الحق في الاستيلاء على أي أرض يمكن أن تحتاج إليها للصالح العام وفي عام ١٩١٢ تم تسجيل كل الأراضي الزراعية وفي عام ١٩٢٥م صدر القانون الذي أصبحت بموجبه كل الأراضي غير المسجلة ملكاً للدولة . وفي منطقة الجزيرة التي أقيم فيها مشروع الجزيرة قامت الحكومة باستئجار الأرض من أصحابها لمدة أربعين سنة. وشجعت الحكومة كبار الزعماء الصوفيين وزعماء العشائر على امتلاك المشاريع الزراعية على ضفاف النيل الأزرق والأبيض .

النقل :

كان لابد من إدخال وسائل نقل حديثة لاستغلال السودان رأسمالياً وتصدير رأس المال إليه ونقل محصولاته النقدية . وكان إدخال السكة حديد أكثر وسائل النقل تأثيراً على حياة أهل السودان وقد بدأ إنشاء خط السكة حديد عام ١٨٩٧م وذلك من أجل تسهيل حملة الغزو ضد الدولة المهدية . وفي ديسمبر وصل الخط إلى الحلفايا ووصل الخط إلى سواكن عام ١٩٠٥م وفي عام ١٩٠٧ م انتقلت ورشة السكة حديد من حلفا إلى عطبرة . وأنشئ ميناء حديث سمي ميناء بورتسودان عام ١٩٠٩ م ووصله الخط الحديدي. وحكمت الاعتبارات الاقتصادية مد الخط الحديدي إلى أنحاء أخرى من السودان وشيد كبري النيل الأزرق عام ١٩٠٧م ليربط الخرطوم بالخرطوم بحري وامتد الخط الحديدي من الخرطوم بحري إلى الخرطوم ثم إلى ودمدني عام ١٩٠٩م ومنها إلى سنار ثم كوستي ثم الأبيض . وأثرت السكة حديد تأثيراً كبيراً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في السودان وربطت تجار السودان بالعالم الخارجي .

كانت الملاحة النهرية محدودة لوجود الشلالات ولم يحدث تطور في مجال الطرق البرية لأن تكاليف رصف الطرق باهظة .

٣. الري :

ارتبطت مسألة الري في السودان بمياه النيل وبعلاقة الحكومة المصرية مع الحكومة البريطانية . وكانت قضية سياسية لأنها تمس مصر في مياه النيل شريان الحياة بالنسبة لها. وعندما بدأ العمل في مشروع الجزيرة قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) ثم استؤنف بعدها تقرر ري ثلاثمائة ألف فدان في مشروع الجزيرة من مياه النيل إلى أن يتم الاتفاق بين البلدين . ووقعت اتفاقية مياه النيل عام ١٩٢٩م وحصلت مصر بموجبها على نصيب الأسد من مياه النيل. وقبل توقيع الاتفاقية بدأت الإدارة البريطانية في السودان في دراسة وتشييد مشاريع الري وبدأ العمل في خزان سنار عام ١٩١٤م وتوقف بسبب الحرب العالمية الأولى واكتمل العمل فيه عام ١٩٢٥م . وكان تشييد خزان سنار وشق القنوات والترع والجداول التي تروي مشروع الجزيرة ثورة في مجال الري.

وأدخلت الإدارة البريطانية نظام الري بالطلمبات على النيلين الأزرق

والأبيض وقدمت تسهيلات مالية لبعض الشخصيات السودانية لامتلاك طلمبات كما كان للحكومة مشاريع تروى بالطلمبات .

٤. الزراعة :

كان الاهتمام بزراعة القطن المحور الذي قامت عليه السياسة الزراعية للحكم البريطاني في السودان وذلك تلبية لاحتياجات وضغوط شركات الغزل والنسيج البريطانية . وسبق إنشاء مشروع الجزيرة عدد من التجارب لزراعة القطن في مناطق مختلفة مثل الزيداب في شمال السودان . ووقع الاختيار على منطقة الجزيرة لإقامة مشروع لزراعة القطن طويل التيلة وأوكل للشركة الزراعية السودانية - وهي شركة بريطانية - تشييد المشروع بقرض من الحكومة البريطانية . وكان للمشروع نتائج إيجابية وسلبية . فقد أدى المشروع إلى تحسين الوضع المالي لحكومة السودان فأصبح ٤٠٪ من دخلها يأتي من القطن مما وفر لها فائضاً في الميزانية السنوية وبلغ القطن ثلثي صادرات البلاد فتحسن الميزان التجاري . وأصبح للسودان بفضل المشروع سمعة عالية في العالم فبدأت تأتي إليه رؤوس الأموال للاستثمار . وفتح المشروع فرصاً كثيرة للعمالة . واستفاد المزارعون وارتفع مستوى معيشتهم . وتجلت سلبيات مشروع الجزيرة في الاعتماد على محصول نقدي واحد هو القطن مما يجعل سعره يتأثر بالسوق الرأسمالية . وقد تأثر السودان بالفعل بالأزمة الاقتصادية العالمية بين (١٩٢٩ - ١٩٣٣م)عندما هبط الطلب على القطن وانخفض سعره . ولجأت الحكومة إلى إجراءات اقتصادية صارمة فخفضت العمالة والمرتبات . ومن سلبيات المشروع أيضاً أن الشركة الزراعية السودانية سيطرت على تسويق القطن وحرمت المزارع من أي دور في تسويقه . وتم تأميم المشروع عام ١٩٥١م .

لقيت الزراعة المطرية اهتماماً من الإدارة البريطانية ويبدأ حزام الزراعة المطرية من القضارف في الشرق إلى دارفور ومنخفض بحر الغزال في الجنوب . وتشكل الزراعة المطرية ٨٧٪ من جملة الأراضي الصالحة للزراعة . وطور إنتاج الذرة بإدخال الزراعة الآلية في منطقة القضارف وجنوب كردفان .

٥. التجارة :

توافرت عدة عوامل ساعدت على تطور النشاط التجاري في ظل الإدارة

البريطانية فقد تحققت درجة عالية من الأمن والاستقرار وأدخلت المواصلات الحديثة وتم تشييد ميناء بورتسودان وأنتجت المحاصيل التي تحتاجها بريطانيا خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى . وكانت صادرات السودان من المواد الخام أساساً من المنتجات الزراعية وهي القطن والصمغ والحبوب الزيتية ثم الثروة الحيوانية . ويشكل القطن ٦٥٪ من صادرات السودان . وكان للشركات البريطانية نصيب الأسد في تجارة السودان . وهناك شركات أجنبية يمتلكها يونانيون وأرمن وسوريون وهنود وتعمل في التجارة الداخلية وتسويق المحاصيل والماشية . أما واردات السودان فأغلبها من المواد الاستهلاكية مثل السكر والدقيق والأقمشة والمواد البترولية.

التطورات الاجتماعية في فترة الحكم الثنائي

١. التعليم :

أدخلت الإدارة البريطانية نظام التعليم الحديث في السودان ليحل محل التعليم الديني التقليدي الذي كان سائداً. وحدد جيمس كري أول مدير للتعليم في السودان أهداف التعليم الاستعماري في تكوين طبقة من العمال السودانيين المهرة وتكوين طبقة إدارية محدودة يمكن مستقبلاً أن تحتل مناصب إدارية صغيرة . وتهيئة السودانيين لفهم الجهاز الإداري الجديد في السودان.

بدأت الإدارة البريطانية بتطوير التعليم الأولي فافتتحت أول مدرسة أولية في أم درمان عام ١٩٠٠م وفي الخرطوم عام ١٩٠١م وفي عام ١٩٠٧م بلغ عدد المدارس الأولية ٤٦ ووصل العدد (١٢٧) مدرسة عام ١٩٤٦م . وافتتحت مدارس وسطى عام ١٩٠٦م في أم درمان والخرطوم وسواكن وحلفا وبربر وود مدني . وفي عام ١٩٠١م افتتحت مدرسة صناعية في أم درمان .

وفي عام ١٩٠٢م افتتحت كلية غردون التذكارية في الخرطوم تخليداً لذكرى غردون . وبدأت بمناهج لتدريب المعلمين والقضاة والتدريب المهني والأعمال الصناعية . وفي عام ١٩٠٥م افتتح بها قسم لتدريب مساحين ومهندسين . وخضع القبول في الكلية لموافقة الحاكم العام وليس هناك تقيد بالسن الدراسية . في عام ١٩٠٧م أصبح القبول يخضع لامتحان منافسة بعد إكمال المرحلة الأولية .

استدعى التوسع في التعليم الاهتمام بتدريب المعلمين وبدأ ذلك في عام ١٩٠٠م بمدرسة العرفاء بأم درمان وفي عام ١٩٠٧ انتقلت إلي كلية غردون لتدريب المعلمين للمرحلة الأولية . وكان أغلب المعلمين الذين يتولون التدريس من المصريين . وقد لعب المعلمون المصريون دوراً في نشر الروح المعادية للحكم البريطاني بين طلابهم مما أدى إلى زيادة عدد المعلمين الإنجليز وتخفيض المصريين. ووجد تدريب المعلمين دفعة قوية عام ١٩٣٤م بإنشاء معهد بخت الرضا بالقرب من الدويم ليقوم بتدريب معلمي المرحلة الأولية ثم أضيف إليه فيما بعد تدريب معلمي المرحلة الوسطى . واختير له مجموعة من المعلمين البريطانيين والسودانيين المتميزين لوضع مناهج وكتب دراسية . وأصبحت للمعهد شهرة إقليمية واسعة.

كانت بداية التعليم العالي عندما تطورت كلية غردون من مدرسة ثانوية إلى مدارس عليا ذات تخصصات مختلفة. ففي عام ١٩٢٤م افتتحت بها مدرسة كتشنر الطبية . وفي عام ١٩٣٦م مدرسة القانون . وفي عام ١٩٣٨م مدرسة الطب البيطري ومعها مدرسة الزراعة . وفي ١٩٣٩م افتتحت مدرسة العلوم وفي عام ١٩٤٠م مدرسة الآداب . وأدى ذلك التوسع في التعليم العالي إلى التوسع في التعليم الثانوي وافتتحت مدرس ثانوية في وادي سيدنـــا وحنتوب و (خورطقت- شرق الابيض).

بدأ تعليم البنات بداية بسيطة فلم يرد البريطانيون الدخول في تجربة قد تثير معارضة أهل البلاد فبدأ تعليم البنات بواسطة الإرساليات وفي عام ١٩٠٠م افتتحت مدرستان في الخرطوم وأم درمان . وخاض الشيخ بابكر بدري معركة تعليم البنات فأنشا أول مدرسة خاصة لتعليم البنات في رفاعة عام ١٩٠٦م وبعد الحرب العالمية فتحت الحكومة مدارس أولية لتعليم البنات بلغت ٧٠ مدرسة عام ١٩٤٦م . وافتتحت الحكومة مدرسة متوسطة للبنات في أم درمان ثم أخرى في الأبيض ثم ود مدني . وبعد الحرب العالمية الثانية تم افتتاح مدرسة البنات الثانوية الحكومية في أم درمان . وكان لمصر الشريك الاسمي في الحكم الثنائي دور مؤثر في مجال التعليم ففتحت مدارس متوسطة ثم ثانوية واستقبلت مجموعات من الطلاب لتلقي العلم في الأزهر ودار العلوم والجامعة

المصرية . هذا إلي جانب دور المعلمين المصريين الذين درسوا في مختلف المدارس السودانية .

الخدمات الطبية :

أدخلت الإدارة البريطانية نظاماً حديثاً للخدمات الطبية فقد بدأت الخدمات الطبية مع دخول الجيش الغازي عام ١٨٩٨م حيث جاءت معه مجموعة من الأطباء العسكريين ومعهم مجموعة مساعدة من الأطباء الشاميين . وبقيت الخدمات الصحية تحت إدارة الجيش حتى عام ١٩٠٤م عندما تأسست مصلحة الخدمات الطبية ، وافتتحت مستشفيات في عشرة من مدن السودان منها الخرطوم وأم درمان وحلفا ودنقلا وبربر . وبدأت الخدمات الطبية تتوسع تدريجياً . ومما ساعد على توسع الخدمات الطبية افتتاح معاهد تدريب ومؤسسات تعليمية طبية . افتتحت عام ١٩٢١م مدرسة المساعدين الطبيين الذين يتولون الإشراف على الشفخانات في المدن الصغيرة والقرى . وفي عام ١٩٢١م١ افتتحت مدرسة القابلات (الدايات) في أم درمان . وفي عام ١٩٢٤م افتتحت مدرسة كتشنر الطبية في الخرطوم ويتم اختيار الطلاب لها من الفصل النهائي في كلية غردون وفترة الدراسة فيها أربع سنوات .

التركيب الاجتماعي :

يعيش معظم أهل السودان حياة رعوية متنقلة لا تساعد على قيام خدمات اجتماعية ثابتة مما يحرم الرعاة من التعليم والخدمات الصحية والمواصلات الحديثة . وإلى جانب الرعاة يوجد المزارعون وتشمل هذه الفئة كل المنتجين الزراعيين وتنقسم إلى ثلاثة : ملاك الحيازات الكبيرة من الأرض ويعتمدون على استغلال غيرهم . المتوسطون ويعتمدون على عملهم وعمل أفراد الأسرة ولا يعملون خارج حيازتهم . الفقراء وهم الذين لا يمكنهم الاعتماد على زراعاتهم الخاصة فقط لذلك يضطرون للعمل مع الآخرين مقابل أجر محدد . وشهدت فترة الحكم البريطاني بروز الطبقة العمالية الحديثة ورغم أن البريطانيين حالوا دون التطور الصناعي في السودان إلا أن تأسيس بعض البنيات الأساسية مثل السكة حديد والنقل النهري والنقل الميكانيكي أدى إلى تجمع أعداد من العمال من شتى القبائل في بعض مناطق البلاد ولكن القاعدة

الصناعية الضيقة لم تهيئ قيام طبقة عمالية مؤثرة . وكانت هناك عمالة ريفية تشتغل في العمل الموسمي بمشاريع الزراعة المروية والآلية .

لم تنشأ في السودان طبقة إقطاعية بالمعنى التقليدي للإقطاع فقد كانت ملكية الأرض في مشروع الجزيرة تحت سيطرة الدولة . ولكن انفتح المجال لبروز ملكيات زراعية واسعة في المشاريع الخصوصية . غير أنها لم تكن ملكية خاصة بل تمنح الأرض بإيجار طويل المدى وارتبطت تلك المشاريع بالسوق الرأسمالية العالمية لاعتمادها على إنتاج القطن فهي رأسمالية زراعية وتتكون عناصرها من بعض زعماء الطرق الصوفية الكبار ومن زعماء القبائل الذين قامت في مناطقهم مشاريع زراعية .

لم تتوافر العوامل لنمو وتطور برجوازية سودانية لسببين أولهما أن السودان لم يكن مهيئاً تاريخياً لدخول مرحلة التطور الرأسمالي لعلاقاته غير المتكافئة مع السوق الرأسمالي العالمي ولاحتكار الشركات الأجنبية للتجارة الأجنبية وتجارة الجملة الداخلية.

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

أ. تميز اقتصاد الدولة المهدية بأنه كان اقتصاد حرب . ( )

ب. استأجرت الحكومة أراضي الجزيرة من أصحابها لمدة أربعين سنة. ( )

ج. الاهتمام بزراعة الذرة كان محور السياسة الزراعية البريطانية في السودان . ( )

د. هدفت الإدارة البريطانية من إدخال التعليم الحديث في السودان إلى نشر المعرفة بين السودانيين . ( )

هـ. أسس الشيخ بابكر بدري أول مدرسة خاصة لتعليم البنات في رفاعة عام ١٩٠٦م. ( )

٢. اكتب في الموضوعات التالية :

أ. نظام ملكية الأرض في العهد الثنائي .
ب. تطور الزراعة في العهد الثنائي .
ج. تطور التعليم في العهد الثنائي .

الدرس السادس :

الحركة الوطنية السودانية (١٨٩٩-١٩٥٣م)

بدأ الشعور القومي يتجلي في السودان منذ القرن التاسع عشر وزادت الثورة المهدية والدولة التي قامت علي انتصاراتها من متانة الشعور بالانتماء للوطن . ولم تبدأ الحركة الوطنية في فترة الحكم الثنائي من يومها مكتملة المعالم بل تدرجت عبر مراحل ويمكن تمييز خمس مراحل في تطور الحركة الوطنية. تمتد المرحلة الأولي من ١٨٩٩م حتى نهاية الحرب العالمية الأولي عام ١٩١٨م . وشهدت هذه الفترة أشكالا أولية من الصدام أخذت طابعاً دينياً وقبلياً وإقليميا . وتمتد المرحلة الثانية من نهاية الحرب حتى هزيمة ثورة ١٩٢٤. وتمتد الفترة الثالثة من ١٩٢٥الي ١٩٣٥ وكانت فترة ركود واضمحلال في الحركة الوطنية . وتمتد الفترة الرابعة من ١٩٣٨الي نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥وهي الفترة التي تولي فيها مؤتمر الخريجين قيادة الحركة الوطنية . وتمتد الفترة الخامسة من نهاية الحرب حتى توقيع اتفاقية القاهرة عام ١٩٥٣. وهي الفترة التي نضجت فيها الحركة الوطنية وتوج جهدها بحصول السودان على حقه في الحكم الذاتي.

المرحلة الأولي في تاريخ الحركة الوطنية ١٨٩٩ – ١٩١٨م

شهدت هذه الفترة عدداً من حركات المقاومة الرافضة للحكم الثنائي الاستعماري . وتمثلت في حركات المقاومة ذات الطابع الديني والقبلي والإقليمي وقد اتصفت المقاومة في هذه المرحلة بالطابع العفوي وضعف الإمكانيات والتنظيم وقد تمكن الحكم الاستعماري من القضاء عليها بسهوله ويسر .

١. حركات المعارضة الدينية :

كانت الحركات الدينية أول أشكال المقاومة . فكان تجمع أبناء المهدي الفاضل

والبشري وعبد الرحمن ومعهم الخليفة شريف في قرية الشكابة الشريف طه بالجزيرة في عام ١٨٩٩م ورأت الحكومة أن في تجمعهم خطراً عليها ، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت القرية وقتلت سبعة عشر فرداً واعدم كل من الخليفة شريف وابني المهدي الفاضل والبشري ونجا السيد عبد الرحمن من المذبحة وكان طفلاً صغيراً آنذاك . وفي عام ١٩٠٠م ظهر علي عبد الكريم بامدرمان وهو من أقارب الإمام محمد احمد المهدي وأعلن دعوه دينية ولكن قبض عليه وشكل الحاكم العام مجلساً لمحاكمته فنفي إلي وادي حلفا وظل بها حتى وفاته عام ١٩٤١م. ومن هذه الحركات حركة الفكي محمد ١٩٠٢م في جنوب دارفور الذي ينتمي إلي البرنو . وقد انتهت باعدامة ، وحركة محمد الأمين الجعلي في عام ١٩٠٣م في جنوب كردفان وقد حاصرته قوات الحكومة وأحرقت مقره في تقلي وتم إعدامه ، ومن هذه الحركات حركة محمد ادم الدنقلاوي في سنار الذي ادعي انه النبي عيسي ، وحركة محمد ود البشير الذي يعمل ترزياً بود مدني ، وموسي احمد البرقاوي في كسلا . واغلب هؤلاء ادعي انه النبي عيسي وقد تم القضاء علي كل هذه الحركات وانتهي أمر زعمائها بالإعدام. وفي عام ١٩٠٨م اندلعت حركة عبد القادر محمد إمام الشهير بودحبوبة بأرض الحلاوين بالجزيرة ، وكان البطل عبد القادر ود حبوبه من الأنصار المخلصين ، وقد شارك في معارك المهدية ، وكان ضمن المحاربين في حملة عبد الرحمن النجومي إلي مصر (توشكي) . وقد أُسر عبد القادر بعد موقعة توشكي وظل في مصر ثم عاد للسودان. بعد هزيمة الدولة المهدية ظل عبد القادر علي ولائه للمهدية وتجمع حوله الأنصار بعد أن استقر في قريته (التقر) واخذ في قراءة الراتب. وحينما علمت الحكومة بهذا النشاط أرسلت قوة عسكرية بقيادة (مونكريف) مساعد مفتش رفاعة ، وقد تمكن عبد القادر ود حبوبه من قتل اليوزباشي محمد أفندي شريف مأمور مركز المسلمية ومساعد المفتش (مونكريف) وذلك في ابريل ١٩٠٨م .

وبعد هذه الواقعة تحرك عبد القادر ود حبوبه وهاجم قوات الحكومة في كتفية بأرض الحلاوين في مجلس ريفي ود حبوبه حالياً . وقد فقد عبد القادر عدداً من إتباعه في هذا الهجوم وتم اعتقاله وحكم عليه بالإعدام مع

اثني عشر شخصاً من إتباعه شنقاً في مركز الكاملين في ١٧/ مايو / ١٩٠٨م. وقد علق جسده في سوق حلة مصطفي . وقد خلد الأدب الشعبي السوداني هذا الموقف البطولي النابع من جذوة المهدية المتقدة . وقد لاقت هذه الانتفاضة تأييداً واسعاً من الأنصار وأبانت أن جذوة المهدية مازالت تضئ النفوس. فعمدت الحكومة إلي مراقبة الأنصار ومنعهم من التجمع كما حددت إقامة السيد عبد الرحمن المهدي.

٢. حركات المقاومة القبلية :

المقاومة في جبال النوبة :

تواصلت حركات المقاومة بعد ذلك فكانت حركات مناطق جبال النوبة وكانت بسبب الضرائب المرهقة فجاءت حملة الحكومة ضد سكان جبل رشاد ١٩٠٤م واحمد النعمان ملك جبل اكترا . ثم كانت مقاومة أهالي تلودي عام ١٩٠٦م . وتواصلت انتفاضات الجبال حتى عام ١٩١٧م . متخذه طابعاً شبه انتحاري في مواجهه أساليب القمع التي انتهجتها الإدارة البريطانية . بعد هذه الإحداث ضمت الحكومة جبال النوبة إلي مديرية كردفان وعينت نائباً للمدير ليكون مسئولا عنها .

وقد توالت الانتفاضات مثل حركة الملك عجبنا ١٩٠٨م وأهالي الدلنج عام ١٩٠٩م .وقد قضت الحكومة علي هذه الحركات بحزم وعنف فأعدمت قادتها وقضت عليها .

المقاومة القبلية في جنوب السودان :

وفي جنوب البلاد برزت مقاومة النوير الذين أمرتهم الحكومة بوقف الغارات علي الدينكا والانواك فلم يستجيبوا لنداء الحكومة. فأرسلت لهم الحكومة حملة تأديبية ، وقد ضعفت مقاومة النوير بسبب موت زعيماهم (دينكر) ١٩٠٦م و (دايو) ١٩٠٧م . وتلاحقت ثورات النوير حتى ١٩٢٨م فهاجموا الحكومة وقتلوا الكابتن (فيرجسن) مفتش بلاد النوير الغربية ، الذي اختطف واحدة من بناتهم . ولم تفلح الحكومة في القضاء علي الثورة إلّا في عام ١٩٣٠م. وقد أدي تفوق السلاح الناري إلي إخضاع القبيلة .

وقاومت قبيلة الزاندي الحكم البريطاني وكان الزاندي يتوجسون من أي

حكم أجنبي . كانت مقاومة الزاندي - الذين تقع معظم أرضيهم في الاستوائية - بقيادة السلطان (يامبيو) الذي أرسلت له حملة عسكرية بقيادة (ارمسترنق) وقد منيت بالفشل ، فأرسلت له حملة أخري عام ١٩٠٥م وتمكنت من هزيمته وقتله . وقسمت منطقة الزاندي إلي ثلاثة مراكز هي مريدي وطمبرة ويامبيو. بأسماء سلاطين الزاندي الثلاثة.

ولم تختلف نظرة الدينكا للحكم البريطانى عن القبائل الاخري في الجنوب فكانوا يرونها قوة أجنبية تريد فرض سيطرتها عليهم . والدينكا من اكبر قبائل الجنوب وتنقسم إلي عدة فروع وثار الدينكا أقار عام ١٩٠٢م والدينكا اتون عام ١٩٠٩م علي أن اخطر ثورات الدينكا هي التي فجرها الدينكا عالباب عام ١٩١٩م عندما هاجمت مجموعة منهم مركزاً للشرطة . فأرسلت الحكومة حملة كبري تدعمها المدفعية والطائرات. وقد ظلت الحركات تظهر تباعاً في كل إنحاء البلاد رغم القسوة البطش والشدة من المستعمر وقد أفلحت في مجملها في المحافظة علي جذوة الجهاد مشتعلة في النفوس ولم يستطع الحكم الاستعماري أن يطفئ هذا الوميض مما مهد للحركة الوطنية السودانية الحديثة .

المقاومة الإقليمية: حركة السلطان علي دينار:

كانت أهم حركة مقاومة إقليمية للحكم البريطاني في سلطنة دارفور التي أقام فيها السلطان علي دينار دولة مستقلة بعد أن خرج منها محمود ود احمد متجها نحو المتمة للمساعدة في صد الجيش الغازي . وعلي دينار هو حفيد السلطان محمد الفضل المتوفى عام ١٨٣٨م . كان علي دينار ملازماً للخليفة منذ اعتقاله عام ١٨٩٥م وقد انسحب من امدرمان إلي دارفور في ١سبتمبر ١٨٩٨م. وذلك قبل يوم واحد من معركة كرري. وباستيلاء علي دينار علي الفاشر حاول أن يكسب ولاء الحكومة للاعتراف به سلطاناً علي دارفور ، وقد اعترفت به سلطاناً علي الفاشر في مايو ١٩٠١م علي أن يرفع علمي الحكم الثنائي في عاصمته ويدفع مبلغ خمسمائة جنية سنوياً للحكومة رمزاً لتبعيته لها .

لم تستمر هذه العلاقة بين علي دينار والحكومة طويلاً إذ جابهت علي دينار مشاكل عدة في دار فور ومن هذه المشاكل حامية الأنصار في كبكبية وقد

استطاع الانتصار عليها في عام ١٩٠٩م . ومنها هجمات قبائل الرزيقات والمعالياً وبعض السلطنات المستقلة ، كما ظهر فرنسيون في أواسط أفريقيا المتاخمة لحدود دارفور الغربية واحتلوا سلطنة ودّاي .

في تلك الظروف كان علي دينار يعمل جاهداً علي تامين استقلال السلطنة بينما الحكومة تشكك في نواياه خاصة بعد قيام الحرب الأولي عام ١٩١٤م . إذ فقد ثقته في الحكم الثنائي واتصل بالأتراك (نوري باشا ، وأنور باشا) مؤيدا تركيا في حربها ضد الحلفاء ، وأصبح يتوقع الامداد العسكري منهم للانقضاض علي دولة الحكم الثنائي . وفي نهاية الأمر تمكنت قوات الحكومة بقيادة الأمير آلاي (هدلستون) من هزيمة علي دينار وقتله في ٦/ نوفمبر ١٩١٦م . بذا أصبحت دارفور خاضعة للحكم الثنائي .

أسئلة :

اجب عن الأسئلة التالية باختصار :

أ. ما الطابع الذي ميز حركات المقاومة خلال الفترة(١٨٩٩- ١٩١٨م) ؟

ب. عرف (حادثة الشكابة) .

ج. اذكر أهم انتفاضات النوبة ضد الحكم الثنائي .

٢. اكتب مقالات تاريخية قصيرة حول الموضوعات التالية :

أ.حركة عبد القادر ود حبوبه ١٩٠٨ م.

ب. مقاومة الحكم الثنائي في جنوب السودان.

ج. حركة السلطان علي دينار

الدرس السابع:

المرحلة الثانية من تاريخ الحركة الوطنية ١٩١٨-١٩٢٤م

ظهرت الحركة الوطنية الحديثة التي قادت البلاد نحو الاستقلال بعد نهاية الحرب العالمية الأولي مباشرة، وظلت تقاوم الحكم الثنائي حتى نال السودان استقلاله.وقد ساعد في قوة ونمو هذه الحركة العديد من المؤثرات الداخلية والخارجية أبرزها ما يلي.

أولاً:

وحد الإسلام أهل السودان ثقافياً وسياسياً.

ثانياً :

أقيم في السودان ومنذ أواخر القرن التاسع عشر حكم مركزي مستقل تحت راية دولة المهدية مما بلور الشعور القومي السوداني.

ثالثاً :

تأثر الحركة الوطنية السودانية بالحركة الوطنية المصرية التي اشتعلت ضد الاستعمار البريطاني عام١٩١٩م .

رابعاً:

أصداء الثورات العربية المناهضة للاستعمار، في سوريا وفلسطين ولبنان والعراق والحجاز.

خامساً :

أثر المؤتمر الهندي وتمثل في إعجاب المثقفين السودانيين بشخصية (المهاتما غاندي) ومقاومته للاستعمار البريطاني .

سادساً :

اثر الحرب العالمية الأولي التي قادت إلي خلخلة النظام الاستعماري البريطاني وتضمين حق تقرير المصير لشعوب المستعمرات ضمن نقاط الرئيس الأمريكي ولسون.

سابعاً :

الأثر الذي أحدثته الثورة البلشفية ١٩١٧م في روسيا من مناداة بالحرية

ودعوة للنضال والتحرر . كل هذه العوامل دفعت بالحركة الوطنية السودانية إلي مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الوطني ضد الاستعمار. ولمواجهه الأثر المصري ولمنع تسرب الروح القومية إلي السودان اتخذت الحكومة الاستعمارية عدة خطوات لتأكيد ذاتية السودان المستقلة عن مصر ، أهمها تأييد شعار (السودان للسودانيين). ولأضعاف النفوذ المصري بالسودان أخذت في استبدال السودانيين بالموظفين المصريين بالتدريج كما أدخلت مقررات خاصة لتدريب موظفي الحكومة السودانيين. ومنذ عام ١٩٢٢م ، بدأت في إرسال بعض خريجي كلية غردون للدراسات العليا في بيروت بدلا من القاهرة التي هرب إليها الكثير من الخريجين السودانيين . وقد زادت الكلية العسكرية من طلابها وفي عام ١٩٢٤م فتحت مدرسة كتشنر الطبية . وعين بعض السودانيين في مدينة الخرطوم وبور تسودان في مجلسين استشاريين ، كما عين بعض الوجهاء في وظائف قضاة من الدرجة الثالثة كما صدر قانون سلطان المشايخ في عام ١٩٢٢م . وعملت الحكومة علي توفير المال لتطوير مشروعي القطن في الجزيرة والقاش عام ١٩٢٢م. وشجعت الحكومة البلاد علي نشر الآراء المقاومة لمصر وبالفعل ظهرت ميول الزعماء السودانيين نحو بريطانيا في وفد التهنئة بالنصر في الحرب الذي سافر لبريطانيا عام ١٩١٩م . وقد تكون الوفد من كل السيد علي الميرغني والسيد عبد الرحمن المهدي والسيد الشريف يوسف الهندي وثلاثة ممثلين للعلماء وأربعة من زعماء القبائل ولم يشتمل الوفد في تكوينه علي المثقفين ورجال الأعمال وأبناء المديريات الجنوبية .

وقد انتقد الوطنيون المصريون الوفد واعتبروه جزءا من مخطط بريطاني للانفراد بحكم السودان ، وهاجموا الزعماء الثلاثة . مما دفع الزعماء الثلاثة لإصدار جريدة سودانية تعبر عن أرائهم السياسية وهي جريدة حضارة السودان التي تولي رئاسة تحريرها حسين شريف .

البدايات الأولي للحركة الوطنية الحديثة :

كانت البداية متواضعة فقد انبثق الوعي وسط المتعلمين الذين وفدوا من مختلف أنحاء البلاد وتنادوا لرابطة تجمع بينهم فكان نادي خريجي المدارس الذي تأسس عام ١٩١٨م منبراً يعبر عن هذه الروح الجديدة. أنشئ النادي في هذه

الفترة تحت مراقبة الإدارة البريطانية التي عينت له رئيساً من البريطانيين. بدأ النادي في مباشرة نشاطه الثقافي والاجتماعي وكان نشاطاً محدوداً يعبر عن هذه المرحلة التاريخية . فكانوا يحتفلون بالمناسبات الدينية ويقيمون حفلات التأبين للشخصيات العامة .

ومن خلال نشاط نادي خريجي المدارس ومن مقالات جريدة حضارة السودان ، بدأت تتشكل بواكير الوعي الذي كان لابد له من منبر آخر أعلي صوتاً وقد تمثل ذلك في ميلاد جمعية الاتحاد السوداني .

جمعية الاتحاد السوداني :

ولدت في عام ١٩٢٠م في مدينه أم درمان من طلبة وخريجي كلية غردون الذين عرفوا بالأفندية . وأعضاء الجمعية المؤسسون هم عبيد حاج الأمين ، وتوفيق صالح جبريل ، ومحي الدين جمال أبو سيف وسليمان كشة وإبراهيم بدري . وهي أول تنظيم سياسي في تاريخ السودان الحديث وكانت تعتمد علي أسلوب المنشورات التي ترسل للإداريين البريطانيين والزعماء الدينيين بالبريد، كما عملت علي تهريب بعض خريجي كلية غردون إلي مصر للدراسة في الجامعات المصرية ونشر بعض أعضائها المقالات المعادية لبريطانيا في الصحف المصرية. وتنظيم الجمعية يقوم علي السرية وقد تكونت أول خلية لها في أم درمان وكان عبيد حاج الأمين هو قائد الحركة ومفكرها، وللجمعية فروع بأقاليم السودان . باتساع الوعي القومي لم يعد نشاط الجمعية السري كافياً للتعبير عن هذا الوعي المتنامي فنشب صراع داخل الجمعية وقد اشتد بسبب التطورات التي كانت تشهدها مصر . فنادي بعض أعضاء الجمعية بالاستمرار في أسلوب السرية والحيطة ، بينما أراد البعض مواجهه الاستعمار والمتعاونين معه وفي أثناء الخلاف تدخلت المخابرات واخترقت صفوف الجمعية مما أدي لحلها .

جمعية اللواء الأبيض :

أدي الصراع داخل جمعية الاتحاد السوداني إلي انقسامها وفي ذلك المنعطف برزت شخصية علي عبد اللطيف لينتج من ذلك الانقسام ومن بروز علي عبد اللطيف تكوين تنظيم جديد هو جمعية اللواء الأبيض . فقد بدأ

عبيد حاج الأمين يسعي لتوسيع قاعدة المجموعة التي قادها خارج جمعية الاتحاد السوداني واتصل في ذلك المسعى بالضابط السابق علي عبد اللطيف. ولد علي عبد اللطيف عام ١٨٩٩م من أب من جبال النوبة و أم من قبيلة الدينكا . تخرج علي عبد اللطيف في الكلية الحربية في ١٩١٤م برتبة ملازم ونال ميدالية الحاكم العام لتفوقه وتنقل في مراكز الجيش المختلفة وفي مدينة ود مدني كون جمعية اتحاد القبائل السودانية التي تدعوا إلي سودان مستقل . وفي مايو ١٩٢٢م أرسل علي عبد اللطيف مقالاً إلي جريدة حضارة السودان بعنوان مطالب الأمة السودانية وهاجم فيه الاستعمار البريطاني ونادي بحق السودانيين في تقرير مصيرهم . ولم ينشر مقال علي عبد اللطيف فقد رفضت الجريدة نشرة كما علمت المخابرات بأمره مسبقاً فهاجمت الجريدة وصادرت المقال . واعتقل علي عبد اللطيف وحكم عليه بالسجن لمده عام والطرد من الخدمة العسكرية . وخرج من السجن بطلاً قومياً . كان ذلك في الوقت الذي انقسمت فيه جمعية الاتحاد السوداني فتلقفه عبيد حاج الأمين وضمه إلي مجموعته وكونوا جمعية اللواء الأبيض في مطلع عام ١٩٢٤م تشكلت قيادة الجمعية من علي عبد اللطيف رئيسا وعضوية عبيد حاج الأمين وصالح عبد القادر وحسن صالح المطبعجي وحسين شريف .

صورة رقم (٣) : أبطال ثورة ١٩٢٤م .

النشاط السياسي لجمعية اللواء الأبيض وثورة عام ١٩٢٤م :

لم تستمر جمعية اللواء الأبيض سوي أشهر قليلة إلا أنها كانت أشهرا مليئة بالأحداث العاصفة ، وقد بلغت هذه الأحداث ذروتها في عام ١٩٢٤م حينما وقع عدد من القادة السودانيين علي عريضة أرسلت للحاكم العام مطالبين بان تكون بريطانيا وصية علي السودان ، حتى يتمكن أهله من حكم أنفسهم . وقد وقفت جمعية اللواء الأبيض ضد تلك العريضة.

عندما تشكلت أول حكومة برئاسة سعد زغلول أرسلت جمعية اللواء الأبيض برقية تهنئة إلي البرلمان المصري . ثم قررت الجمعية إرسال وفد إلي مصر لينقل رأيها إلي الحكومة المصرية وتكون الوفد من محمد المهدي الخليفة عبد الله وزين العابدين عبد التام لمصر لتسليم عريضة ولاء ومؤازرة للزعيم سعد زغلول ، ولكن تم اعتقالهما وأعيدا إلي الخرطوم ونظمت الجمعية أول مظاهرة في ١٧يونيو ١٩٢٤م وهي أول مظاهرة سياسية في تاريخ البلاد علي أن المظاهرة الأكبر كانت يوم ١٩/ يونيو بعد يومين من عودة الوفد ففي ذلك اليوم توفي مأمور امدرمان عبد الخالق أفندي حسن وكانت له سمعة عالية في المدينة فاستغلت اللواء الأبيض الجو المعادي للحكومة فنظمت موكباً لتشييعه. وتواصلت المظاهرات في العاصمة طوال شهر يوليو ثم اندلعت المظاهرات في مدن اخرى: بور تسودان والأبيض وود مدني وشندي وغيرها من المدن الأخرى. وفي الثلاثين من يونيو اعتقل عبيد حاج الأمين وبقية قيادات الجمعية وأودع المعتقلون السجون حيث لقوا معاملة قاسية وانحسرت المظاهرات ثم توقفت تماماً فانتهت المرحلة الأولي من الثورة لتعقبها المرحلة التي برز فيها العسكريون .

سيرت اللواء الأبيض مظاهرة إلى ثكنات الكتيبة المصرية في عطبره فأنضم جنودها إلى المتظاهرين متحدين أوامر رؤسائهم . تمكنت الإدارة البريطانية من احتواء الموقف أجليت كتيبة السكة حديد المصرية إلى مصر .

وفي صباح الثامن من أغسطس خرج طلبة الكلية الحربية في الخرطوم في مظاهرة صاخبة وتوجهوا إلى منزل علي عبد اللطيف وأدوا التحية العسكرية وساروا إلى سجن كوبر لتحية المعتقلين . وتم اعتقالهم وجردوا من السلاح . واتضح للإدارة البريطانية أن المصريين العاملين في الإدارة وفي الجيش المصري

قد لعبوا دوراً مؤثراً في الأحداث فقررت إجلاء الوحدات المصرية من السودان . وقد بلغت الأحداث ذروتها باغتيال (السير لي إستاك) حاكم عام السودان وسردار الجيش المصري في شوارع القاهرة في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤م . وفي الحال أرسلت بريطانيا إنذاراً لحكومة سعد زغلول المصرية بسحب الوحدات المصرية من السودان خلال أربعة وعشرين ساعة ، وأن تكون الوحدات السودانية قوة دفاع السودان.

رفض سعد زغلول تنفيذ الإنذار واستقال من منصبه . وفي السودان حاصرت الوحدات البريطانية الوحدات المصرية العاملة بالسودان ، ورفض المصريون الانسحاب إلا بأمر من قائدهم . وحينما أجبرت الوحدات المصرية على الانسحاب آزرتهم الوحدة السودانية ، وتقدمت نحو الخرطوم بحري بقيادة عبد الفضيل الماظ ، وفي الطريق اعترضتهم قوة من الجيش البريطاني بقيادة هدلستون واشتبكوا مع القوات البريطانية في معركة قتل فيها الكثير من الطرفين . وكان عبد الفضيل الماظ قد تحصن بالمستشفي العسكري وبقي صامداً فيه حتى هدموا عليه المبني بالقنابل فاستشهد ممسكاً بمدفعه. واعتقل بقية الضباط وكان قائد القوات المصرية قد وعد بإطلاق النار على القوات البريطانية ، إذا حاولت قطع طريق القوات السودانية ، ولكن رفعت قائد القوات المصرية لم يف بوعده ، بينما أصدرت الحكومة المصرية أوامرها للقوات المصرية بالانسحاب من السودان إلى القاهرة . وتسبب ذلك في خيبة أمل السودانيين الموالين لمصر من مدنيين وعسكريين وأصبح بعضهم فيما بعد معادياً لأي اتحاد مع مصر .

انتهجت حكومة السودان سياسة قمع عنيفة فأعدمت الضباط سليمان محمد وثابت عبد الرحيم ، وحسن فضل المولى وكانوا معلمين بالمدرسة الحربية . وحكم بالسجن على آخرين لفترات مختلفة .وفي فبراير ١٩٢٥ شكلت محكمة علنية لمحاكمة قادة اللواء الأبيض ودافع علي عبد اللطيف عن موقفه وعن رئاسته للجمعية . وحكم على علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين وثلاثة آخرين بالنفي إلى واو في بحر الغزال وعلى البقية بالسجن .

لقد كان لثورة ١٩٢٤ جوانب ضعفها وقوتها وأهم جوانب الضعف

أن أحداثها وقعت في أزمان متفرقة فالمظاهرات كانت في يونيو ويوليو وتمرد الطلبة الحربيين في أغسطس والصدام المسلح في نوفمبر وسهل عدم التنسيق هذا على الحكومة مهمة القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى .

أسئلة :

١/ أجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١. متى ظهرت الحركة الوطنية الحديثة في السودان ؟

٢. وضح تكوين الوفد السوداني الذي سافر إلى بريطانيا عام ١٩١٩ لتهنئة ملكها بالانتصار .

٣. ما المنابر التي عبر من خلالها الخريجون عن وعيهم الوطني قبل عام ١٩٢٠.

٢/ أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة :

١. أول صحيفة سودانية صدرت للتعبير عن آراء الزعماء الثلاثة هي صحيفة ... التي تولى رئاسة تحريرها .....

٢. تكون الوفد الذي حمل عريضة الولاء التي أرسلتها جمعية اللواء الأبيض إلى مصر من ..... و .....

٣. من أهم جوانب ضعف ثورة ١٩٢٤ ..... و.....

٣/ اكتب مقالات تاريخية قصيرة حول :

١. المؤثرات الداخلية والخارجية على الحركة الوطنية .

٢. جمعية الاتحاد السوداني .

٣. جمعية اللواء الأبيض .

٤/ اكتب مقالاً تاريخياً عن ثورة ١٩٢٤ ونتائجها .

الدرس الثامن :

المرحلة الثالثة في تاريخ الحركة الوطنية : (١٩٢٥ – ١٩٣٧م)

بعد القضاء على ثورة ١٩٢٤ بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية الحديثة امتدت لإثني عشر عاماً تكونت فيها المشاعر الوطنية في ظروف بالغة التعقيد . وقد اعتبرت الإدارة البريطانية أن عدوها الرئيس طبقة المثقفين ولا بد من إضعاف نفوذهم . ولم يبرز من الأحداث السياسية سوى اضراب طلبة كلية غردون عام ١٩٣١م بقيادة مكي المنا وكان السبب فيه قيام الإدارة البريطانية بتخفيض مرتبات الخريجين السودانيين من ثمانية إلي خمسة جنيهات ونصف كنتاج للأزمة الاقتصادية العالمية مما دفع بالطلاب إلي الاضراب والاعتصام بالكلية وقد فشلت الإدارة البريطانية في منع الاضراب مما دفعها الي توسيط بعض الشخصيات السودانية مثل السيد عبدالرحمن المهدي والسيد أحمد الفيل الذين نجحوا في اقناع الطلاب برفع الاضراب بعد أن تراجعت الحكومة عن قرارها. غير أن الإدارة عمدت الي اتخاذ إجراءات قاسية تجاه الطلاب .

فكان أن اتجهت الحكومة لإغلاق المدرسة الحربية ومدرسة الإدارة . وأوقفت الابتعاث إلى بيروت ، كما لم تفتح مدرسة خلال الفترة من(١٩٢٤ إلى ١٩٣٤م) . وفي ١٩٢٤م أعلن الحاكم (جون مفي) سياسة الحكم غير المباشر بمساعدة زعماء القبائل في مقابل تقليص نفوذ الأفندية .

نتيجة لهذه السياسة ولانعدام التأييد والتشجيع المصري أوقف الوطنيون السودانيون نشاطهم السياسي والعسكري ضد البريطانيين واتجهوا إلى النشاط الأدبي والاجتماعي فكرسوا جهدهم للتعليم ودراسة مجتمعهم بهدف الوصول إلى الجماهير فظهرت الجمعيات الأدبية .

الجمعيات الأدبية :

انتشرت في هذه الفترة جمعيات القراءة والمدارس الفكرية . وقد كان نادي الخريجين في أم درمان وأندية الخريجين في الأقاليم تشهد حركة نشطة وصراعاً حول القيادة في هذه الأندية فتمرست جماعة المثقفين على العمل

السياسي والتنظيمي والقيادي.

وفي هذه الظروف ظهرت جماعة الابروفيين من سكان أبوروف وكانت أول جمعية للقراءة وقد تكونت من خريجي كلية غردون ، وكانت تضم كل من حسن وحسين عثمان الكد وخضر حمد ، وحماد توفيق ، وعبد الله ميرغني، وإبراهيم يوسف سليمان ، وإسماعيل عتباني ، والدكتور إبراهيم أنيس وقد تأثر هؤلاء بالثقافة المصرية كما درسوا الأدب الإنجليزي ، كما تكونت جمعية أخرى من أبناء حي الموردة بأم درمان ، وأغلب هؤلاء من الهاشماب وبرز منهم عرفات محمد عبد الله مؤسس جريدة الفجر ، وأحمد يوسف هاشم، ومحمد أحمد محجوب و الدكتور عبد الحليم محمد ، ويوسف التني ، وعبد الله ومحمد عشري الصديق ، والشاعر التيجاني يوسف بشير ، وكانوا قوميي التوجه وأصبحوا من دعاة القومية السودانية . وقد اصدرت هذه الجماعة مجلة الفجر للتعبير عن افكارها فعرفت ايضاً بجماعة الفجر .

ونشأت في ود مدني جمعية أدبية بقيادة أحمد خير المحامي ، وكانت تشجع العضوية على القراءة والكتابة ، ومن هذه الجمعية نبعت أفكار عظيمة أحدثت أثراً كبيراً في حركة الخريجين فكانت فكرة مؤتمر الخريجين ويوم التعليم والمهرجان الأدبي .

وفي منتصف الثلاثينيات تكونت جمعية الأشقاء لأن نفراً من مؤسسيها كانوا إخوة ونادوا بالوحدة مع مصر وقد اهتمت جمعيتهم بالجانب السياسي أكثر من الجانب الثقافي . ومن أبرز أعضائها إسماعيل الأزهري ويحي الفضلى ومبارك زروق وحسن عوض الله .

وقد تعدد نشاط الخريجين الاجتماعي وامتد للأعمال الخيرية فجمعت التبرعات لمدرسة الطب وللمجاعة في سنجة وللمدرسة الأهلية وملجأ القرش كما كان الاهتمام بما يجري في العالم الخارجي وجمعوا التبرعات لنصرة فلسطين .

وقد كانت هذه الجمعيات ملاذاً ومكاناً تبلور فيه الوعي القومي السوداني ونضجت فيه الأفكار وكانت النواة التي خرجت منها الأحزاب السياسية السودانية فيما بعد .

وجدت الحركة الوطنية دفعة في إضراب طلبة كلية غردون عام ١٩٣١م وجاء ذلك الإضراب بعد سبع سنوات من القضاء على ثورة ١٩٢٤م والسبب المباشر للإضراب تخفيض مرتبات الخريجين وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية . لكن الحكومة لم تخفض مرتبات البريطانيين والأجانب . وعاد الطلاب للدراسة بعد وساطة السيد عبد الرحمن المهدي . وقد كشف الإضراب عن قدرات الجيل الجديد كما كان حافزاً للمتعلمين للتصدي لمشاكلهم .

وبحلول ١٩٣٤م جاء (السير استيورات سايمز) حاكماً عاماً للسودان وانتهج سياسة جديدة تعتمد على التعاون مع المثقفين لبناء دولة حديثة تحت شعار السودان للسودانيين وتكون ترياقاً مضاداً للنفوذ المصري . لذا رفعت الرقابة على الصحف والمجلات وكان من ثمرة ذلك أن أعلنت مجلة الفجر التي أسسها عرفات محمد عبد الله في أول افتتاحية لها بعد رفع الحظر عن الصحف في أول مايو ١٩٣٥م أن هدفها الرئيس قد تحول إلى التركيز على المسائل السياسية والاجتماعية الخاصة بالبلاد بدلاً من التركيز على الفن والأدب . وقد عمل سايمز على تدريب السودانيين لشغل المناصب العليا وكون لجنة (دي لاور) لتقديم مقترحات تهدف لتطوير التعليم ، هذه الفترة من تطور الحركة الوطنية الحديثة تعتبر فترة مهمة رغم أنها لم تشهد أي عمل سياسي صاخب مثل ثورة ، ولكنها كانت فترة تكوين ونشوء وارتقاء وقد تبلورت خلال هذه الفترة الأفكار والطموحات وكانت إرهاصا للتطورات السياسية اللاحقة .

أسئلة :

١ . أجب عن الأسئلة التالية باختصار .

أ. وضح الإجراءات القمعية التي اتخذتها الحكومة ضد المثقفين بعد ثورة ١٩٢٤م وأثرها .

ب. ما أسباب إضراب طلبة كلية غردون عام ١٩٣١م .

ج. وضح السياسة الجديدة التي انتهجها السيراستيورت سايمز منذ ١٩٣٤م .

٢ . اكتب مقالاً تاريخياً حول الجمعيات الأدبية ودورها في الحركة الوطنية .

صورة رقم (٤) الزعماء الدينيون الثلاث

الدرس التاسع:

المرحلة الرابعة في تاريخ الحركة الوطنية (١٩٣٨- ١٩٤٥م)

سيطر مؤتمر الخريجين علي مجري الحركة الوطنية السودانية منذ تأسيسه ١٩٣٨م وحتى عام ١٩٤٥م . وهناك عوامل داخلية وخارجية أثرت في التطورات التي شهدتها هذه الفترة منها اتساع فرص التعليم وتتابع صدور الصحف.إلا أن العوامل الخارجية كانت أعمق أثراً في جذب المتعلمين إلي دائرة النشاط السياسي وأولها السياسة البريطانية الجديدة في السودان التي أخذت تتجه نحو المتعلمين بهدف التعاون معهم خاصة بعد ظهور الحكم الفاشي في إيطاليا والحكم النازي في ألمانيا . وسعت بريطانيا إلي تأمين ظهرها فوقعت معاهدة عام ١٩٣٦م مع الحكومة المصرية . واعترفت المعاهدة باستمرار الاحتلال البريطاني للسودان ونصت علي إعادة بعض القوات المصرية إلى السودان . وصدم المتعلمون من المعاهدة فقد جاء البند الحادي عشر مخيبا لآمالهم وجاء

فيه اتفاق الطرفين علي أن الهدف الأساسي من حكمهما للسودان هو رفاهية السودانيين. واعتبر السودانيون أن تعبير « رفاهية » مبهم للحد الذي دفع بالسيد عبد الرحمن المهدي للسفر إلي بريطانيا ليستوضح معني الرفاهية . لقد دفعت تلك المعاهدة بالمتعلمين للتفكير في تنظيم أنفسهم.

بدأت فكرة مؤتمر الخريجين علي المسرح السياسي نتيجة لنشاط المثقفين السودانيين في المجالات الثقافية والاجتماعية. وقد بدأت الدعوة بتجمع الخريجين في مقال لخضر حمد في جريدة السودان ١٩٣٥م ثم أبرز الفكرة ونادي بها أحمد خير في محاضرة له في نادي الخريجين بود مدني ١٩٣٧م وكان النادي قد عقد ندوة بعنوان «واجبنا بعد معاهدة ١٩٣٦م « . حيث نادي بالاتحاد الفكري وقد نشرت مجلة الفجر محاضرة احمد خير وعرضت الفكرة علي لجنة نادي الخريجين بأم درمان برئاسة إسماعيل الأزهري الذي لم يتحمس لها في بادئ الأمر ، ثم عقدت المؤتمرات والندوات في كل مكان من أم درمان وبور تسودان وود مدني . وبعد مجهودات عدة وافقت الحكومة علي قيام المؤتمر واصدر السكرتير الإداري منشورا بعدم التصدي للداعين للمؤتمر.

مؤتمر الخريجين المرحلة الأولي(١٩٣٨-١٩٤١م) :

انعقد المؤتمر في فبراير ١٩٣٨م وقد اختلفت آراء الخريجين حول أهدافه، فبعضهم يرى أن تبدأ الفكرة بالتركيز علي خدمة مصالح الخريجين ثم ينتقل للنشاط السياسي بينما رأى البعض الآخر أن تكون فكرته منذ البداية تكوين هيئة قومية تتحدث باسم البلاد . وأخيرا تم الاتفاق علي أن يكون هدفه خدمة مصالح الخريجين والبلاد معا وكانت عضوية المؤتمر تشمل خريجي المدارس والمعاهد السودانية التي فوق مستوى الأولية .

في ١٢ فبراير ١٩٣٨م اجتمع (١١٨٠) خريجاً أغلبهم من موظفي الحكومة وانتخبوا مجلسا من ستين عضوا وكون المجلس أول لجنة تنفيذية لمؤتمر الخريجين وقد استولي المعتدلون علي اللجنة وكانت برئاسة إبراهيم احمد وسكرتيرها إسماعيل الأزهري .

وباختيار اللجنة كتب سكرتيرها خطابا للسكرتير الإداري لحكومة السودان يعلن فيه تكوين المؤتمر وأهدافه . وقد أبان أن المؤتمر يهدف للإصلاح

الاجتماعي والاشتراك في المسائل العامة دون إحراج الحكومة . وقد رحب السكرتير الإداري لحكومة السودان بميلاد المؤتمر واعترفت به الحكومة وذلك كي تؤمن جانب المتطرفين من الوطنيين . وقد اصدر المؤتمر جريدة باسمه كما كون له فروعا في أقاليم السودان ووجدت عضوية المؤتمر إقبالا من المتعلمين ، وانصرف المؤتمر إلى الأعمال الاجتماعية كبناء المدارس الأهلية وتعيين المدرسين لهذه المدارس وجمع المال من التبرعات .

ولما علمت مصر بقيام المؤتمر ارتابت في أمره وفي نواياه لظنها انه دسيسة بريطانية ولكن بعد أن زار السودان رئيس الوزراء المصري علي ماهر في ١٩٤٠م واحتفل به المؤتمر وأوضح له أهدافه زال توجس وخوف مصر من المؤتمر .

سارت العلاقات بصورة طيبة بين المؤتمر والحكومة حتى أن المؤتمر أعلن تأييده لبريطانيا والحلفاء عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ونمت علاقة الحكومة مع الخريجين كما توطدت العلاقات بين الموظفين البريطانيين والمثقفين السودانيين .

مؤتمر الخريجين : المرحلة الثانية ١٩٤٢م :

انعكس أثر ظروف الحرب العالمية وإعلان ميثاق الأطلنطي الذي نتج عن اجتماع بين رئيس الوزراء البريطاني تشرشل والرئيس الأمريكي والذي بشر بحق تقرير المصير للشعوب بعد نهاية الحرب علي السودان وعلي أعضاء المؤتمر . وفي ٣ أبريل ١٩٤٢م بعث المؤتمر بمذكرة للحاكم العام (السير هربرت هدلستون) الذي جاء خلفا للحاكم العام(جورج استيورت سايمز) . وطالبت المذكرة بحق تقرير المصير . وإلغاء قوانين المناطق المقفولة وتحديد الجنسية السودانية وعدم تجديد عقد الشراكة الزراعية في الجزيرة ، ووقف الإعانات للإرساليات وتوحيد الجنسية وبرامج التعليم بين الشمال والجنوب كما حوت المذكرة مطالب أخري . وبهذه الصورة أسفر المؤتمر عن وجهه السياسي ، وجاء الرد من جانب الحكومة بخطاب من السكرتير الإداري (السير دوجلاس نيوبولد) نيابة عن الحاكم العام بخطاب شديد اللهجة رافضاً فيه استلام المذكرة واصفاً المؤتمر بأنه مجموعة أشخاص لا يمثلون أي هيئة قومية سياسية وإن مؤتمرهم قد فقد ثقة الحكومة فيه ، وأن الحكومة لا تتعاون مع المؤتمر إلا إذا احترم

رغباتها على أن يحصر نفسه في الشؤون الاجتماعية وألا يتطرق إلى المسائل التي تهم الشؤون الخارجية مثل تقرير مصير السودان .

أدت المذكرة إلى خلق جو من التوتر بين المؤتمر والحكومة فرأت الحكومة أن تمارس بعض الضغوط فأجرى السكرتير الإداري اتصالات شخصية مع بعض قيادات المؤتمر المعتدلين وأبدى لهم تعاطف الحكومة مع مطالبهم ونجح في استمالة بعض تلك العناصر . ثم أصدرت الحكومة أمراً بمنع الموظفين من العمل السياسي وبما أن الحكومة هي أكبر مخدم فإن القرار يعني إضعاف عضوية المؤتمر .

قادت سياسة الحكومة إلى طريق مقفول بينها وبين المؤتمر وإلى انشقاق المؤتمر إلى قسمين وقد كان رأي المعتدلين إعطاء الحكومة فرصة لتثبت حسن نواياها ووعدها بالتدرج نحو الحكم الذاتي ثم الاستقلال.

مؤتمر الخريجين المرحلة الأخيرة (١٩٤٣م – ١٩٤٥م)

كانت انتخابات الدورة السادسة للمؤتمر التي جرت عام ١٩٤٣م أعنف المعارك الانتخابية في تاريخها ووقفت في تلك الانتخابات مجموعتان متصارعتان المجموعة الأولى الأشقاء والمجموعة الثانية مجموعة من الأنصار. واكتسح أزهري وتحالف الأشقاء الانتخابات ضد تحالف المعتدلين وأصبح رئيساً للمؤتمر . وكان التعاون بين الأشقاء والسيد علي يزداد رسوخاً كما أصبح الدور المصري في السياسة السودانية آخذاً في التصاعد .

وقام أزهري في عامي ١٩٤٢م و١٩٤٣م بزيارة مصر والاتصال بقادتها وبدأ الدعم المصري للأشقاء ينساب وازدادت مخاوف السيد علي الميرغني من طموح السيد عبد الرحمن ليصبح ملكاً على السودان فقدم دعمه للأشقاء. ولم تقف الإدارة البريطانية أمام الدور المصري المتنامي فأعلنت عن تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان وأيدته الجماعة الداعية للتعاون مع الإدارة البريطانية وقاطعته القوى السياسية التي تنادي بإنهاء الحكم البريطاني وتقف خلفها مصر .واتخذ المؤتمر قراراً بمقاطعة المجلس الاستشاري . واكتسح تحالف الأشقاء والختمية انتخابات الدورة الثامنة عام ١٩٤٥م فاستقال جماعة الأنصار والسيد عبد الرحمن وبقى الأشقاء يسيطرون على المؤتمر وحدهم .

صور رقم (٥) بعض قادة الحركة الوطنية

أسئلة :

١. أجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١. وضح المؤثرات الداخلية والخارجية والتي شهدتها الفترة من ١٩٣٨ -١٩٤٥ م.

٢. كيف برزت فكرة مؤتمر الخريجين ؟

٣. وضح موقف مصر من المؤتمر في بدايته ؟

٤. ما أهم المطالب التي تضمنتها مذكرة المؤتمر عام ١٩٤٢م ؟

٢. اكتب مقالاً عن مؤتمر الخريجين العام ودوره في الحركة الوطنية .

الدرس العاشر :

المرحلة الخامسة في الحركة الوطنية (١٩٤٥- ١٩٥٣م)

نشأة الأحزاب السودانية :

نشأت معظم أحزاب السودان في فترة ما قبل الاستقلال وكان لها دور بارز في نضج الحركة الوطنية التي قادت لاستقلال البلاد . وقد عرفت الأحزاب التي تؤمن بالروابط مع مصر بالأحزاب الاتحادية ، بينما عرفت الأحزاب التي تنادي بالاستقلال عن دولتي الحكم الثنائي بالأحزاب الاستقلالية .

أ) الأحزاب الاتحادية :

تتمثل في أحزاب الأشقاء الأحرار الاتحاديين» والاتحاديين» وحدة وادي النيل ، الجبهة الوطنية ، وقد بُنيت فلسفة الأحزاب الاتحادية علي التنسيق مع مصر بهدف إخراج الانجليز من البلدين ، وقد ارتبطت الأحزاب الاتحادية بطائفة الختمية التي أعطتها السند الشعبي . وفيما يلي تعريف بالأحزاب الاتحادية :

١/ حزب الأشقاء :

نشأ الحزب منذ سبتمبر ١٩٤٣م وكان أعضاؤه مجموعة متجانسة من الشباب بمجلس السيد عبد الرحمن المهدي ، حدث الخلاف بينهم وأدي تحولهم السياسي بعد انضمام إسماعيل الأزهري لهم وحقيقة الأمر أن مجلس السيد عبد الرحمن انقسم إلى جناحين منذ ديسمبر ١٩٤٢م أثناء انتخابات مؤتمر الخريجين ، مجموعة بقيادة إسماعيل الأزهري وعبد الله الفاضل ويحيي الفضلى ومجموعة الهاشماب بقيادة إبراهيم أحمد واحمد يوسف هاشم وكان النصر في الانتخابات حليفا لجماعة الأزهري في هذا العام .

نتيجة لهذا الخلاف اجتمع تسعة من هذه الجماعة وكونوا حزب الأشقاء . وكان هذا الحزب من أكثر الأحزاب شعبية وقد حظي بتأييد طائفة الختمية وعلي رأس هذه الطائفة السيد علي الميرغني وقد ترأس الحزب السيد إسماعيل الأزهري والحزب ينادي بوحدة وادي النيل . وللحزب صحيفة تصدر باسم الأشقاء . وفي أوائل الخمسينيات انشق حزب الأشقاء إلى جناحين احدهما

بقيادة إسماعيل الأزهري والثاني بقيادة محمد نور الدين .

٢/ حزب الاتحاديين :

نشأ عام ١٩٤٠م وأعلن رسميا في أكتوبر ١٩٤٤م . وقد ضم في تكوينه معظم المنتمين إلى جمعية أبي روف الأدبية ومن هؤلاء عبد الله الميرغني وإبراهيم يوسف سليمان . آمن الاتحاديون بوحدة السودان واتحاده مع مصر تحت تاج واحد وظل الحزب يباشر نشاطه حتى عام ١٩٥٢م واصدر له صحيفة باسم اللواء .

اندمج الحزب مع الأحزاب الاتحادية فيما عرف بالحزب الوطني الاتحادي . وبعد الاستقلال انسلخت جماعة من الحزب وكونت حزب الشعب الديمقراطي ،ثم حدث اندماج آخر تكون بموجبه الحزب الاتحادي الديمقراطي عام ١٩٦٨م . أصبح إسماعيل الأزهري رئيسا لهذا الحزب والشيخ علي عبد الرحمن نائبا له .

٣/ حزب وادي النيل :

من أكثر الأحزاب الاتحادية تطرفا في العلاقة مع مصر . وأسسه الدرديري أحمد إسماعيل في سبتمبر ١٩٤٥م . اصدر صحيفة باسم الحقيقة ونادي الحزب بالوحدة المطلقة مع مصر .

٤/ حزب الجبهة الوطنية :

نشأ هذا الحزب عام ١٩٤٩م تحت رعاية وزعامة الختمية بقيادة السيد علي الميرغني ونادي الحزب بالوحدة مع مصر . يرى البعض أن نشأته كانت عام ١٩٥١م واستمر لعام واحد فقط ثم اندمج مع الأحزاب التي كونت الحزب الوطني الاتحادي من قادته ميرغني حمزة والدرديري محمد عثمان وخلف الله خالد وكانوا يطالبون بالاستفتاء حول مصير السودان هل يكون في وحدة أم اتحاد مع مصر .

٥/ حزب الأحرار الاتحاديين :

نشأ في عام ١٩٤٤م بعد انشقاق عبد الرحيم شداد من جماعة الأشقاء ثم أنشق عام ١٩٤٥م الي جناحين اتحاديين وانفصاليين . وانحصر أنصار الحزب في الأندية الرياضية . فأصبح حزبا صغيرا ليس له سند شعبي وأسس صحيفة

تسمي الأحرار وقد اندمج أخيرا في الحزب الوطني الاتحادي .

٦/ الحزب الوطني الاتحادي :

نشأ الحزب الاتحادي بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م المصرية . وحينما بدأت قيادة الثورة المصرية الاتصال بالأحزاب الاتحادية (الاتحاديين وحزب الأحرار الاتحاديين وحزب وحدة وادي النيل و حزب الجبهة الوطنية) ثم اندمجت هذه الأحزاب في حزب واحد عرف بالحزب الوطني الاتحادي وذلك في أواخر ١٩٥٢م برئاسة إسماعيل الأزهري . اكتسح الحزب الانتخابات في عام ١٩٥٣م وتم تشكيل أول حكومة وطنية برئاسة إسماعيل الأزهري .

ب/ الأحزاب الاستقلالية :

نعني بها الأحزاب التي تنادي بالاستقلال التام دون أي رابطة من الروابط مع مصر.وتضم هذه الأحزاب حزب ألامه والحزب الاشتراكي والجبهة المعادية للاستعمار والقوميون .

١/ حزب الأمـــــــــــة :

رائد الأحزاب الاستقلالية . بدأ التفكير في إنشاء الحزب منذ عام ١٩٤٣م . تكونت لجنة لوضع دستور ولوائح الحزب في ١٩٤٥ برئاسة الصديق عبد الرحمن المهدي وعبد الله خليل سكرتيرا تمتع الحزب بزعامة السيد عبد الرحمن المهدي ومساندة الأنصار . وكان للحزب صحيفة تعرف بصحيفة الأمة وكان للحزب دور بارز في الحركة الوطنية فكان أقوي المدافعين عن الاتجاه الاستقلالي في المحافل الدولية . وقد قاد الحزب التوجه الاستقلالي حتي أغضب الإدارة البريطانية التي كان حليفا لها .

لقد كان للحزب دور أصيل في استقلال السودان وفي الحركة الوطنية السودانية لمناداته بالاستقلال ولشعبيته الكبيرة ومواقفه الصلبة وكان لمناداة الحزب بشعار السودان للسودانيين الأثر الكبير في بروز القومية السودانية .

٢/ الحزب الجمهوري الاشتراكي :

تكون الحزب في أواخر ١٩٥٢م قبل الاستقلال . ضم الحزب عددا من زعماء القبائل وكبار الموظفين . نادي الحزب بالاستقلال عن مصر . أبرز المؤسسين منعم منصور وسرور محمد رملي ، إبراهيم بدري ، محمد احمد أبو رنات ويوسف

العجب ، محمد أبوسن . عادت قاعدة الحزب بعد الاستقلال إلي حزب الأمة .

٣/ الجبهة المعادية للاستعمار :

في عام ١٩٥٣م أصبحت الجبهة المعادية للاستعمار ممثلا للحزب الشيوعي السوداني الذي اختاره الشيوعيون لمزاولة نشاطهم السياسي.

وقد ولد الحزب الشيوعي السوداني في أم درمان عام ١٩٤٥م . عرف بالحركة السودانية للتحرر الوطني (حسدتو) وتكونت خلاياه الأولي ١٩٤٤م بكلية غردون والسكة حديد بعطبرة . أستولي الحزب على لجنة شؤون العمال بعطبرة عام ١٩٤٦م واعترفت بها الحكومة وهي أول نقابة في السودان . التف حول الحزب اتحاد الشباب السوداني واتحاد نساء السودان ونقابات عمال السودان واتحاد مزارعي الجزيرة . وارتبطت هذه التنظيمات بالحركة الشيوعية .

وظلت أذرعا لها . في عام ١٩٥٢م انشقت الحركة السودانية للتحرر الوطني وظهرت الجبهة المعادية للاستعمار ثم حدث انقسام أضعف الجبهة .

وكان الشيوعيون ينتشرون بين العمال لذا فقد كان دورهم في بلورة الحركة الوطنية بين العمال اكبر من الأحزاب الأخرى ، إذ شمل نشاطهم الزراع والطلاب والعمال وكان الاستعمار على أشده والدعوة للتحرر والحرية تجد مناصرة من هذه الفئات ويجد المستعمر المقت والكراهية وقد فقد الحزب شرعيته في ١٥ نوفمبر ١٩٦٥م بقرار من الجمعية التأسيسية وحظر نشاطه وفي ٢١ يناير ١٩٦٧م أعلن الحزب باسم جديد وهو الحزب الشيوعي السوداني .

١ . القوميون :

أنشئ في أكتوبر ١٩٤٤م . كان أنصاره يؤيدون رؤية الإدارة البريطانية الداعية لتدريب السودانيين على الحكم حتى يصلوا لمرحلة الحكم الذاتي ، ركيزة الحزب جماعة الفجر أو الهاشماب . ينادي الحزب بوضع السودان تحت الانتداب البريطاني حتي يبلغ مستوي النضج السياسي .

ونادي القوميون بالاتحاد مع مصر بعد فترة الانتداب . ضم الحزب محمد أحمد محجوب وعز الدين الحافظ وغيرهم . في عام ١٩٤٥م انضم أنصار الحزب لحزب الأمة ، وعلى رأس هؤلاء محمد احمد محجوب الذي أصبح من ألمع قادة حزب الأمة والحركة الوطنية السودانية .

ج . التنظيمات والأحزاب الأخرى :

ويجدر بنا أن نذكر أنه قد نشأت أحزاب أخري في فترة لاحقة وهي في مجملها أحزاب صغيرة إذا ما قورنت بالأحزاب السابقة . ومن هذه الأحزاب الأخوان المسلمون وكانت نشأتهم في أواخر ١٩٤٥م . وتكونت أول أسرة في التنظيم في أبريل ١٩٤٩م عمل الأخوان المسلمون على نشر مبادئهم وسط الطلاب في الفترة من(١٩٤٥-١٩٥٣م) وقد نشرت مبادئ التنظيم باسم مؤتمر الطلبة وتم اختيار اسم الإخوان المسلمون للتنظيم في مؤتمر عقد في ٢١ مارس ١٩٥٤م . ونشأة التنظيم في مصر ترجع إلى عام ١٩٢٨م بقيادة الشيخ حسن البنا .

كما عرف التنظيم في ديسمبر ١٩٦٤م باسم جبهة الميثاق الإسلامي ومن مبادئه إقامة الدولة المسلمة وأسلمه شؤون الحياة .

ومنها أيضا حزب الأحرار الجنوبي الذي نشأ قبل انتخابات ١٩٥٣م . وحصل علي تسعة مقاعد في انتخابات مجلس النواب وكان الحزب يطالب بالاستقلال وقد تغير اسمه في عام ١٩٥٤م الي حزب الأحرار بدلا من حزب الأحرار الجنوبي لتعميق الإحساس بالوحدة الوطنية .

ومن الأحزاب التي ظهرت قبيل الاستقلال حزب مؤتمر البجة وهو أول حزب إقليمي ينشأ في شمال السودان منذ عام ١٩٥٣م .

دور المنظمات الفئوية في الحركة الوطنية السودانية :

كان للعمال والطلاب والزراع والشباب والنساء دور وطني في مسار الحركة الوطنية ، فأسهمت في بلورة الرأي العام المطالب بالاستقلال . وكانت اللبنات الأولي لهذه المنظمات قد بدأت في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية .

حركة العمال :

ساعدت الأزمة الاقتصادية العالمية علي تصاعد حركة العمال فدخل عمال السكة حديد في عطبرة في إضرابات خلال سنوات الحرب ، وقد ساعدهم في ذلك التمركز العمالي الكبير في عطبرة ، إضافة الي وجود أندية العمال التي أسهمت في تنامي الوعي وسط العمال ، فأصبح نادي العمال بعطبرة منبرا يتحدث باسم العمال حتى خرجت منه هيأة شؤون العمال ، فتكونت نقابة عمال السكة حديد في عام ١٩٤٩م وأصبحت الأساس الذي قامت عليه الحركة

العمالية ، وتكون اتحاد عمال السودان في عام ١٩٥٠م وقد قاد أول إضراب عمالي عام في السودان في أبريل ١٩٥٢م .

حركة الطلاب :

بدأت حركة الطلاب بالجمعية الأدبية في كلية غردون ، ثم اتحاد المدارس العليا في ١٩٤١م ، ثم اتحادات الطلاب في المدن عام ١٩٤٥م وتكون من هذه الاتحادات اتحاد الطلاب السودانيين عام ١٩٤٦م ونادي بوحدة الحركة الطلابية كما تكون مؤتمر الطلبة في عام ١٩٤٩م .

حركة المزارعين :

عمل المثقفون والعمال علي تنشيط حركة المزارعين . وبدا تجاوب المزارعين مع المد الوطني بعد الحرب العالمية الثانية فكان إضراب المزارعين بمشروع الجزيرة طوال شهري يونيو ويوليو من عام ١٩٤٦م لتحسين أوضاعهم وفي عام ١٩٤٧م تكونت هيأة استشارية من مزارعي الجزيرة وهي أول هيأة تمثل المزارعين وترجع إليها إدارة المشروع في بعض الأمور تم تصاعدت حركة المزارعين بعد تأميم المشروع في عام ١٩٥٠م وأثمرت الجهود بقيام اتحادات المزارعين .

التطورات الداخلية والخارجية التي أدت إلي إعلان الحكم الذاتي :

في أكتوبر ١٩٥١م قامت حكومة الوفد في مصر بإلغاء اتفاقية الحكم الثنائي ومعاهدة عام ١٩٣٦م من جانب واحد وعدل الدستور المصري ولقب الملك فاروق بملك مصر والسودان. وكانت الجمعية التشريعية قد كونت في ذلك الوقت لجنة لتعديل دستورها برئاسة القاضي استانلي بيكر وسودانيون يمثلون الأحزاب السودانية عدا حزب الأشقاء الذي رفض الدعوة التي وجهت له .

ورفعت مسودة دستور الحكم الذاتي الذي أعدته اللجنة إلي دولتي الحكم الثنائي لإجازته. وقامت الثورة المصرية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م واستلم الضابط الأحرار السلطة . وأعلنوا سياسة جديدة هي الاعتراف بحق الشعب السوداني في تقرير المصير وقبل الدخول في مفاوضات مع الحكومة البريطانية قامت الحكومة المصرية بدعوة الأحزاب السياسية السودانية الرئيسة إلى مصر ووقعت اتفاقية تاريخية مع الجبهة الاستقلالية بزعامة حزب الأمة . ولم تكن المفاوضات صعبة مع الأحزاب الاتحادية التي عملت الحكومة المصرية على

توحيدها في حزب واحد هو الحزب الوطني الاتحادي . في نوفمبر ١٩٥٢م وبعد اتفاقها مع الأحزاب السياسية السودانية رفعت الحكومة المصرية مذكرة إلي الحكومة البريطانية أوضحت فيها التعديلات التي تريد إدخالها على مسودة الدستور . وعندما برزت نقاط خلاف خلال المفاوضات المصرية البريطانية مثل السلطات الخاصة التي كان الحاكم العام يريد الاحتفاظ بها في جنوب السودان وتوقيت إكمال عملية سودنه الوظائف لجأت الحكومة المصرية مرة أخري إلي الأحزاب السودانية ووقع اتفاق في العاشر من يناير ١٩٥٣ م تبني وجهة النظر المصرية . وسهل ذلك الاتفاق من توقيع اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير في١٢فبراير ١٩٥٣ م

نصت الاتفاقية على منح السودان حق تقرير المصير على أن يسبق ذلك فترة حكم ذاتي لا تتجاوز ثلاثة أعوام يتم من خلالها تصفية الحكم الثنائي ويبقي خلالها الحاكم العام في منصبه تعاونه لجنة خماسية . كما نصت على تكوين لجنة للانتخابات ولجنة للسودنة ويتم جلاء القوات الأجنبية في نهاية الفترة الانتقالية . ونصت الاتفاقية على أن يكون تقرير المصير بأمرين إما الاستقلال التام عن كل من مصر وبريطانيا أو الاتحاد مع مصر في صورة من الصور ، عندما جرت الانتخابات البرلمانية في اواخر عام ١٩٥٣ م فاز الحزب الوطني الاتحادي بأغلبية مريحة مكنته من تشكيل أول حكومة سودانية برئاسة إسماعيل الأزهري وبقي حزب الأمة في المعارضة . وبرزت خلال الفترة الانتقالية رغبة السودانيين في اختيار الاستقلال التام . وأعلن البرلمان السوداني ذلك وبالإجماع في جلسة تاريخية في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ م واحتفل بالاستقلال في أول يناير ١٩٥٦م عندما أنزل العلمان المصري والبريطاني من القصر الجمهوري ورفع العلم السوداني .

صورة رقم (٦) رفع علم الاستقلال .

أسئلة:

- اكتب عن الموضوعات التالية:

١. (اختلاف وجهات النظر داخل مؤتمر الخريجين أدي إلي ظهور نوعين من الأحزاب : الاتحادية والاستقلالية) أشرح هذه العبارة موضحا الأفكار وأهم الأحزاب .

٢. دور المنظمات الفئوية في الحركة الوطنية .

٣. اتفاقية الحكم الذاتي ١٢ فبراير ١٩٥٣ م .

الوحدة الثالثة

دولة الخلافة العثمانية والاطماع الاستعمارية في العالم العربي

الأهـــــداف :

يتوقع من الطالب بعد دراسة هذه الوحدة أن :

١. يتعرف كيفية نشأة دولة الخلافة العثمانية .
٢. يحدد المراحل المختلفة التي مرت بها دولة الخلافة العثمانية .
٣. يحلل النظم الإدارية للدولة .
٤. يحلل العوامل الداخلية والخارجية التي أدت لتدهور الدولة .
٥. يتعرف دور القوى الاستعمارية والصهيونية في تقويض دولة الخلافة .
٦. يتعرف دور كمال أتاتورك في تقويض الخلافة .
٧. يتعرف دوافع حركة الإصلاح في الدولة .
٨. يميز بين المدارس الإصلاحية المختلفة في الدولة .
٩. يرسم الخريطة التفصيلية للدولة العثمانية .
١٠. يكتب المقال التاريخي الوافي حول موضوعات الوحدة .

الدرس الأول :

نشأة الدولة العثمانية

مدخل :

في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي بدأ أول ظهور للأتراك في التاريخ في أواسط آسيا كرعاة ينتمون إلى الجنس الطوراني ، ويعتمدون في حياتهم على الخيل ، فأصبحوا بذلك فرساناً مهرة ، ومحاربين أشاوس ،يتصفون بالشجاعة والصبر والطاعة ، وتحمل المشاق . وكانوا في بيئتهم الأولى وثنيين ، تتحكم فيهم قوة الطبيعة . ثم دفعتهم الظروف إلى الهجرة غرباً ، حتى إذا ما اقتربوا من البلاد الإسلامية ، اعتنقوا الإسلام على المذهب السني ، وأصبحوا شديدي التمسك بالدين الإسلامي ،وتوالت الهجرات التركية نحو آسيا الصغرى، ثم استقروا وأسسوا إمارات ودول صغيرة خلال القرن العاشر الميلادي .

كان الإسلام قد وصل عند زحفه الأول إلى حافة آسيا الصغرى شمالي الشام ، واتصلت المعارك بين المسلمين والبيزنطيين في هذه المنطقة في شكل غارات بقصد التخويف ثم الاستيلاء . وحينما جاء الأتراك السلاجقة اقتحموا آسيا الصغرى ، وتمكنوا من القضاء على البيزنطيين في تلك الأماكن، وطردوا السكان الروم إلى غير رجعة ، حيث أوقعوا بهم هزائم حاسمة في موقعة (ملازكرت) عام ١٠٧١م ، واحتلوا بذلك معظم آسيا الصغرى ، فأصبحت مقراً نزل فيه الأتراك . وكان الأتراك العثمانيون من بين الطوائف التي اشتركت في هذه المعارك، وأقامت في آسيا الصغرى واضعة بذلك بذور الدولة العثمانية التي ستظهر في الأفق فيما بعد .

تنقل الخلافة حتى الدولة العثمانية :

أول من ولي الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي يخاطب بخليفة رسول الله . وعهد بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين . وبعد وفاته بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة للمسلمين. وتمت البيعة من بعده لسيدنا علي بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه . وانتقلت الخلافة لمعاوية بن أبي

سفيان بعد موقعة صفين . وسعى معاوية لتثبيت سلطانه ، فاستولى على مصر، وبث السرايا في البلاد التابعة لعلي كرم الله وجهه بقصد السيطرة عليها . واستمر الحال هكذا حتى عام ٤٠ هـ ، حيث اتفق ثلاثة من الخوارج لقتل علي كرم الله وجهه ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، فنجح عبد الرحمن بن ملجم – ثالث الثلاثة – في قتل علي كرم الله وجهه . وأخفق الآخران في مهمتهما . وبعد قتل الإمام علي كرّم الله وجهه. تمت البيعة لابنه الحسين في العراق والحجاز وباقي البلاد الإسلامية ، عدا الشام ومصر ، فما كان من معاوية إلا أن جمع جيشاً لمحاربة الحسين ، الذي استعد للقتال ، لولا الفتنة التي شبت وسط عساكره ، وبعد مقتل الحسين تنازل أخوه الحسن عن الخلافة ، فدانت بلاد المسلمين جميعها لمعاوية بن أبي سفيان ، واستمر الأمويون حتى عام ١٣٢هـ، حيث انتقلت الخلافة لبني العباس . وظلت متوارثة في البيت العباسي حتى عهد الخليفة محمد بن يعقوب ، الملقب بالمتوكل ، وهو الخليفة السادس عشر وآخرهم . وفي خلافته قصد السلطان سليم العثماني بلاد الشام ومصر لفتحها. ودارت معركة هائلة (بمرج دابق) بجوار حلب عام ٩٢٣هـ (١٥١٦م) ، انتصر فيها العثمانيون وبعدها دخل السلطان سليم مصر ، وكان أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله ضمن الأسرى فأكرمه السلطان سليم غاية الإكرام ، وأرسله إلى الاستانة معززاً مكرّماً ، وهناك تمت البيعة للسلطان سليم العثماني، فانتقلت الخلافة الإسلامية من العباسيين إلى ملوك بني عثمان عام ١٥١٧ ليصير الأمر من بعد ذلك لدولة بني عثمان .

ظهور الأتراك العثمانيين :

هناك غموض حول أصل الأتراك العثمانيين ، فظهورهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة المغول خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، وما كانت تحمل تلك الحركة من خراب ودمار قضى على الخلافة العباسية ، وانداح اثره على مماليك مصر والشام ، وسلاجقة الروم وأوربا والشرق الأقصى ، فالمغول والأتراك نتاج لبيئة قاسية أثرت في حياتهم القائمة على التجوال والهجرات . وقد حددت متطلبات اقتصادهم الرعوي ، علاقاتهم بسكان الوديان الزراعية المستقرين ، فتحول التعارض الجغرافي إلى تعارض اجتماعي ، فنمت العلاقات العدائية

بين الزراع والرعاة ، وسرعان ما تغلب الرعاة ، وحلوا محل الممالك القديمة ، وهكذا سيطر الأتراك – الذين دفعهم المغول غرباً – على آسيا الصغرى كما تمتع أتراك آخرون بسلطة ضعيفة في سوريا والعراق في إطار النفوذ المغولي . والعثمانيون كأسلافهم السلاجقة ينتسبون إلى الجنس الطوراني ، وكان مهدهم الأول بلاد تركستان ، وقد اعتنقوا الإسلام كسائر القبائل التركمانية ، واستوطنوا آسيا الصغرى . وأقدم زعيم لهذه العشيرة يسمى سليمان وقد هام بقبيلته في آسيا الصغرى بعد موقعة (ملازكرت) إلى أن قتل عند مشارف حلب ، وترددت القبيلة بين العودة لموطنها الأصلي ، أو مواصلة المغامرة في رحلة اللامعلوم . وانقسمت القبيلة بين الخيارين فاختار أرطغرل ابن سليمان مواصلة السير فدخل آسيا الصغرى والتحق بخدمة الأمير السلجوقي علاء الدين الثاني الذي كان في حرب متواصلة ضد البيزنطيين ، فأعانه أرطغرل ، وأقطعه إمارة صغيرة قرب أنقرا في الجزء الغربي من منطقة الأناضول الواقعة على الحدود البيزنطية وترك له توسيع ممتلكاته على حساب البيزنطيين .

قيام السلطنة العثمانية :

توفي أرطغرل عام ١٢٨٨م ، فتولى ابنه الأكبر (عثمان) الأمر من بعده ، بعد موافقة الملك علاء الدين السلجوقي . واستمر عثمان في مساعدة السلجوقيين كما كان يفعل أبوه ، فزاد علاء الدين في إكرامه ، ومنحه نوعاً من الاستقلال ، واقطعه كافة الأراضي والقلاع التي فتحها ، وأجاز له ضرب العملة باسمه ، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة مقروناً باسم السلطان السلجوقي ، ومنحه لقب (بك) وهكذا أخذ عثمان بك يقترب من الاستقلال التام ، وصار زعيماً لواحدة من أهم الإمارات السلجوقية .

وفي عام ١٢٩٩م أغار التتار على آسيا الصغرى ،وسقطت دولة السلاجقة، وتوفى السلطان علاء الدين ، فاستقل من كان تحت سلطته من الأمراء وتقاسموا الممالك بينهم ، فأعلن عثمان استقلاله التام مكوناً السلطنة التي أخذت تسميتها من اسمه ، ووفد إليه أمراء البيت السلجوقي وأعيانه ليعيشوا في كنفه وحمايته ، وجاءته الجماعات التي جاهدت ضد المغول ، ولجأ إليه الصوفية والمغامرون ، وبعض العلماء ولم يبق في البقاع كلها إلا العثمانيون

ملجأ للمسلمين ، يرفعون السيوف ضد البيزنطيين ، أعداء الإسلام .

وهكذا كانت آسيا الصغرى التي لم يقم فيها ما يشبه السلطة المركزية، ثمرة ناضجة في يد من يستطيع الاستيلاء عليها ، والاحتفاظ بها . وكما يحدث عادة في الفترات التاريخية الحاسمة ، كان لابد لشعب جديد تماماً أن يجرب حظه في هذه المنطقة التي كانت تفتقد القوة التي تدافع عنها – وكان هذا الشعب هو الأتراك العثمانيون . (انظر خريطة رقم)

وانتساب الدولة إلى عثمان راجع إلى كونه قد أكد استقلاله التام على أثر انهيار دولة سلاجقة الروم ، فنجد أن صفة عثماني – لا تركي – هي الصفة المفضلة لدى أبناء الدولة ، إذ استحق عثمان أن يكون شعاراً للدولة باعتباره زعيماً لشعب محارب ، ولهذا كان كل سلطان جديد من أبناء أسرته يتقلد سيف مؤسس الدولة ، على اعتبار أن ذلك من المراسم الهامة لتقلده السلطة . وكانت للدولة العثمانية طبيعة معقدة مميزة ، فهي دولة أسرة حاكمة يتركز فيها الولاء لأبناء عثمان أكثر منه لأي فرد من أفرادها ، بمعنى أن الأسرة جميعاً هي التي تدَّعي السيادة .

خريطة رقم (١): الإمارة العثمانية في عهد مؤسسها عثمان

ومن ناحية أخرى نجد أنها دولة تركية بشكل ما ، وليس بصفة مطلقة ، فالأسرة الحاكمة إنما هي أسرة تركية تدعي الانتساب إلى قبيلة الجنس التي انتسب إليها السلاجقة ، وكان بإمكانها أن تستثير التضامن العرقي لدى رجال القبائل الأتراك. وقد استعملت طيلة تاريخها بعض أشكال ورموز الأصل القبلي التركي ، ومن ذلك ذيول الخيل التي كانت من شعارات الرتب الحكومية في الوقت الذي كانت فيه لغة البلاط ومكاتب الحكومة هي اللغة التركية ، فخادم السلطان الذي يتكلم اللغة التركية لم يكن يعتبر نفسه تركياً بالضرورة في الوقت الذي لم يكن فيه رعايا السلطان الذين لا يتكلمون التركية يعتبرون أنفسهم بمعزل عن كيان الدولة السياسي، وهذا يعني أن الدولة العثمانية كانت

دولة إسلامية .

وقد اتيح للدولة العثمانية التي قامت في منطقة جبلية غربي الأناضول تنظيم اجتماعي متحرك ، هيأ لها فرصة كبيرة للنمو والقوة ، ففي هذه الأراضي غير المطروقة نسبياً ، والمحصورة بين الدول التركية الاقطاعية في الشرق ، والبيزنطية المنهارة في الغرب ، وجد سكان المدن والتجار والحرفيون، والدارسون والرعاة والمحاربون والساخطون على الدول الإقطاعية المجاورة ، وجد كل هؤلاء ملجأً ومجالاً للنشاط ، فقامت الدولة العثمانية بهذه الصورة المثيرة للالتفات .

توسع الدولة العثمانية :

١- التوسع في آسيا الصغرى :

استطاع أرطغرل خلال فترة السلام الطويلة أن يوطد حكم العشيرة على الأراضي التي كان يحكمها نيابة عن السلاجقة ، وجاء ابنه عثمان (١٢٥٨-١٣٢٦) - وكان أول من راوده حلم إرساء قواعد دولة مترامية الأطراف - فبدأ بإرساء قواعد الأسرة ، ثم اتجه نحو توسيع رقعة الدولة على حساب البيزنطيين، متفادياً الاصطدام بالدول التركمانية القوية المجاورة له ، إلى أن تقوى شوكة الدولة ويتمكن من مواجهتهم . فبدأ مشواره في طريق الانتصارات المتتالية ، وكانت انطلاقته في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ، بعد الانهيار النهائي لدولة السلاجقة . فاتجه صوب الغرب حيث كان البيزنطيون غنيمة سهلة .

ويبدو أن عثمان كان ذا شخصية جذابة تغري الآخرين بخدمته ، ورغم حماسته الدينية فقد اتصف بالتسامح مع المسيحيين ، فتمكن بذلك من اجتذاب حديثي العهد منهم بالإسلام ، فأصبحوا ركيزة للدولة ، حتى وسع رقعة دولته فوصلت (يني شهر) ، واقتربت من أهم المدن اليونانية في غربي الأناضول . (بورصة) و(نيقية) .

وبعد أن استتب الأمر لعثمان ، وقوي ملكه ، أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور : الإسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم إليه ، وقبل البعض دفع الخراج ، واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعوهم للنجدة . ولما علم عثمان بذلك جهز جيشاً

بقيادة ابنه أورخان ، وبعد قتال عنيف انهزم التتار وتشتت شملهم ، فقويت شوكة العثمانيين وأصبحت آسيا الصغرى جميعها في قبضتهم .

وفي (يني شهر) توفرت لعثمان قاعدة للانطلاق صوب (بورصة) ثم القسطنطينية . وبالتدريج اقترب من نيقية وبورصة ، وبنى قلعتين بالقرب من بورصة ، وتمكن بهما من ضرب الحصار على المدينتين حتى سقطت بورصة عام ١٣٢٦م ، بعد حصار طويل ودون قتال ، حيث أرسل ملك القسطنطينية أوامره إلى عامله بالانسحاب فدخلها أورخان دون أن يتعرض لأهلها بسوء مقابل دفع ثلاثين ألفاً من عملتهم الذهبية .

ولما توفى السلطان عثمان تولى الأمر بعده ابنه أورخان ، فنقل عاصمته إلى بورصة لحسن موقعها ، ومن أهم أعمال أورخان أنه وضع نظاماً للجيوش العثمانية، حيث كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب ، وتصرف بعده . فخشى أورخان من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التي ينتمي إليها فينفرط عقد الوحدة العثمانية ، فأشار إليه أحد حكماء ذلك العهد بأخذ الشبان من أسرى الحرب، وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم ، وتربيتهم تربية إسلامية ، بحيث لا يعرفون لهم أباً إلا السلطان ، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله ، فأعجب السلطان أورخان بهذه الفكرة وأمر بتنفيذها فعرفوا بالجنود الانكشارية (١) .

والانكشارية لم يكونوا – كما هو شائع – العنصر الرئيس لقوة العثمانيين القتالية خلال فترة الفتوح التي تمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين . فمهمتهم الرئيسة عبر التاريخ العثماني هي المحافظة على الأراضي التي جرى ضمها ، والقيام بالدفاع عنها ، فكانت فرقة الانكشارية حين تمّ تشكيلها من أبرز الهيآت التي شهدها العالم ، وهي تفسر الطابع الفريد للدولة العثمانية في أوائل عهدها ، فخلال ثلاثة قرون كان عدد من أسرى الحرب من أبناء المسيحيين، ينشؤون على الإسلام ويجري فصلهم عن أسرهم وارتباطاتهم الأخرى ويكرسون لخدمة القوات العثمانية . وكان تدريبهم على حياة الجندية يستند إلى تنظيم دقيق ورغم صرامة هذا النظام فقد كان

١ . الانكشارية : فرق جديدة كونها أورخان بن عثمان من أسرى المسحيين . صغار السن في البلقان حيث أخضعهم لتربية روحية وتدريب عسكري في معسكرات مقفولة ليخرجوا جنوداً على درجة عالية من الولاء والانضباط .

الباب مفتوحاً أمام الكفايات للترقي إلى أرفع المناصب . وفي الفترات الأولى من تاريخ الدولة العثمانية كان السلطان وحده هو الشخصية الهامة الوحيدة ذات الأصل التركي ، خاصة وأن التجارة والمالية والإدارة كان يقوم عليها أشخاص من الأجانب ، ومن الملامح غير العادية في تاريخ هذا الشعب الغريب ، الطريقة التي مكنته من استخدام أجناس أخرى دون فقدانهم لسلطتهم .

وبواسطة الانكشارية حقق الأتراك العثمانيون كثيراً من ألوان النصر في الميادين المختلفة ، وبخاصة في الفترة الأولى . ولكن سرعان ما أصبح الانكشارية مصدر قلق واضطراب للدولة كما سنرى .

وقدم أورخان نحو بحر مرمرة وهزم البيزنطيين سنة ١٣٢٨م ، واستولى على شبه جزيرة نيقية وسواحل خليج نيقوميديا ، وسقطت نيقية دون مقاومة سنة ١٣٣١م ، وسيطر على ما تبقى من الأراضي البيزنطية في شمال غربي الأناضول دون صعوبة مما جعل دولته أقوى إمارات المنطقة ، حيث تعزز مركزها باعتبارها زعيمة الجهاد ضد المسيحيين .

وامضى أورخان عشرين عاماً بعيداً عن الحروب ، قضاها في صقل النظم المدنية والعسكرية ، وفي تعزيز الأمن الداخلي ، وبناء المساجد والمدارس، وإقامة المنشآت العامة الشاسعة . ومما ميز سلاطين آل عثمان الأول أنهم لم يشنوا الحرب تلو الحرب طمعاً في التوسع ، كما هو الحال بالنسبة إلى غيرهم من الفاتحين، وبخاصة الآسيويين ، بل إنهم تميزوا بالحرص والرغبة في تعزيز سلطتهم في الأراضي التي يتاح لهم ضمها فيطبعونها بطابعهم المدني والعسكري فتصبح جزءاً لا يتجزأ من أملاكهم .

٢- التوسع في أوربا :

انظر خريطة رقم (٢)

خريطة رقم (٢) الفتوحات العثمانية في أوربا

وما أن أتم أورخان تعزيز فتوحاته حتى أرسل ابنه سليمان إلى الشاطئ الأوربي – وتمكن من فتح مدينة غليبولي التي كانت مفتاحاً للقسطنطينية. وما لبثت أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوربا . ومنها انطلقت الحملات الأولى التي توجت في نهاية الأمر بالاستيلاء على كل شبه جزيرة البلقان . وأرسل أورخان أعداداً كبيرة من الرعاة التركمان إلى تراقيا بغية تتريكها والحيلولة دون تمكن المسيحيين من طرد العثمانيين من أوربا .

توفي أورخان في عام ١٣٦٠م وبعد أن هيأ قاعدة للتوسع في أوربا وجهز الدولة لمزيد من الفتوحات ، فخلفه ابنه مراد الأول وكان شجاعاً مجاهداً لنصرة الإسلام ، وكان فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان، فتخطى المضيق متجهاً نحو أوربا ، وهاجم شبه جزيرة البلقان بعد أن أقرّ

النظام وتغلب على بعض العصاة في آسيا الصغرى . وكانت البلغان خاضعة لعدد من صغار الحكام ، فتساقطوا واحداً بعد الآخر في قبضة العثمانيين . وفي سنة ١٣٦٢م استولى العثمانيون على (ادرنة) واتخذوها عاصمة للسلطنة حتى سقوط القسطنطينية. وتوالت انتصارات مراد ، فأتمّ فتح مقدونيا وصوفيا وسالونيك ، فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية . فاتحد أهل الصرب والمجر والبلغار والألبانيين ، وتحزبوا على السلطان مراد لتعطيل فتوحاته ومنعه من التقدم ودارت معركة في سهل (كوسوفو ١٣٨٩م) بين العثمانيين بقيادة مراد نفسه وبين أحلاف النصارى ، وانتصر مراد ، إلا أن صربياً كان مختبئاً بين القتلى طعنه غدراً فقتله.

وقد وجه مراد مصائر العثمانيين لمدة ثلاثين سنة بحكمة سياسية لا يضاهيه فيها أحد من ساسة عصره ، فإذا قلنا إن السلطان عثمان قد أوجد جنساً ، وأن أورخان قد بنى دولة ، فإن مراد هو الذي أرسى قواعد الامبراطورية العثمانية .

جاء السلطان بايزيد الأول خلفاً لوالده مراد ، وكان على درجة من الشجاعة، فتبع خطوات أبيه في الغزو والجهاد ، وتحالف مع سلطان مصر في وجه الخطر المغولي الذي أخذ يهدد المماليك والعثمانيين في آسيا الصغرى وشرق أوربا.

وفزع معظم الأوربيين من انتصارات العثمانيين ، وسرعة تقدمهم في أوربا. وقامت ضجة دينية للحض على حربهم ، ودعا البابا إلى شن حرب صليبية ضد المسلمين ، فتحمست كل ممالك أوربا طمعاً في الوصول إلى البقاع المسيحية المقدسة في فلسطين . فتشكل جيش صليبي بقيادة (سجسمند) ملك المجر واشتركت فيه كل دول أوربا الغربية إلى جانب الدول التي كانت تواجه الزحف العثماني ، وكان بايزيد إذ ذاك غائباً في آسيا فحقق الأوربيون نصراً في أول الأمر واستردوا من الترك كثيراً من المدن ، ثم أخذوا يحاصرون مدينة نيقوبولس على نهر الطونة فأسرع السلطان بايزيد للقائهم وهزمهم هزيمة تعد من أنكر الهزائم التي دونها التاريخ ، بحيث لم ينج من جيوشهم إلا النذر القليل .

اتخذ بايزيد لقب (سلطان الروم) دليلاً على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول ، وأقنع الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة بإقرار هذا اللقب حتى يضفي على سلطته ، وسلطة أجداده من قبله، طابعاً شرعياً ورسمياً لتزداد هيبته في العالم الإسلامي .

أصبح بايزيد بعد هذه الانتصارات بين خيارين ، فقد نصحه زعماء التركمان بالتوغل في داخل أوربا بينما شجعه مسيحيو الأصل بترك أوربا وشأنها، والتوجه إلى الأناضول لاستكمال القضاء على الإمارات التركمانية ، وقصدوا من ذلك حرمان أعيان التركمان من الفتوحات والثروات الجديدة . وانسحب بايزيد إلى أدرنة ليتخذ قراره الحاسم .

كان السلطان بايزيد يخشى من اتحاد الملوك النصارى وتحزبهم عليه فعقد مع الروم صلحاً لعشر سنوات بشروط هي :

- أن يدفعوا له ٣٠ ألف ريال .
- أن يجعل في القسطنطينية قاضياً مسلماً .
- أن يبني مسجداً في القسطنطينية .

ثم ما لبث أن حاصر القسطنطينية وضيق عليها حتى كاد أن يفتحها، لولا ظهور خطر جديد جعله يحول جيشه صوب الشرق ، ذلكم الخطر غزو المغول بقيادة (تيمور لنك) .

ينتمي (تيمور لنك) إلى إحدى الأسر المغولية النبيلة في بلاد ما وراء النهر، واستطاع في عام ١٣٦٩م أن يتربع على عرش خراسان وما وراء النهر ويجعل من سمرقند عاصمة له ، وسيطر على القسم الأكبر من العالم الإسلامي فانتشرت جيوشه الرهيبة في آسيا من دلهي إلى دمشق ، ومن بحر آرال إلى الخليج العربي، وفتح فارس وأرمينيا ، وأعالي الفرات ودجلة والمناطق الممتدة من بحر غزوين إلى البحر الأسود ، وحاول استعادة ملك (جنكيزخان) و(هولاكو) الذي امتد من روسيا إلى الصين وسوريا ولم يكتف بذلك ، بل صرّح بأنه سيجعل كل الأرض المسكونة ملكاً له .

وبالرغم من ذلك فقد كان (تيمور) مسلماً صالحاً يرعى العلماء ورجال الدين ، وكانت امبراطوريته أشبه بالامبراطورية العثمانية من حيث أنهما قامتا

على أنقاض دول صغيرة .

الانهيار الأول للدولة العثمانية :

أدرك بايزيد أنه لابد من معركة فاصلة بينه وبين (تيمور لنك) فأخذ يعد نفسه لها فقوى جيشه وتمكن من الاستيلاء على بعض المواقع الاستراتيجية، وكانت المعركة الأولى بين القوتين سنة ١٤٠٠م عند سيواس ، وانتصر فيها (تيمورلنك) ، وقتل القائد الأمير أرطغرل ، الابن الأكبر لبايزيد، ولم يلتق الجيشان الرئيسان قرب أنقرة إلا في عام ١٤٠٢م ، حيث بدأت المعارك الحقيقية بين المغول والعثمانيين والتي انتصر فيها المغول بقيادة (تيمورلنك)، واتجهوا نحو أنقرة ، وأسر السلطان بايزيد ومات في أسره كمداً .

تعتبر موقعة أنقرة ذات أهمية في التاريخ العثماني حيث كانت الهزيمة الساحقة الوحيدة التي مني بها العثمانيون خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة، بيد أنها ليست من المعارك التي غيرت مجرى التاريخ بمعنى إنها لم تعدل في مجرى تاريخ المنتصر والمهزوم على حد سواء .

وبعد انتصاره في أنقرة اكتسح (تيمورلنك) آسيا الصغرى واستولى على نيقية وبورصة وبعض المدن الساحلية الرئيسة ، وانتزع أزمير من فرسان القديس يوحنا، محاولاً بذلك تبرير موقفه أمام الرأي العام الإسلامي الذي اتهمه بتوجيه ضربة شديدة إلى الإسلام حين قضى على الدولة العثمانية .

صمد العثمانيين لنكسة أنقرة ، وعمل خلفاء بايزيد على تنظيم الجيش لمواصلة التوسع في البلقان ، الأمر الذي أدى إلى قيام تحالف أوربي ضد العثمانيين، وتمكن مراد من هزيمة الحلف الجديد واحتلال بعض المدن .

وتأكد بذلك أن العثمانيين بإمكانهم الاحتفاظ بما استحوذوا عليه ، وأنهم قد وطدوا أقدامهم في البلقان وفي شمال غربي الأناضول ، باعتبارهم جنساً محلياً . وأمة لا يمكن القضاء عليها نتيجة لكارثة عابرة ووصلوا بذلك إلى ما يعرف بعصر القوة .

ويرى بعض المؤرخين أن العوامل الكامنة وراء نجاح العثمانيين في بداية الأمر ، هي الأسباب نفسها التي أدت إلى إفاقتهم ، ويعتبر استقرارهم في أوربا هو النموذج الوحيد لسيطرة قلة من المسلمين على كثرة من المسيحيين وأسباب

ذلك تتلخص في الآتي :

١. تفوق آل عثمان على كل الشعوب المعاصرة من حيث المعتقدات الدينية والسلوك والأخلاق والتنظيم الحربي .

٢. تعدد الأجناس في البلاد الواقعة بين الادرياتيك ، والبحر الأسود ، ونهر الدانوب وبحر إيجة .

٣. تناقص أعداد سكان الامبراطورية البيزنطية ، وتردي أوضاع إداراتها القانونية والمدنية .

أسئلة :

١/ اكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة :

(١) بدأ أول ظهور للأتراك العثمانية في القرن التاسع الميلادي في .....

(٢) قضى الأتراك السلاجقة على البيزنطيين في موقعة .... عام ١٠٧١م .

(٣) بدأت الدولة العثمانية كإمارة صغيرة في ..... تابعة لدولة السلاجقة .

(٤) نقل السلطان أورخان عاصمة الدولة إلى .... لحسن موقعها .

٢/ ارسم خريطة تقريبية وضح فيها توسع العثمانية في آسيا وأوربا مركزاً على المدن الهامة التي استولوا عليها ومناطق المعارك الرئيسة .

٣/ اكتب مقالاً تاريخياً عن الانهيار الأولى للدولة العثمانية .

الدرس الثاني :

الدولة العثمانية في عهد محمد الثاني (الفاتح) :

كان محمد الفاتح من أشهر سلاطين آل عثمان ، وقد اشتهر بالشجاعة وعلو الهمة ، وتميز بالكفاءة والذكاء ، ويعد المؤسس الحقيقي للامبراطورية العثمانية ، ونظامها المبنى على المركزية الإدارية ، والاستناد إلى قاعدة جغرافية جامعة بين الروم في أوربا ، والأناضول في آسيا الصغرى .

وكان فاتحاً عنيداً وسلطاناً واسع العقل في ذات الوقت ، وقد استطاع أن يجتذب إلى بلاده كثيراً من العلماء المسلمين ، واليونانيين والايطاليين .

ومن أشهر أعماله أنه :

- قام بعدة حملات حربية في الأناضول لإعادة السيطرة العثمانية على الأمراء الأتراك المتمردين على الدولة في بعض أنحاء تلك البلاد .
- أتم بناء قلعته عند أضيق موضع على البسفور قبالة قلعته الآسيوية .
- سيطر على مواصلات القسطنطينية .
- تمكن من الاستيلاء على القسطنطينية .

فتح القسطنطينية :

حاول العثمانيون مراراً الوصول إلى القسطنطينية ، لأن بقاءها في أيدي غيرهم من شأنه أن يهدد المواصلات ما بين أملاكهم الأوربية والآسيوية واحتلالها يشدد قبضتهم على الأراضي التي يحكمونها ، ويخلع عليهم المهابة والعظمة .

بدأ حصارها ، وكانت وقتذاك مدينة قليلة السكان كثيرة الفقر والفقراء ، ولم يكن لدى إمبراطورها قسطنطين سوى عشرة آلاف من الجند ، ولم يكن محبوباً لدى الناس بسبب محاولاته لتوحيد الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية ، والكاثوليكية الغربية .

هاجم العثمانيون القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وكانوا قد أحاطوا بها من جميع الجهات ، وتم لهم النصر وقتل الامبراطور في المعركة ، ودخل محد الفاتح القسطنطينية ثم اتجه إلى كنيسة أياصوفيا الشهيرة وأمر أن يؤذن فيها

إعلاناً بجعلها جامعاً للمسلمين . وبفتح القسطنطينية انتهى ما بقي من بيزنطة ، وأصبحت مدينة القسطنطينية عاصمة للامبراطورية العثمانية ، وسميت (استانبول) وفيما بعد (اسلامبول) . حتى نقل أتاتورك العاصمة إلى أنقرة سنة ١٩٢٣م .

ما بعد السلطان محمد الفاتح :

مضى العثمانيون في فتوحاتهم في جنوب شرق أوربا واستطاع سلاطين القرن السادس عشر أن يضموا بعض أملاك الامبراطورية النمساوية شمالي نهر الدانوب ، وبعض المناطق المطلة على البحر الأسود والقوقاز ، واستمرت الفتوحات بعد ذلك حتى تمكن العثمانيون من الاستيلاء على مناطق البلقان ، ووسط أوربا حتى وصلوا في عام ١٥٢٩م إلى أسوار مدينة فينا عاصمة الامبراطورية النمساوية كما استولوا على إيران ومعظم البلاد العريقة كما سنرى .

أسئلة :

١/ اكتب مقالاً تاريخياً قصيراً عن فتح القسطنطينية .

نشاط :

١/ ارسم خريطة تقريبية لمدينة القسطنطينية ، واكتب عن مزايا موقعها .

الدرس الثالث :

٣- التوسع في إيران والبلاد العربية

الصفويون في إيران :

على الرغم من أن فتوحات العثمانيين امتدت في اوربا حتى شمال نهر الدانوب ، فقد اتجهت أبصارهم كذلك لحرب الصفويين في إيران التي كان عليها الشاه إسماعيل الصفوي . والسبب المباشر لتوجه العثمانيين لمحاربة الصفويين أن الشاة قام بتحريض الشيعة بآسيا الصغرى على الثورة ضد العثمانيين السنيين ؛ كما أغرى الأمراء المجاورين لدولته بالخروج على العثمانيين .

بدأ السلطان سليم بإخماد ثورة الشيعة في آسيا الصغرى . ولكن الشاه إسماعيل تدخل للدفاع عن الشيعة هناك . واشتد العداء بين الدولتين (الصفوية والعثمانية) . ولذا أعد السلطان سليم جيشاً كبيراً سنة ٩٢٠هـ - ١٥١٤م للقضاء على الشيعة ودولتهم في إيران وقاد الجيش بنفسه فاستولى على ديار بكر وكردستان ثم توغل شرقاً في إيران حتى التقى بجيش الشاه إسماعيل عند تشالديران بالقرب من تبريز في أغسطس ١٥١٤م . ودارت معركة انتهت بهزيمة الشاه إسماعيل وعاد السلطان سليم إلى بلاده بعد أن أدخل ديار بكر وكردستان في أملاك دولته .

فتح الشام ومصر :

موقعة مرج دابق بالشام : (انظر خريطة رقم (٣)).

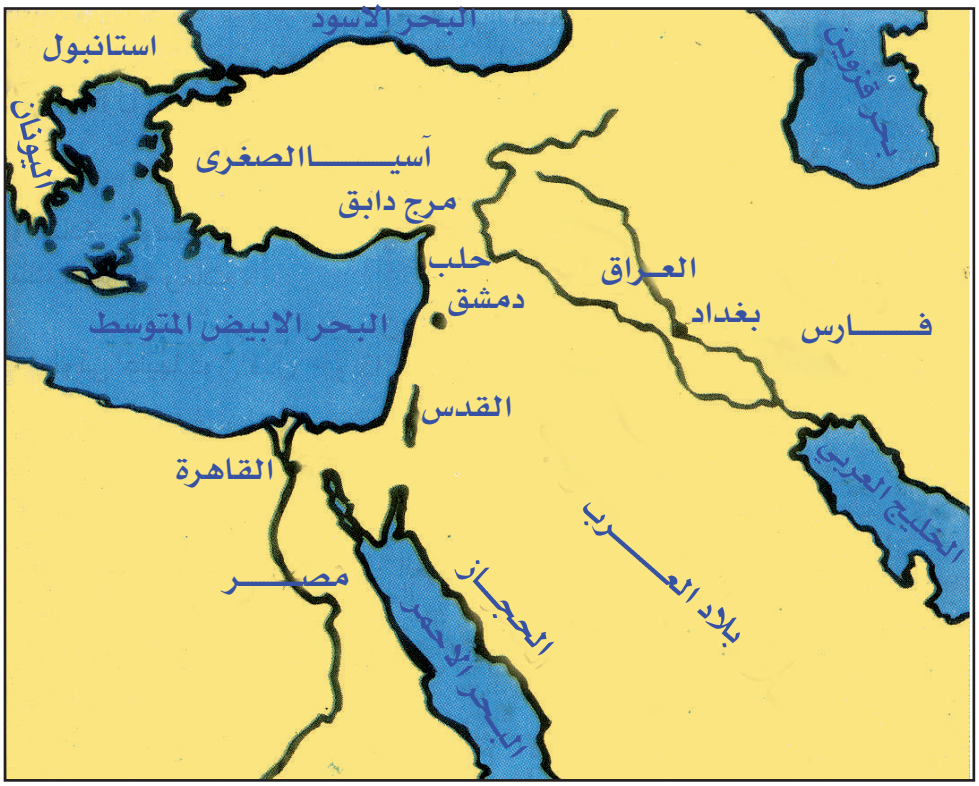

خريطة رقم (٣) الفتح العثماني لمصر والشام .

بعد هزيمة الصفويين امتد نفوذ العثمانيين إلى منطقة الأطراف التابعة لدولة المماليك (من جبال طوروس في الشمال الغربي من الشام حتى مدينة ملطية في آسيا الصغرى) وكانت خاضعة للأمير علاء الدولة الذي كان يحكم تحت حماية المماليك . وقد كان محايداً في حرب العثمانيين للصفويين، فاتهمه السلطان سليم الأول بالعداء للعثمانيين فقتله واستولى على بلاده سنة ١٥١٥م وبذلك أضحى العثمانيون على مشارف أراضي المماليك من ناحية الشام .

في أوائل سنة ١٥١٦م علم سلطان المماليك باستعداد العثمانيين في استانبول للحرب ، وأدرك أن دولته هي المقصودة ولذلك أعد جيوشه وخرج بها

إلى حلب بالشام ، ثم بعث رسولاً إلى سليم الأول يؤكد رغبته في الصلح ، ولكن سليم الأول رفض .

سار الغوري من حلب شمالاً والتقى الجيشان عند مرج دابق في أغسطس ١٥١٦م ، وانتهت المعركة بنصر ساحق للعثمانيين لتميز أسلحتهم من المدافع والبنادق . ودخل سليم الأول مدينة حلب وقد سقط السلطان الغوري من حصانه في تلك المعركة ومات .

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة . زحف سليم الأول على دمشق واستولى عليها دون قتال – وبذا خضع إقليم الشام لسيطرة العثمانيين .

الاستيلاء على مصر :

هزت أخبار انتصارات السلطان سليم الأول القاهرة . ورأى طومان باي – نائب السلطان قنصوة الغوري – أن يسعى بالزحف لمقاتلة العثمانيين، فأرسل حملة بقيادة الأمير جان بردي الغزالي في ديسمبر ١٥١٦م لمواجهة العثمانيين شمال غزة . وقد كان هذا القائد أحد الأمراء الذين فروا من موقعة مرج دابق- وكان طبيعياً أن يُهزم أمام العثمانيين . وبالفعل تم ذلك وتمكنت الجيوش العثمانية من مواصلة سيرها نحو مصر .

وقبل أن يدخل السلطان سليم الأول القاهرة ، عرض على سلطان المماليك – طومان باي – الصلح مقابل اعتراف المماليك بالسيادة العثمانية على مصر ، ولكن طومان باي رفض الصلح ولذلك دارت المعركة بين الجيشين في الريدانية شمال القاهرة ، وهزم فيها المماليك هزيمة نكراء ، ودخل سليم الأول العاصمة – القاهرة – في يناير ١٥١٧م . وفي أبريل ١٥١٧م أعدم طومان باي . وكان الخليفة العباسي المتوكل على الله ، الذي كان مرافقاً لقنصوة الغوري قد سبق سليم الأول إلى القاهرة بعد أن انضم إلى جانبه عقب انتصاره في موقعة مرج دابق. وقد كان هدف الخليفة العباسي اسباغ الشرعية على الحكم العثماني وتهيئة الأحوال لدخول السلطان سليم الأول القاهرة – وهكذا انتهت دولة المماليك وأصبحت مصر ولاية عثمانية .

وقد ترتبت على فتح مصر بعض النتائج منها :

انتقال الإشراف على الحرمين الشريفين من المماليك إلى العثمانيين،

وكذلك انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين وأصبح الخطباء في المساجد يدعون للسلطان سليم الأول باعتباره خليفة المسلمين .

الاستيلاء على الحجاز :

بعد فتح مصر اعتز سلاطين الدولة العثمانية بلقب خادم الحرمين الشريفين، وهو اللقب الذي حمله من قبل سلاطين المماليك ، واعتبر العثمانيون هذا اللقب متمماً للخلافة ولذلك اهتم العثمانيون بالحجاز- موطن الأماكن المقدسة – ولذلك عمدوا إلى بسط سلطانهم عليها . وقد مهدت انتصاراتهم في الشام ومصر السبيل لتحقيق أمانيهم في الاستيلاء على الحجاز. وفي أثناء وجود سليم الأول في مصر جاءه ابن الشريف بركات – شريف مكة المكرمة - ليعلن خضوع وطاعة والده للسلطان العثماني مثلما كان يخضع سابقاً للسلطان المملوكي . فأقره سليم الأول وأبقاه في منصبه محتفظاً بنفوذه ومهامه في تأمين وحماية قوافل الحجاج من النهب والسلب .

وأنشأ العثمانيون صنجقية في جدة وعليها حاكم عثماني مرتبط بحاكم مصر – وهكذا ظهر العثمانيون في البحر الأحمر لحمايته من الخطر البرتغالي الزاحف من المحيط الهندي .

الاستيلاء على اليمن :

ورث العثمانيون من المماليك مهمة حماية البحر الأحمر ومداخله من خطر البرتغاليين ، الذين كانت لهم مراكز على كل من الساحل الشرقي لأفريقيا والساحل الغربي للهند . وقد كان هدف العثمانيين الأساسي من العمل على بسط سيادتهم على سائر شبه الجزيرة العربية واليمن ومسقط والبحرين وغيرها ، هو حماية الأماكن المقدسة من عبث البرتغاليين .

وقد استطاع العثمانيون تخفيف ضغط البرتغال على التجار العرب والموانئ والامارات العربية الساحلية في عمان ومسقط والخليج العربي ، كما أنهم تمكنوا من احباط كل المحاولات التي كانت تهدف إلى تكوين جبهة مسيحية من البرتغال والحبشة ضد القوى العربية الإسلامية في البحر الأحمر وشرق أفريقيا .

وفي أوائل عام ١٥٢٠م بدأ العثمانيون في تنفيذ جزء من خطتهم

العامة في البحر الأحمر بمد نفوذهم إلى اليمن وكان عليها المماليك – وقد رفض اسكندر الشركسي السماح لوالي جدة « حسين الرمي » بدخول اليمن ، فاضطر للعودة إلى جدة . وقد واصل العثمانيون تلك المجهودات حتى عام ١٥٢٨م ولكنها فشلت .

وفي يونيو ١٥٣٨ غادرت حملة عثمانية ميناء السويس متجهة نحو اليمن، ووصلت عدن في أغسطس ١٥٣٨م – وكان يحكم عدن آنذاك عامر بن داؤد الطاهري ، ورغم أنه سلم المدينة للعثمانيين معلناً ولاءه للسلطان ، غير أن والي مصر سليمان باشا الخادم أمر بشنقه . وعين على المدينة أحد صناجق الحملة وترك عدن حامية عثمانية .

بعد ذلك اتجه سليمان باشا الخادم إلى ميناء ديو بالهند ، فوصله في أوائل سبتمبر ١٥٣٨م وحاصره ، ولكنه لم يواصل حصاره بل انسحب إلى السواحل العربية خوفاً من الاسطول البرتغالي القادم . وعمل سليمان باشا على اتمام فتح السواحل اليمنية. وآلت حضرموت للسيادة العثمانية على أن يدفع حاكمها الجزية السنوية . ثم قضى سليمان بعد ذلك على فلول المماليك باليمن .

وبعد عام ١٥٣٩م لم يعد أمام العثمانيين في اليمن إلا الامام شرف الدين إمام الزيدية الذي استعصى عليهم . وبعد ذلك رجعت حملة سليمان باشا إلى مصر ولم تحقق كل المهام التي عهدت إليها .

واصل العثمانيون مجهوداتهم من أجل السيطرة على كل اليمن وتوحيدها وتحويلها إلى قاعدة حربية كبيرة ، فأرسلوا جيشاً كبيراً بقيادة أويس باشا ، وفي فبراير عام ١٥٤٦م سقطت تعز في يد الجيش العثماني وذلك بسبب الخلافات بين الأهالي (زيدية – شافعية – اسماعيلية) كما امتدت الخلافات إلىالأسرة الزيدية نفسها . وبعد سقوط تعز تقدم الجيش إلى ذمار (جنوب صنعاء) ومن بعد ذلك سقطت صنعاء في أيدي العثمانيين عام ١٥٤٧م بعد هزيمة المطهر .

وعين السلطان سليمان القانوني قائده ازدمر باشا والياً على اليمن عام ١٥٤٩م بعد مقتل اويس من بعض المتآمرين العثمانيين ، وتوصل أزدمر إلى اتفاق مع المطهر (من الزيدية) بأن يترك له خراج البلاد التي يسيطر عليها

مقابل اعترافه بالسيادة العثمانية التي تتمثل في الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة – ورغم قبول المطهر إلا أنه كان يضمر الانتقام عندما يجد الفرصة ، وبالفعل لاحت له الفرصة عندما انتهت ولاية ازدمر باشا وخلفه ولاة ضعفاء .

وفي عام ١٥٦٧م جمع المطهر حوله أنصاره واستمال القبائل وهاجم العثمانيين في صنعاء ودخلها منتصراً في نفس العام . ونتيجة لذلك أرسلت الحكومة العثمانية حملة كبيرة إلى اليمن بقيادة سنان باشا وذلك لأهمية موقع اليمن .

تحركت حملة سنان باشا من مصر في يناير ١٥٦٩م . وعندما وصلت الحملة إلى ينبع أنزل سنان معظم قواته لتسلك طريق البر متجهة إلى عسير لتثبيت النفوذ العثماني هناك ، ثم أسرع سنان بباقي قواته إلى تعز . وتحسن موقف العثمانيين بوصول قواتهم إلى هناك . وتمكن سنان من الاستيلاء على عدن ، وفي النهاية تم فتح صنعاء بعد قتال مرير في عام ١٥٦٩م . ومع ذلك النصر ، استمرت الحرب ضد الإمام المطهر الذي اتخذ من قمم الجبال قواعد لقواته ، واضطر سنان لقبول الصلح معه فاعترف بالزعامة المحلية له ، بينما اعترف الإمام المطهر بالسيادة العثمانية على المنطقة ، كما قبل الإمام وجود حامية عثمانية رمزاً للسيادة العثمانية على جميع أقاليم اليمن ، وبذلك استعاد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ – ١٤٧٤م) السيطرة على اليمن ، وسمي هذا بالفتح العثماني الثاني لليمن .

الاستيلاء على العراق :

استولى السلطان سليم الأول ، بعد انتصاره على الشاه إسماعيل الصفوي، على مناطق الأكراد في شمال العراق وعلى مدينة الموصل . وظلت منطقة وسط العراق بمدنه المهمة : بغداد والبصرة في يد الصفويين حتى وفاة الشاه إسماعيل سنة ١٥٢٤م .

وفي عام ١٥٣٤م زحفت القوات العثمانية بقيادة إبراهيم باشا إلى اذربيجان حيث لحق به السلطان ودخل العثمانيون دون مقاومة وعاد السلطان إلى استنابول بعد أن عيّن ولاته على النواحي . أما البصرة وما يحيط بها فقد

تمّ ضمها إلى الامبراطورية العثمانية في العام نفسه .

ومما يجدر ذكره أن الفتح العثماني للعراق لم يقض نهائياً على الصفويين، بل ظلت الحروب مستمرة بين الطرفين من أجل السيطرة والسيادة على العراق . وفي عام ١٦٠٢م نجح الصفويون في الاستيلاء على بغداد ، ولكن السلطان مراد الرابع تمكن من فتحها مرة أخرى . وظلت تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى .

سيادة العثمانيين على بلاد المغرب العربي :

نسبة لانتصارات العثمانيين في الشام ومصر وظهورهم كقوة إسلامية فتية أثبتت كفاءتها الحربية ، فقد بدأ المسلمون في المغرب العربي ينظرون إليها كمنقذ لهم من الخطر الأسباني المتزايد على المنطقة ، خاصة بعد إجلاء المسلمين من الأندلس .

سيادة العثمانيين على الجزائر :

ارتبطت سيادة العثمانيين على الجزائر بخير الدين الذي ينتمي إلى أسرة بربروسا – وهي أسرة يونانية مسلمة اشتهرت بممارسة القرصنة ضد سفن المسحيين . ببحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) – وكان مع خير الدين أخوه اوروج . وقد استولى اوروج على مدينة الجزائر وهزم الأسبان الذين حاربوا إلى جانب الجزائريين ، كما فتح اوروج مدينة تلمسان ، وقتل بعد ذلك بقليل في إحدى معاركه ضد الأسبان . وحفظ خير الدين الجزائر وتلمسان وقتل أمير الجزائر. وأخبر خير الدين السلطان سليم الأول بفتح مدينة الجزائر باسمه بذلك معلناً ولاءه للعثمانيين سُرّ السلطان بهذه البادرة وأنعم على خير الدين بلقب بكلر بك (بك البكوات أو أمير الأمراء) . وسارع لنجدته وإمداده بقوات انكشارية مزودة بالمدفعية وبعض السفن الحربية وعينه من قبله حاكماً على الجزائر . وبفضل تلك الامدادات تمكن خير الدين من منازلة الأسبان في حوض الروم (البحر المتوسط) وإبعادهم عن الجزائر وكان ذلك في عام ١٥١٩م ، وصار الإقليم ولاية عثمانية .

سيادة العثمانيين على تونس وليبيا :

اتفق السلطان العثماني سليمان مع خير الدين على فتح إقليم تونس في

عام ١٥٣٥م ، ولكن بعد أن تم له ذلك ارتحل خير الدين من تونس لقلة جنده وضعف موقفه وتحزب الأهالي وميلهم لسلطانهم المعزول . وأخيراً تمكن سنان باشا من فتح تونس وضمها للسلطة العثمانية في عام ١٥٧٤م .

وفيما بعد تمكن العثمانيون وبفضل شجاعة وجسارة قائد الأسطول البحري العثماني . سنان باشا من انتزاع طرابلس من أيدي فرسان مالطة في عام ١٥٥١م.

أما المغرب الأقصى (مراكش) فقد استطاع وبفضل موقعه الاستراتيجي ومجهودات حكامه الأقوياء من أسرة الأشراف الذين قامت دولتهم منذ أوائل القرن السادس عشر ، أن يصمدوا أمام اعتداءات البرتغاليين والأسبان المتكررة وأمام مطامع الأتراك العثمانيين ، وظل مستقلاً حتى أوائل القرن العشرين حين اقتسمته فرنسا وأسبانيا .

الاستيلاء على السودان :

(انظر خريطة رقم (٤))

كان محمد علي باشا والياً على مصر ، وكانت مصر تدين بالتبعية للسلطان العثماني . وقد تم فتح السودان في عهد محمد علي في عام ١٨٢١م بموافقة السلطان العثماني محمود الثاني شريطة أن يتم ذلك باسم السلطان . وقد كانت السلطنة العثمانية تعتبر نفسها ذات حقوق في السيادة على السودان، بل وعلىالحبشة منذ أوائل القرن السادس عشر حين احتل السلطان سليم الأول بعد فتحه لمصر مينائي سواكن ومصوع ، وتوغل في أراضي الحبشة بقصد الزحف على سنار عاصمة مملكة الفونج ، ولكن سليم الأول عدل عن رأيه في فتح السودان آنذاك .

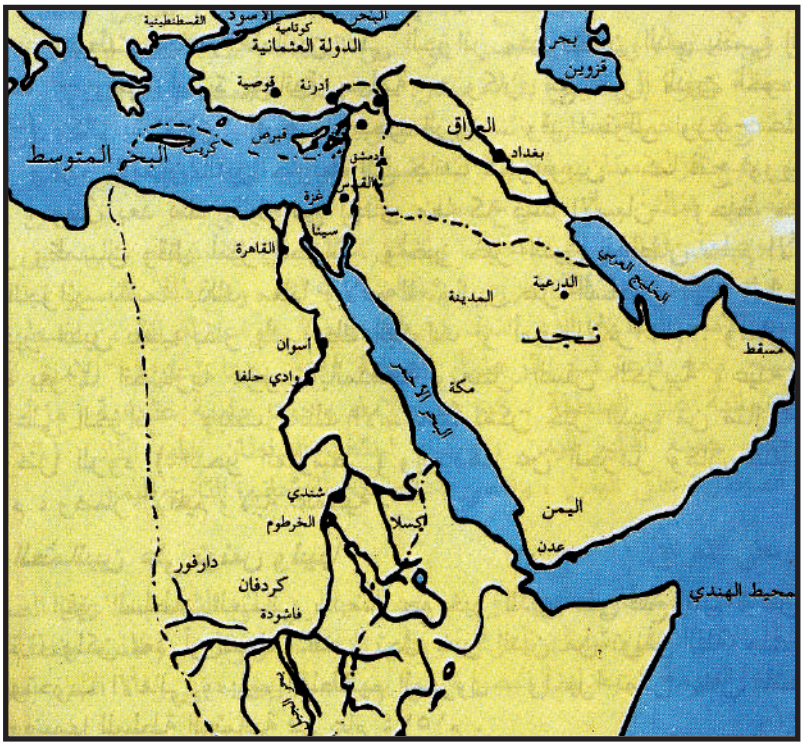

خريطة رقم (٤): اتساع سلطة محمد علي

أسباب تفوق العثمانيين على الشعوب :

- كفاءة جيوشهم التي كان قوامها كتائب الانكشارية .
- حماسهم الديني للإسلام ، والذي كان يدفعهم إلى خوض المعارك في بسالة وفدائية .
- اقتدار السلاطين الأوائل وخبرتهم وكفايتهم .
- تفكك شعوب أوربا ، وضعف روح التعاون فيما بينهم .

وإذا كان السلطان سليم الأول قد وسع حدود دولته ودعمها من الناحية الحربية ، فإن ابنه السلطان سليمان (القانوني) قد ثبت دعائم الدولة ، ونظم حكومتها، ووضع لها الشرائع الثابتة ، حتى لقبه الأتراك بلقب (سليمان القانوني) ، ولقبه الأوربيون بـ (العظيم) .

أسئلة :

١. اكتب باختصار عن :

أ . فتح القسطنطينية .

ب. موقعة مرج دابق .

جـ . استيلاء العثمانيين على الحجاز .

د . أسباب تفوق العثمانين على الشعوب .

٢. كيف تمكن العثمانيون من الاستيلاء على اليمن ؟

الدرس الرابع

نظم الحكم في الدولة العثمانية

أولاً :

السلطات المركزية :

(١) السلطان :

هو رأس السلطة في الدولة ويتربع على قمة التنظيم الإداري والعسكري وهو مقيد في سلطانه بحدود الشريعة الإسلامية ، وفيما عدا ذلك فهو مصدر السلطات جميعها . والسلطان هو المحرك الأساسي لسائر أعمال الحكومة . فالوزراء وقادة الجيش والولاة يتولون مناصبهم بتفويض منه .

وقد قسمت البلاد العربية ، بعد الاستيلاء عليها ، إلى ولايات وذلك ليسهل حكمها والإشراف عليها ؛ عدا مكة المكرمة فقد كانت إمارة مستقلة عن التشكيلات الإدارية الأخرى .

(٢) رئيس الوزراء والوزراء :

لقب رئيس الوزراء بالصدر الأعظم ومن مهامه :

- تمثيل السلطان في إدارة الشؤون الحربية والمدنية .
- الفصل في المنازعات .
- تعيين كبار موظفي الدولة .
- الإشراف على العاصمة العثمانية وأسواقها .
- حمل خاتم الدولة .

وعلى الرغم من علو مكانة رئيس الوزراء ، فإنه لم يكن بمأمن من العزل في أي وقت . وقد ازدادت قوة وخطورة هذا المنصب بسبب ضعف السلاطين .

أما الوزراء فقد استعان بهم السلطان في تصريف شؤون الدولة وأنعم على كل منهم بلقب باشا . وقد تولى الوزراء تزويد السلطان بالنصح والآراء في زمن الحرب والسلم .

(٣) الدفتردار :

يلي الصدر الأعظم في الرتبة ، وله الحق في مقابلة السلطان مباشرة

لعرض المسائل الخاصة بالميزانية وذلك لأنه المسؤول الأول عن إدارة الشؤون المالية وهو رئيس الموظفين الماليين . وفي الولايات فإن الدفتردار هو المسؤول الأول عن إدارة الشؤون المالية بالولاية . ومن مهامه أيضاً : جمع المال من الولاية وإرساله إلى العاصمة استانبول ، ومراقبة الاقطاعات التي تمنح للجند ومحاسبة الوالي عند انتهاء مدة ولايته .

(٤) رئيس الكتاب :

وهو مسؤول عن تنظيم علاقة الدولة بجيرانها من الدول الأخرى ، وإعداد التقارير التي يرفعها الصدر الأعظم للسلطان وإصدار الفرمانات إلى الولايات. وكان رئيس الكتاب يقوم بما تقوم به وزارتا الخارجية والداخلية في الدولة الحديثة .

(٥) الجيش العثماني :

لعب الجيش العثماني دوراً مهماً في تأسيس الدولة العثمانية وتوطيد أركانها ، بل وفي إدارة شؤونها الداخلية حتى قيل : اركان الدولة أربعة : العسكر، العلماء ، التجار ، الرعية . وكان الجيش العثماني يتكون من ثلاثة أقسام رئيسة هي :

- الانكشارية .
- الجنود الاقطاعيين .
- الجند الخاص (المرتزقة) .

وقد وجدت الانكشارية عناية فائقة من السلطة المركزية منذ عهد السلطان أورخان المؤسس الأول لهذا الجيش النظامي ، وبدأت قوة الانكشارية الفعلية تعلو منذ عهد السلطان سليم الأول حيث تدخلوا في تولية الوزراء وعزلهم . وكانت الانكشارية أقوى إدارة عسكرية تحت تصرف السلطان . تمتع قائدهم (الأغا) باستانبول بمكانة عالية ، وكان يقوم أيضاً بأعمال رئيس الشرطة. وبازدياد أعداد الانكشارية واتساع رقعة الدولة العثمانية تم تكوين حاميات منهم في الولايات وكان لكل ولاية (أغا) مستقل عن الوالي إلا في حالة الحملات العسكرية فقد كانوا يوضعون تحت إمرة الوالي .

أما الجنود الاقطاعيون فقد عرفوا (بالسباهية) أي الفرسان ، وقد

منحوا اقطاعات مقابل الاشتراك في حروبات الدولة وذلك بتجهيز عدد معين من الخيالة والمحاربين . وبمرور الزمن وبتدهور الدولة العثمانية انحط نظام السباهية وأصبحوا يدفعون ما عرف (بمال البدل) شهرياً لاعفائهم من الخدمة العسكرية ، ولذلك اضطر السلاطين العثمانيون إلى زيادة أعداد الانكشارية في الولايات .

أما الجند الخاص (المرتزقة) فقد كانوا يشكلون الحرس الخاص لحكام الولايات واستفاد منهم الولاة في توطيد سلطانهم .

وكان لزاماً على الولاة والصناجق إعداد الجيوش اللازمة لحروبات السلطان الخارجية من انكشارية وفرسان ومتطوعين . وللقضاء على الحركات الانفصالية والثورات الداخلية .

(٦) قائد الاسطول :

اهتم العثمانيون بإنشاء اسطول يدعم حركة جيوشهم ، خاصة في عهد السلطان سليم حيث أصبح للدولة العثمانية اسطول حربي كبير . وفي بادئ الأمر كثر الجند المرتزقة في أساطيل الدولة العثمانية جرياً وراء المغانم . ولأهمية الاسطول تمتع قائده بسلطات واسعة في الإدارة المركزية فاشترك في جلسات الديوان الذي يضم جميع الوزراء وغيرهم من كبار موظفي الدولة عند طلب المشورة في شؤون البلاد العامة . كما كان له دور في توجيه سياسة الدولة .

(٧) القضاة والعلماء (الموظفون الدينيون) :

كان من الموظفين الدينيين المفتي والقاضي وشيخ الإسلام ، وقد أدوا دوراً بارزاً في إدارة شؤون الدولة العثمانية . وكان القضاة يقضون بين الناس وفق أحكام الشريعة الإسلامية ويشرفون على شؤون الأوقاف وأموال اليتامى . وكان القضاء على المذهب الحنفي .

وقد أثرت شخصية القاضي من قوة أو ضعف ، تأثيراً واضحاً على سياسة الدولة العثمانية . وكان السلاطين العثمانيون يستشيرون العلماء في كثير من الأمور وطلب الفتوى منهم ، ولذلك تمتع أولئك العلماء بسلطة معنوية وروحية كبيرة خاصة في فترة تدهور وانحلال الدولة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القانون في الدولة العثمانية نشأ في البداية

على أساس عسكري . وفي عهد سليمان القانوني أخضعه لسلطة مفتي استانبول . وكان السلطان يرجع للمفتي للتأكد من أن نصوص أي قانون لا تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية . وكانت الدولة لا تقدم على حرب دون صدور فتوى تؤكد أن أهداف الحرب لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وكانت أحكام المفتي نهائية .

ثانياً :

الحكم العثماني في الولايات :

الوالي (الباشا) :

هو الذي يقوم بإدارة شؤون الولاية ويعينه السلطان . وكان يطلق عليه لقب الباشا الذي يعني الحاكم الأعلى . كما كان يطلق عليه أيضاً بك البكوات (أمير الأمراء) . وكان الوالي ممثلاً للسلطان ونائباً له في الولاية . وتتلخص مهام الوالي في الآتي :

- تلقي وتنفيذ الأوامر السلطانية .
- تطبيق قواعد الحكم العثماني في الولاية .
- إرسال المال السنوي المفروض على الولاية إلى الخزانة المركزية بالاستانة . وكانت تلك الأموال تجبى دون تدخل من الحكومة المركزية في طرق جبايتها .
- رئاسة ديوان الولاية الذي يساعده في الحكم .
- تعيين الصناجق وعزلهم بعد أخذ رأي الديوان وموافقة السلطان .

ويساعد الباشا وكيل يعرف بـ (الكتخذا) ومهمته التوقيع نيابة عن الباشا أثناء غيابه وتصريف بعض شؤون الولاية . وتراوحت مدة الوالي من سنة إلى ثلاث سنوات . وقد رمى السلطان إلى عدم إطالة بقاء الولاة خوفاً من طمعهم في الانفراد والاستقلال بالولاية .

ديوان الباشا :

يتكون من كبار موظفي الولاية من مدنيين وعسكريين بالإضافة للقاضي والصناجق – وكان يجتمع أربع مرات في الأسبوع – ومهامه :

- النظر في الشؤون المالية للولاية ، مثل فرض الضرائب .
- بحث الشكاوى القضائية والإدارية .

ولم يكن في استطاعة الباشا تنفيذ أي عمل من الأعمال المهمة دون استشارة الديوان والحصول على موافقته . وكانت قرارات الديوان تعرض على السلطان.

الصناجق (٢) والكشاف :

كانت الولاية تقسم إلى ألوية (صناجق) ويتولى إدارة كل منها حاكم يسمى (صنجق) برتبة بك أو أمير .. وكان بعضهم من أهل الولاية وذلك لتسهيل الإدارة ومراقبة الباشا حتى لا يستقل بشؤونها .

وقد ساعد الصناجق في أداء مهامهم طبقة الكشاف ، ومن مهامهم :

- إدارة المقاطعات في غياب الصناجق .
- المحافظة على الأمن .
- جمع الأموال الأميرية .

الملتزم :

هو الشخص الذي يُعطى حق جمع الضرائب للدولة من الولاية عن طريق المزايدة . وكان حق الالتزام يمنح لمن يتعهد بدفع أكبر عائد ممكن من الولاية . وكانت مدة الالتزام سنة واحدة . وكان يشترط على الملتزم عدم تحصيل أكثر من المبلغ الذي حددته شروط الالتزام ، ولكن عندما ضعفت الدولة العثمانية استغل الملتزمون تلك الظروف وجمعوا أكثر من المبالغ المحددة ، ووقع عبء ذلك على العامة من الرعية وخاصة الفلاحين .

ويرأس الملتزمين موظف يسمى المحصل ، وهو المسؤول عن العائد منهم ، وكان المحصل أحياناً هو الوالي . وكان من حق الملتزم أن يطلب مساعدة السلطة في حالة فرار الفلاح أو تهربه من السداد أو فلاحة أرضه ؛ وعليه فقد الفلاحون حق الانتقال أو امتهان أي حرفة أخرى .

الحامية العثمانية :

كان في كل ولاية حامية من الجيش العثماني – ومن مهامها :

- المحافظة على الأمن الداخلي .
- جباية الضرائب .
- الحد من نفوذ الولاة الطامعين في الاستقلال بولاياتهم .

وكان لكل حامية قائد يطلق عليه (الأغا) ونائب له هو (الكتخذا) ثم هيأة

٢* . الصناجق : ج صنجق وهو رأس اللواء أو الراية (وهي أصل الوحدة الإدارية) وكل مجموعة صناجق توضع تحت إمرة والي

ضباط الأوجاق (الحامية) .

ولم يكن للوالي يد في تعيين القادة العسكريين بولايته ، بل كان عليه أن يقرهم في مناصبهم حسب أوامر السلطان . وكثيراً ما كان الوالي يضطر إلى التجاوز عن أخطاء الاوجاقات (الحاميات) بل وإلى مسايرة قادتها لأن سلطاته لا تمتد إليهم . وقد أدى ذلك الوضع إلى اختلال في الإدارة أدى بدوره إلى تدهور وانحلال عام في جميع ولايات الامبراطورية العثمانية .

القضاء في الولايات :

كان على رأس القضاء في الولايات قاضي العسكر ، وهو المسؤول عن تنفيذ القانون ومراقبة العمال ومدى التزامهم بأحكام الشريعة في أعمالهم . وقد تناولت سلطة قاضي العسكر أيضاً القضايا الجنائية والمدنية بالولاية ، ولذا قام بتعيين القضاة في سائر أنحاء الولاية للفصل في تلك القضايا . وكان القضاة يقضون وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية .

ولمكانة قاضي العسكر السامية فقد كان يشترك في حضور جلسات ديوان الباشا .

الحياة الدينية في الولايات العربية الإسلامية :

كانت تقوم بتنظيمها الطوائف الصوفية أو أصحاب السجاجيد ، وكانت الدولة تقوم بتعيين مشايخ الطرق الصوفية ، وقد نالت تلك الطرق رعاية واهتمام الدولة . وأدت تلك الطرق دوراً بارزاً في تربية المواطنين تربية دينية عميقة ، كما أدى المشايخ دوراً في الحفاظ على وحدة الجماعة الإسلامية وترابطها في وجه الحركات القومية والتنظيمات السياسية المناوئة . وكانوا كثيراً ما يتدخلون من أجل التقارب بين الحكام والرعية ومارسوا نفوذاً لا يستهان به على الرعية وعلى الحكام الذين عرفوا لهم مكانتهم السامية في نفوس المسلمين وقدروها ، بل خشوها في بعض الأحيان .

أهل الذمة :

هم رعايا الدولة من النصارى واليهود . وتمت معاملتهم وفق الشريعة الإسلامية حيث كفلت لهم حرية شعائرهم الدينية وحماية أرواحهم وأموالهم. وكان على الذميين الجزية المقررة على أفرادهم الذكور البالغين القادرين على

العمل مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية والمشاركة في الحروب .

وقد تم تقسيم أهل الذمة حسب مذاهبهم الدينية ، وليس على أساس جنس أو قومية ، وفي ذلك الاطار تركت الدولة لبطارقة المسيحيين وحاخامات اليهود أمر إدارة شؤون طوائفهم وأحوال أفرادها العامة والخاصة .

التعليم في الولايات العربية الإسلامية :

لم يكن التعليم من مسؤولية الدولة ، بل سار طبقاً للنظم الموروثة . وكان بالمجان . وقد كان تمويله يتم الأوقاف ومن أهل الخير وجمعيات الاحسان التي تجمع المعونات من جميع الطبقات لتنفقها على معاهد العلم ومدارسه ، بما في ذلك أجور المعلمين وإعانات الطلاب .

ولم تخل مدينة أو قرية من تلك المؤسسات التعليمية . ويعتبر الجامع الأزهر من أكبر معاهد العلم آنذاك وأغناها لكثرة الأموال والأوقاف المخصصة له، كذلك كان الجامع الأموي بدمشق والمدارس الملحقة به ودور العلم المكتظة بالعلماء والمتعلمين . وقد انتشرت أيضاً دور العلم في كثير من مدن الشام الأخرى . وفي بغداد والبصرة والموصل وفي الحجاز واليمن والمغرب العربي والسودان الذي انتشرت فيه الخلاوي بصورة ملحوظة .

أرباب الحرف والتجارة :

انتظم أرباب الحرف والتجارة في طوائف ، وكانت أحوالهم أفضل من أحوال الفلاحين . وكانت هذه الطائفة تضم مختلف مستويات العاملين في الحرفة من معلمين وصناع ومبتدئة وشيوخ الحرفة . وكان لا يسمح لأحد أن يمتهن صنعة أو حرفة إلا إذا تعلمها على يد معلم مشهود له باتقان تلك الحرفة. وكانت تلك الطوائف بعيدة عن السياسة وعن حركات العصيان والتمرد التي اجتاحت الدولة العثمانية في فترة تدهورها .

وكان التجار ينتظمون في طوائف حسب جنسياتهم ، ففي مصر مثلاً كانت كل طائفة من طوائف الشام أو المغاربة أو الترك تنتظم في سوق واحد . وكان رئيس التجار (البازار باشا) يفصل في خصوماتهم ويتحدث نيابة عنهم لدى الدوائر الحكومية .

ومع تلك التنظيمات كانت هناك عدة عوامل أدت إلى عرقلة الحركة

التجارية بين الحواضر العربية أهمها :

- فوضى الحكم والإدارة والاضطرابات .
- حركات العصيان .
- تخلف وسائل النقل والمواصلات .
- فقدان الأمن على طرق القوافل التجارية .

كما أدى تحول التجارة الأوربية إلى طريق رأس الرجاء الصالح إلى كساد التجارة في المنطقة العربية ، كما أن الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية في فترة ضعفها لرعاياها من الأجانب غير المسلمين مكنت الجاليات الأجنبية من احتكار التجارة فيها .

أسئلة :

١. اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي .

(أ) كان السلطان العثماني هو مصدر السلطات جميعها . ( )

(ب) الصدر الأعظم هو المسئول المالي الأول في الدولة العثمانية. ( )

(جـ) من مهام الدفتردار محاسبة الوالى عند انتهاء مدته. ( )

(د) مثل الانكشارية أهم أقسام الجيش العثماني. ( )

(هـ) لم يهتم العثمانيون بتأسيس قوة بحرية. ( )

(و) كان المذهب الرسمي للقضاء في الدولة العثمانية هو المالكي. ( )

(ز) يساعد الوالى (الباشا) وكيل يعرف بالكتخدا في الإدارة العثمانية. ( )

(ح) كان حق جمع الضرائب في الدولة العثمانية يعطي للملتزم. ( )

(ي) اهتمت الدولة بالاتفاق على التعليم في الولايات العثمانية. ( )

(ك) انتظم أرباب الحرف والتجارة في الدولة العثمانية في نقابات لحماية حقوقهم. ( )

٢. ما المهام التي يقوم بها هؤلاء في الدولة العثمانية :

(أ) السلطان ؟

(ب) رئيس الوزراء ؟

(جـ) الدفتردار ؟

٣. " للجيش العثماني دورٌ مهم في تأسيس الدولة العثمانية ، وتوطيد أركانها " اكتب عن الأقسام الثلاثة الرئيسة لهذا الجيش .

٤. اكتب باختصار عن :

(أ) شخصية القاضي وأثرها على سياسة الدولة العثمانية .

(ب) الوالي والمهام التي يقوم بها .

(جـ) الصناجق .

(د) الملتزم .

٥. " لم يكن التعليم من مسؤوليات الدولة العثمانية " وضِّح هذه العبارة .

٦. اكتب مقالاً قصيراً عن طائفة التجار في الدولة العثمانية موضِّحاً العوامل التي أدت إلى عرقلة الحركة التجارية في حواضر الدولة .

الدرس الخامس

تدهور دولة الخلافة العثمانية وانهيارها

ظلت الدولة العثمانية قوية ومحتفظة بممتلكاتها الواسعة في البلقان والأناضول ومصر والشام والعراق . كما ظلت سيطرتها وسيادتها على كثير من مناطق الجزيرة العربية وفي شمال افريقيا ، حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي. وبمرور الزمن تضافرت عدة عوامل داخلية وخارجية أدت إلى تدهور واضمحلال الدولة ، ومن أهمها :

أولاً :

عوامل الضعف الداخلية :

١- اختلال نظام الانكشارية :

كما هو معروف فإن نظام الانكشارية قد أوصل العثمانيين إلى قمم المجد الحربي والاستقرار الإداري ؛ ولكن تدريجياً بدأ ذلك النظام يتحول من أداة أمن ودفاع إلى آلة شر وفساد ، كما أهملت التدريبات العسكرية وقلّ ارتباط الجند بثكناتهم . وفوق ذلك بدأ الأبناء يتوارثون مواقع آبائهم في الجيش ؛ ولذلك ضعفت مقدرات الجيش على الحرب ، وانصرف إلى التدخل في شؤون الدولة السياسية . وكل ذلك أدى إلى هزائمهم أمام العدو الخارجي .

٢- ضعف السلاطين المتأخرين وتدهور مستوى الحكم عامة وفساد أجهزة الدولة:

كان السلاطين الأوائل من ذوي الكفاية والمقدرة الإدارية والحربية ، بينما أصبح سلاطين الفترة الأخيرة – باستثناء السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ – ١٨٠٧م) والسلطان محمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٠م) يتصفون بعكس الصفات التي اتصف بها الأوائل . ومن أسباب ضعف السلاطين النزاعات العائلية والمنافسات والأحقاد والمؤامرات داخل القصر . كما شاعت عادة قتل اخوان السلطان التي قضت على كثير من الأمراء الأكفاء المقتدرين . وانتقل ذلك الأسلوب إلى مصالح وإدارات الحكومة المختلفة . وصارت الوظائف تباع وتشترى ، وفسدت أجهزة الدولة من القمة حتى القاعدة وتفشت الرشوة وسط المسؤولين حتى

الصدر الأعظم .

٣- استخدام الولاة للقوة العسكرية لتحقيق أغراضهم الشخصية من غير خوف من السلطة المركزية ، إذ صار كل واحد منهم يعمل على توسيع دائرة حكمه وزيادة موارد ثروته . وقد ساهمت الدولة في انتشار تلك الظاهرة الخطيرة بمساندة وال على آخر ، والاستعانة ببعضهم ضد الآخرين ، وأصبحت الولايات شبه مستقلة والحكم فيها وراثياً .

٤- سياسة الدولة الخاطئة في تعيين الأمراء والسناجق ، إذ كان يتم تعيين من يعد بدفع أكبر حصة من الأموال دون مراعاة للكفاءة والصفات اللازمة للأمراء والسناجق .

٥- أصبحت جباية موارد الدولة توكل إلى أشخاص ملتزمين عن طريق المزايدة لتوريد المبالغ التي يتفقون عليها مع الدولة . وقد لجأ الملتزمون إلى ضروب القهر والتسلط ليحصلوا على أكبر قدر من الأموال يضمن لهم ثروة طائلة بعد دفع ما التزموا به للدولة .

٦- انشغال الحكومة المركزية بالحروبات الخارجية وقمع حركات المقاومة الداخلية. ومن تلك الحركات : حركة ضاهر العمري في فلسطين وعلي بك الكبير في مصر ، مما أدى لإهمال الشؤون العامة من تعليم وصحة ومواصلات وزراعة، وأصبحت الدولة عاجزة عن إدارة مؤسساتها العسكرية والاقتصادية والسياسية .

٧- تدهور الحالة الاقتصادية ، الذي اضطر الدولة للاقتراض من أعدائها الأوربيين خاصة (انجلترا وفرنسا) مما جعل تلك الدول تتدخل في الشؤون الاقتصادية للدولة. وفي عام ١٨٣٦م اضطرت الدولة لإنشاء البنك العثماني برئاسة فرنسي له نائب انجليزي – وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أعلنت الدولة عجزها عن سداد الديون .

ثانياً :

عوامل الضعف الخارجية :

١- التغول الأوربي على ممتلكات الدولة العثمانية ، مما أدخل الدولة في حروب طال أمدها . وبسبب تلك الحروب فقدت الدولة الكثير من رجالها وأموالها ،

وذلك لامتداد خطوط القتال والابتعاد عن مراكز الامداد والتوغل في جهات مختلفة من العالم ، ومن ذلك حربهم في المجر وحصارهم لـ (فينّا) وصراعهم مع الفرس والحملات والامدادات المرسلة إلى اليمن والجزائر .

٢- تفوق الجيوش الأوربية وانتصارها على جيش الدولة العثمانية مما أدى لانحسار حدود الدولة في الجهات المتاخمة للدول الأوربية فتمكنت كل من روسيا والنمسا وبروسيا من اقتطاع بعض أجزاء من الدولة العثمانية .

٣- بروز الروح القومية لدى شعوب البلقان مما دفعها للثورة ضد الدولة العثمانية ومطالبتها بالانفصال عنها مثل : الأرمن واليونان والصرب ، كما انتفض الأكراد . وتكون حلف مقدس ضد الدولة العثمانية من النمسا والبندقية وروسيا بتأييد من جميع الدول المسيحية . وكانت حروباً دينية ضد دولة الخلافة الإسلامية .

وقد ترتب على ضعف وتدهور الدولة العثمانية أمران :

(أ) زحف الاستعمار الأوربي على أجزاء الدولة العثمانية ، خاصة البلاد العربية .

(٢) ظهور التنظيمات والحركات الإصلاحية الإسلامية والحركات القومية داخل أراض الدولة العثمانية .

كانت الصهيونية تعدها لاستلام مقاليد الأمور في تركيا ، لتحقيق أهدافها ومخططاتها . ومن تلك الشخصيات – مدحت باشا اليهودي الذي ادعى الإسلام نفاقاً – وقد أطلقت عليه الدعاية اليهودية أوصافاً براقة مثل (أبو الأحرار) و (أبو الدستور) وهكذا أسلوب الصهيونية والماسونية في إعداد عملائها منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم .

وقد سخرت الدعاية اليهودية – منتهجة الأسلوب نفسه في إعداد عملائها وأدواتها كل مكرها وخبثها وكذبها لتصوير أتاتورك بصورة المنقذ المنتظر لتركيا . وانتهزت الدعاية اليهودية هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، فبدأت تنادي بأن تركيا تحتاج إلى زعامة جديدة لانقاذها . ولكي يظهر أتاتورك بمظهر البطولة فقد تظاهر الحلفاء في أكثر من موقعة بالتراجع والانهزام أمامه .

وقد نجحت الدعاية اليهودية في إقناع الأتراك ببطولة أتاتورك وزعامته ، وساعدها في ذلك أن أتاتورك في بداية الأمر تستر بالإسلام ثم أصبح أداة طيعة في أيدي اليهود وحقق لهم أحلامهم ومطامعهم كما سيتضح لاحقاً .

أسئلة :

١. اكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

(١) تحول نظام الانكشارية من أداة أمن ودفاع ألى ...

(٢) كان سلاطين الفترة الأخيرة من عمر الدولة العثمانية ضعافاً باستثناء سليم الثالث و ...

(ج) من حركات المقاومة الداخلية للدولة العثمانية حركة .... في فلسطين وحركة .... في مصر

(د) مما أضعف الدولة العثمانية بروز الروح القومية لدي ..... ومطالبتها بالانفصال .

٢. ما النتائج التي ترتبت على تدهور الدولة العثمانية ؟

٣. اكتب مقالاً تاريخياً تناول فيه بالشرح والتحليل أسباب تدهور الدولة العثمانية .

الدرس السادس :

إلغاء الخلافة وظهور دولة تركيا العلمانية

وجاءت نهاية الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية فيها عندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) . وبعد انتصار الحلفاء في تلك الحرب كانت فرصتهم للقضاء على دولة الخلافة الإسلامية في تركيا . وتم ذلك على مرحلتين : في المرحلة الأولى عقدت معاهدة سيفرز لتمزيق دولة الخلافة أما في المرحلة الثانية فقد تم دعم الضابط التركي كمال أتاتورك ليقوم بإلغاء دولة الخلافة ويعلن ميلاد تركيا الحديثة .

معاهدة سيفرز – أغسطس ١٩٢٠م :

عقدت هذه المعاهدة في فرنسا ، وفرضت على تركيا ، ونصت على الآتي :

١- أعطيت اليونان أدرنة في تراقيا الشرقية .

٢- أن تشرف دول الحلفاء على مضيقي البسفور والدردنيل مع نزع السلاح منهما .

٣- السماح لليونان بالسيطرة على منطقة كبيرة على ساحل آسيا الصغرى (احتلال اليونان لأزمير في مايو ١٩١٩م) .

٤- استقلال الحجاز بزعامة ملكها الشريف حسين .

٥- دعم الحماية البريطانية على مصر ، وتخلي تركيا عن سيادتها على مصر .

٦- تقسيم أملاك تركيا الباقية إلى مناطق نفوذ .

أتاتورك وإلغاء الخلافة :

ارتبط إلغاء الخلافة الإسلامية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية بمصطفى كمال أتاتورك – فمن هو أتاتورك ؟

زعيم تركي ولد في سالونيك ١٨٨٠م ، وكان ضابطاً في الجيش العثماني انضم إلى جمعية تركيا الفتاة ثم إلى جماعة الاتحاد والترقي ، وكانت هذه الجماعة على صلة باليهود الذين كانوا يتعاونون مع بريطنيا ضد السلطان عبد الحميد الثاني وذلك لمواقفه الحاسمة أمام الهجرة اليهودية لفلسطين .

وفي يوليو ١٩٠٨م حدث انقلاب بزعامة جماعة الاتحاد والترقي ، ونتيجة

لذلك الانقلاب تم عزل السلطان عبد الحميد الثاني ، في أبريل ١٩٠٩م ، وكان الوفد الذي حمل قرار عزل السلطان عبد الحميد من ثلاثة أفراد أحدهم يهودي اسمه «قره صو» وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد طرده في وقت سابق من قصره عندما طلب التساهل في أمر هجرة اليهود إلى فلسطين .

صورة كمال أتاتورك رقم (١)

لعب أتاتورك دوراً كبيراً في حركة ١٩٠٨م كما تألق نجمه في الحرب الإيطالية التركية ١٩١١م، وبرز اسمه أيضاً سنة ١٩١٥م عندما استطاع رد هجوم الحلفاء على الدردنيل . وفي عام ١٩١٩م نظم الحزب الوطني التركي الذي حل محل جماعة الاتحاد والترقي . ومن أشهر أعمال أتاتورك حروبه ضد اليونان وانتصاره على جيشهم في أزمير في سبتمبر ١٩٢٣م (احتلتها اليونان في مايو ١٩١٩م) – كما انتصر في سقاريا وطرد اليونان من الأناضول ، ودخل بجنوده القسطنطينية التي كانت تحتلها الجيوش الإنجليزية .

عرف أتاتورك بعدم تمسكه بالإسلام وبميوله الغربية ، ولذلك ساعدته الدول الاستعمارية – خاصة إنجلترا – في تحقيق انتصاراته على اليونان ، كما أنها لم تدخل معه في حرب في القسطنطينية ، بل انسحبت منها . كان ذلك كله لترفع من شأنه ومكانته بتلك الانتصارات الوهمية وتجعل منه بطلاً قومياً وقائداً نافذ الكلمة فتجد قراراته المعادية للإسلام القبول من المسلمين – ولكي ترفع الدول الاستعمارية الأوربية من شأن أتاتورك أكثر ، عقدت معه معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م وكانت تلك المعاهدة بديلة لاتفاقية سيفرز التي حرمت تركيا

من كثير من أملاكها – وقضت معاهدة لوزان بالآتي :

١- أن تتنازل تركيا عن فلسطين وسوريا والعراق والجزيرة العربية ، وعن سيادتها الاسمية في مصر والسودان .

٢- أن تحتفظ تركيا بالقسطنطينية وشرق تراقيا وأزمير والأناضول .

٣- حيدة المضايق وحرية المرور خلالها لكل سفن العالم .

وقد دلت الدراسات والبحوث أن أتاتورك كان يدرك أن تكتل دول أوربا ضد تركيا ومعاداتها لا لشئ إلا لأنها تمثل الإسلام وتدافع عنه ، كما تأكد له أيضاً أن الصهاينة سيوقفون الصراع ضد تركيا إذا ألغى الخلافة الإسمية وبالتالي سار أتاتورك وفق أهداف ومخططات اليهود .

ومما قام به أتاتورك لإرضاء الإنجليز واليهود أنه تقدم بالتعهدات الأربعة الآتية :

١. الغاء الخلافة الإسلامية نهائياً في تركيا .

٢. أن تقطع تركيا كل صلة لها مع الإسلام والدول الإسلامية .

٣. تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية بتركيا .

٤. استبدال الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت .

ومن الأعمال التي قام بها أتاتورك لتقربه أكثر للغرب ولليهود ما يلي :

١. أباح زواج المسلمات لغير المسلمين .

٢. ترك الحلف باسم الله في الايمان الرسمية .

٣. وضع العقبات أمام الأتراك لأداء فريضة الحج .

٤. منع حجاب المرأة .

وفي جلسة الجمعية الوطنية في ٣ مارس ١٩٢٤م ألغيت الخلافة الإسلامية ، ثم سارت خطوات أتاتورك لإبعاد تركيا عن الإسلام أكثر وأكثر فأصدر القرارات والقوانين الآتية :

١- إلغاء المحاكم الشرعية وإضافة أعمالها إلى المحاكم المدنية .

٢- إلغاء المدارس والمؤسسات الدينية .

٣- إلغاء النص على أن دين الدولة الإسلام .

٤- إلغاء التشريعات الإسلامية واستبدالها بالقانون المدني السويسري والقانون

الجنائي الإيطالي .
٥- جعل العطلة الاسبوعية يوم الأحد بدلاً عن يوم الجمعة .
٦- إلغاء التقويم الهجري .
٧- إغلاق أشهر مسجدين باستانبول (أياصوفيا - ومسجد الفاتح) .
٨- حرمت قوانين تعدد الزوجات ، كما منحت المرأة حق الطلاق كالرجل تماماً.
٩- إلغاء الحروف العربية في الكتابة التركية واستبدالها بالحروف اللاتينية .
١٠- حرم أتاتورك لبس القبعة (الطربوش) وسن قانوناً جعل الزي الأوربي هو الزي القومي للرجال .
١١- فصل الدين عن الدولة ، وصدر قانون ١٩٢٨م ينص على أن الجمهورية التركية دولة لا دينية .

وبإلغاء أتاتورك للخلافة الإسلامية وللقوانين الإسلامية ، وإصداره للقوانين العلمانية انقلبت الأوضاع في تركيا ، وأدى هذا الانقلاب إلى قطيعة صعبة بين تركيا وماضيها الإسلامي من جهة وبينها وبين الدول الإسلامية من جهة أخرى.

ومن أبرز اتجاهات تركيا العلمانية تبعيتها للغرب في نظمها السياسية والاقتصادية الاجتماعية ، ثم اعترافها المبكر باسرائيل دولة لليهود العنصرية وعلاقاتها الاستراتيجية معها . كل ذلك بسبب أفكار وتوجهات أتاتورك .

وأخيراً فإنه مما يؤخذ على أتاتورك ضعف عقيدته وبالتالي تحامله على التراث الإسلامي وتمسكه بقشور المدنية الغربية ومظاهرها واستبداده الذي لا حد له واعتزازه الشديد بنفسه ، حتى أثر عنه قوله (أنا تركيا وإذا مت ماتت تركيا) .

أسئلة :

١. « وقوف الدولة العثمانية إلى جانب دول الوسط في الحرب العالمية الأولى، جعل الحلفاء بعد انتصارهم يعملون للقضاء عليها » وضِّح ذلك متناولاً معاهدتي سيفرز ولوزان ودور أتاتورك في إلغاء الخلافة الإسلامية .

٢. اكتب باختصار عن الآتي :

(أ) معاهدة سيفرز في أغسطس ١٩٢٠م .

(ب) معاهدة لوزان في ١٩٢٣م .

(جـ) التعهدات التي قدمها أتاتورك لإرضاء الإنجليز واليهود .

(د) ما الذي فعله أتاتورك ليزداد قرباً من الغرب واليهود ؟

٣. ألغت الجمعية الوطنية الخلافة الإسلامية في جلسة ٣ مارس ١٩٢٤م ، وسعى أتاتورك لإبعاد تركيا عن الإسلام – فما القرارات التي اتخذت في هذا الاتجاه؟

الدرس السابع

حركات الإصلاح في العالم الإسلامي

بدأت أطماع أوربا في بلاد المشرق العربي منذ عهد الاسكندر الأكبر (القرن الرابع قبل الميلاد) . وتجددت تلك المطامع بالحروب الصليبية لتحقيق مكاسب اقتصادية ودينية ، ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلادي . وتعتبر الكشوف الجغرافية ، التي بدأت في القرن الرابع عشر ، امتداداً لتحقيق تلك المكاسب وغيرها ، وهي مقدمة لحركة الاستعمار الأوربي الحديث الذي جاء في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ويمكن تلخيص أسباب الاستعمار في الآتي :

١. إذلال المسلمين وكسر شوكتهم ، ونهب خيرات بلادهم والقضاء على كل مظاهر حضارتهم ، باعتبارهم القوة الوحيدة التي تشكل خطراً على الغرب.

٢. نشر مظاهر الحضارة الأوربية ، وجعل شعوب المستعمرات ، خاصة المسلمين ، تابعين لأوربا في ثقافتها ونظمها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها العلمانية .

٣. حاجة الدول الأوربية إلى المواد الخام الرخيصة لمصانعها ، ثم حاجتها للاسواق لبيع فائض منتجات مصانعها ، وذلك بسبب الثورة الصناعية التي بدأت في أوربا منذ بداية القرن الثامن عشر .

٤. توفير المواد الغذائية لسكان المدن الأوربية الذين كان عددهم في ازدياد بسبب هجرة سكان القرى للمدن .

٥. رغبة الدول الأوربية في امتلاك أكبر قدر ممكن من المستعمرات لتصبح دولاً عظمى ؛ لأن عظمة الدولة آنذاك كانت تقاس بقدر ما تمتلكه من مستعمرات.

٦.السيطرة على المواقع الاستراتيجية من ممرات مائية ومواقع متميزة ، وذلك لتأمين الطرق التجارية للمستعمرات ؛ فانجلترا مثلاً كانت تتطلع لاستعمار الأماكن المهمة التي تقع على طريق تجارتها للهند . وكانت ترنو ببصرها لاحتلال مصر وعدن ، وكان لها ما أرادت .

٧. دوافع دينية لنشر المسيحية . ولكن مما يؤسف له أن أفعال المبشرين في المستعمرات كانت ولا زالت مجافية لتعاليم المسيحية الحقة .

ولهذه الأسباب مجتمعة أو لمعظمها ، فقد قامت الدول الأوربية بهجمتها الاستعمارية على أقطار العالم الإسلامي . وفي ذات الوقت عمت الوطن الإسلامي يقظة هدفت إلى الإصلاح في أمور الدين والدنيا . وكانت تلك اليقظة تهدف للإصلاح الداخلي ورفع المستوى الروحي والفكري لشعوب المنطقة حتى تخرج من وهدة التخلف وتلحق بركب الأمم المتقدمة وتقف نداً قوياً أمام الأوربيين الطامعين فيها . ونبدأ فيما يلي بمتابعة سيرة أبرز حركات الدعوة والإصلاح في الوطن العربي.

حركات الدعوة والإصلاح في الوطن العربي الإسلامي :

١- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/١٧٠٣-١٧٩١م):

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدة العيينة بنجد شمالي الرياض في عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م . وقد نشأ في بيت علم ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان قاضي العيينة . وقد حفظ القرآن وتتلمذ على والده ودرس عليه الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وكان منذ طفولته شغوفاً بالعلم ، وكان يقضي

جل وقته في قراءة الفقه والتفسير والحديث . ولطلب مزيد من العلم بدأ الشيخ رحلاته ، فذهب إلى مكة المكرمة وأدى فريضة الحج ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة – كما سافر إلى البصرة حيث درس على علمائها .

حركته الإصلاحية :

انتشرت كثير من البدع والعقائد الفاسدة والخرافات التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية في الفترة التي عاش فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وبدأ الشيخ دعوته وسط قومه ، وكان موضوعه الرئيس هو التوحيد باعتباره أصل رسالة الإسلام ودعوة كل الأنبياء والرسل . وكان الشيخ يقوم بالتدريس والوعظ والنصح ، والدعوة إلى نبذ كل ما يفسد العقيدة ، والابتعاد عن الشرك وبيان أنه لا ضار ولا نافع إلا الله سبحانه وتعالى . وبمرور الزمن أثمرت مجهودات الشيخ والتف حوله كثير من الأتباع ، واشتهر أمره في جميع أرجاء الجزيرة العربية وخارجها .

اتصال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالأمير محمد بن سعود :

وعلى الرغم من كثرة مؤيدي الشيخ في العيينة إلا أنه أحس بمعارضة لدعوته والنية للتخلص منه ، فاضطر للخروج من العيينة قاصداً الدرعية (جوار الرياض من ناحية الشمال) – وكان يتلو قوله تعالى :) ومن يتق الله يجعل له مخرجا × ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ([سورة الطلاق: الآيات .

وفي الدرعية رحب به أميرها محمد بن سعود ، كما رحب به أهلها وبايعه الأمير محمد بن سعود على دين الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم . والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبعد ذلك توافد إلى الدرعية مريدو الشيخ من الجهات الأخرى . واصل الشيخ دعوته في الدرعية ، ولم تقف مجهوداته عند التدريس والوعظ والإرشاد ، بل كان يكاتب أهل الجهات الأخرى ، فمنهم من قبل وامتثل ، ومنهم من اعترض . وظل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية – عاصمة السعودية الأولى – إلى أن توفي عام ١٢٠٦هـ /١٧٩١م .

انتشار الدعوة الإصلاحية السلفية :

انتشرت هذه الدعوة في عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩هـ-١٢١٨هـ) وذلك بفضل استيلائه على أجزاء كثيرة من شبه الجزيرة العربية . وفي تلك الفترة عهد السلطان العثماني إلى والي بغداد مهمة القضاء على تلك الحركة، إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليها نهائياً ، وفيما بعد تمكن السعوديون من مهاجمة الأراضي العراقية ودخلوا كربلاء .

وفي عهد سعود بن عبد العزيز (١٢١٨هـ - ١٢٢٩هـ) توسعت الإمارة السعودية أكثر، إذ ضمت الحجاز . وتبعاً لذلك انتشرت الدعوة السلفية وانتشرت جنوباً حتى أطراف اليمن وشمالاً حتى الشام وأصبحت قوية تهدد الدولة العثمانية.

محمد علي والدعوة الإصلاحية السلفية :

عزمت الدولة العثمانية على القضاء نهائياً على الحركة الوهابية واسترداد الحجاز والحرمين الشريفين ، وذلك بعد فشل ولاتها في العراق على القضاء على تلك الحركة . وكذلك كلف السلطان والي مصر آنذاك – وهو محمد علي – بتجهيز حملة كبيرة للقضاء على الحركة وإعادة الحرمين إلى نفوذ السلطان العثماني .

كان محمد علي يطمع في تأسيس امبراطورية واسعة ، ولذلك وافق على طلب السلطان العثماني . وسير قواته براً وبحراً بقيادة ابنه طوسون . وقد تمكن طوسون في أول الأمر من الاستيلاء على المدينة المنورة عام ١٨١٤م ، ولم يستسلم الوهابيون للهزيمة وظلوا يناوئون جيوش محمد علي حتى توفى أميرهم سعود في نفس العام (١٨١٤م) .

خلف الأمير عبد الله والده سعود . وكان مثل أبيه نخوة وشجاعة وإصراراً على الدفاع عن دولته والدعوة الوهابية . واستمرت الحرب سجالاً بين الأمير عبد الله ومحمد علي . وجاءت نهاية السعوديين عندما عهد محمد علي لابنه إبراهيم بحرب الحجاز . هاجم إبراهيم القصيم وأخرج السعوديين منها واضطرهم للاحتماء بعاصمتهم الدرعية ، ولاحقهم وحاصرهم حتى استسلم الأمير عبد الله في عام ١٨١٨م فأسر وأرسل إلى الاستانة وقتل هناك . وقد قام

إبراهيم بهدم الدرعية، وعين في نجد أميراً من قبله . وأعاد الحجاز إلى الأشراف الذين أقصاهم السعوديون عنها من قبل وبهذا زالت دولة السعوديين الأولى .
استمر حكم إبراهيم في الحجاز زهاء التسعة أشهر ، كانت كلها مليئة بالبطش والقهر وفرض الضرائب الباهظة ؛ كما اجتاحت البلاد مجاعة شديدة بسبب الحروب وإهمال المرافق وقلة الإنتاج .

وفي عام ١٨٣٩م احتلت بريطانيا عدن وألبت الدول الأوربية الأخرى على محمد علي حتى أجبرته على التخلي من الحجاز والشام وأخيراً اضطر محمد علي لتسليم الحرمين إلى السلطان العثماني .

الدولة السعودية الثانية :

بعد زوال الدولة السعودية الأولى عادت إلى نجد الفوضى القديمة وقطع الطرق وعدم الأمن ؛ ولكن بعد ذلك ظهر نجم أحد الأمراء السعوديين في نجد ، وهو الأمير تركي بن عبد الله مؤسس الدولة السعودية الثانية لآل سعود، وقد اتصف بالشجاعة وقوة الشكيمة . اتخذ الأمير تركي الرياض عاصمة له ، وتمكن من إخضاع نجد وإعادة العزة والمجد للسعوديين وتوطيد أركان دولتهم.

فيصل بن تركي :

خلف والده تركي بعد قتله في عام ١٨٣٢م . وبعد أن قتل قاتل أبيه ، مشاري بن عبد الرحمن بن سعود ، انصرف إلى محاربة جنود محمد علي والجنود الأتراك وتمكن من إخضاع معظم الجزيرة العربية ما عدا الحجاز . وقد أعاد النظام والأمن في تلك البلاد بعد أن سادت الفوضى . هال الآتراك ومحمد علي عودة نفوذ آل سعود فأرسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ابن عم الأمير فيصل . ودارت الحرب سجالاً بين الطرفين ، ثم تحولت إلى حرب أهلية بين آل سعود وبعد معارك دامية استسلم الأمير فيصل ، وأرسل إلى مصر في عام ١٨٣٨م حيث تم سجنه . وبعد فترة تمكن من الفرار ورجع إلى نجد واستعاد نفوذه ، وساعده في ذلك انسحاب جيوش محمد علي وزوال نفوذه من الجزيرة العربية نتيجة لمعاهدة لندن ١٨٤٠م وقبوله لسيادة العثمانيين الاسمية على بلاد العرب وبذلك ساد الأمن والاستقرار الطرق والبلاد التي بسط فيها فيصل سلطانه

ونفوذه وشهدت نجد رخاءً عظيماً .

توفي فيصل في عام ١٨٦٦م وخلفه ابنه سعود بعد أن دخل في نزاع مرير مع أخيه عبد الله وانتزع منه الإمارة ، وساءت أحوال نجد في أيام سعود وكثرت الفتن والحروبات وتقسمت البلاد إلى إمارات صغيرة حتى عام ١٨٧٥م إذ مات سعود بن فيصل وبدأ نجم آل سعود في الافول وأصبحت السلطة في نجد لآل الرشيد . وتمكن الأمير محمد بن الرشيد – أمير حائل – من الاستيلاء على الرياض ، كما استولى على سائر أنحاء نجد ودانت له العشائر كلها راضية أو مكرهة .

الدولة السعودية الثالثة :

عمل الأمير عبد الرحمن بن فيصل على مقاومة الأمير محمد بن الرشيد بمساعدة أهل الرياض الموالين لآل سعود ، ولكنه فشل ، فاضطر إلى مغادرة نجد إلى الاحساء فالقطيف ثم الكويت التي وصلها في عام ١٨٨٣م . اقام الأمير عبد الرحمن في الكويت تحت رعاية وحماية حاكمها الشيخ مبارك بن صباح ، وأخذ الأمير عبد الرحمن يؤلب الأتراك وحكام الكويت على ابن الرشيد .

الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود :

هو مؤسس المملكة العربية السعودية الحالية . كان عمره اثنتا عشرة سنة عندما هاجر مع والده إلى الكويت . قرر الأمير عبد العزيز أن يخاطر وينتزع ملك أسرته من ابن الرشيد أو يفنى دونه ، ولذلك خرج من الكويت في عام ١٩٠١م ومعه أربعون رجلاً من آل سعود والموالين لهم قاصدين الرياض لما لهم فيها وفي تلك المناطق من أنصار كما أن الرياض بعيدة عن مركز قوة ابن الرشيد . وقبل أن يصل عبد العزيز إلى الرياض انضم إليه حوالي اربعمائة فارس من رجال القبائل المؤيدين له . وصل عبد العزيز أطراف الرياض في ليل دامس ، وتقدم بأربعين من فرسانه الأشداء واقتحم قصر عجلان بن الرشيد واستولى عليه وعلى المدينة بعد أن قتل عجلان واستسلم حرس القصر وأعلن أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن سعود وأن عجلان قد قتل ، فسمع الناس وأطاعوا .

وهكذا استولى الأمير عبد العزيز بتلك المغامرة الجريئة على الرياض واسترد

ملك آبائه بعد القضاء على مملكة بن الرشيد . وتمكن الأمير عبد العزيز أيضاً من الانتصار على الأتراك وطردهم من نجد عام ١٩٠٦م كما تصدى لثورة أبناء عمه في الجنوب فأخمدها ، وتصالح مع الشريف حسين حاكم مكة المكرمة .

صورة رقم (٢) عبد العزيز آل سعود
مؤسس المملكة العربية السعودية

وفي عام ١٩١٣م انتهز الأمير عبد العزيز ضعف وتصدع الامبراطورية العثمانية وخروجها من حروب البلقان منهوكة القوى ، فانقض على إقليم الاحساء واستخلصه من النفوذ التركي وضمه إلى مملكته . وبعد ذلك تمكن أهل تربة (على الحدود بين نجد والحجاز) من دحر جيش الشريف حسين الذي كان بقيادة الأمير عبد الله ، ولما وصل ابن السعود إلى تربة وجدها خالصة له ، وكان ذلك في عام ١٩١٩م .

وفي صيف ١٩٢١م أعلن عبد العزيز سلطاناً على نجد ، وكان عليه أن يقضي على القوى التي تهدد سلطنته فبدأ بإمارة آل الرشيد في حائل فحاصرها حتى اضطر أميرها محمد بن طلال بن الرشيد إلى التسليم وبذلك ضمت إمارة ابن الرشيد ومنطقة جبل شمر إلى سلطنة نجد .

ومن القوى الخطيرة التي كانت تواجه بن السعود ، الشريف حسين في الحجاز وقد ظلت العلاقات سيئة بينهما منذ ضم تربة لابن السعود . وقد حاولت انجلترا أن تحسن العلاقات بين الطرفين لتدعم نفوذها في المنطقة فدعت الطرفين إلى مؤتمر في الكويت في ديسمبر ١٩٢٣م ، ولكن المؤتمر فشل .

فكر ابن السعود في فتح الحجاز ، وبدأ بالطائف واستولى عليها

رغم جهود الحسين في الدفاع عنها . بعد ذلك تطلع ابن السعود إلى ضم مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولكن لمكانة هاتين المدينتين لم يشأ أن يدخلهما محارباً ولذلك تم عقد اجتماع في جدة حضره بعض الحجازيين من أعيان وتجار وغيرهم ، وقرروا إرسال برقية إلى الملك حسين تضمنت الآتي : « .. بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال ، وبما أن الحرمين الشريفين وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة وبما أن الحجاز بلاد مقدسة يعني أمرها جميع المسلمين ، فإن الأمة تطلب تنازل الشريف حسن نهائياً عن العرش وتنصيب ابنه الأمير على ملكاً على الحجاز » . فتنازل الشريف حسين لضعف موقفه وانسحب الأمير علي إلى جدة . واستطاع السعوديون دخول مكة المكرمة في اكتوبر ١٩٢٤م ، ومن بعد ذلك حاصر ابن السعود جدة واستولى عليها وبايعه أهل الحجاز بالملك ، وأصبح لقبه الجديد (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) .

ضم عسير :

تقع عسير بين الحجاز واليمن ، ولها أهمية لموقعها ، ومن ثم تطلع ابن السعود لضمها ، وكان عليها محمد علي الإدريسي . حاول إمام اليمن الاعتداء على عسير فالتجأ إمامها الإدريسي إلى الملك عبد العزيز وطلب نجدته وعقد معه معاهدة في عام ١٩٢٦م تقرر فيها بسط حماية ابن السعود على عسير . وفي سنة ١٩٣٠م طلب الإدريسي ضم عسير إلى نفوذ ابن السعود ، وبالفعل تم الاتفاق على ذلك وأصبح نفوذ ابن السعود يشمل : نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز وعسير وذلك اعتباراً من شهر سبتمبر ١٩٣٢م . ثم صدر مرسوم ملكي بتوحيد أجزاء المملكة في مملكة واحدة أطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية . وفي عام ١٩٣٤م اعترف إمام اليمن بحدود المملكة العربية السعودية بما فيها عسير.

لقد تمكن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود من تأسيس الدولة السعودية الثالثة وإعلان المملكة العربية السعودية الحالية في عام ١٩٣٢م . وكانت الدعوة الوهابية عماده وسنده ، ونتيجة لذلك قويت الصلات بين آل محمد بن عبد الوهاب (آل الشيخ) وآل سعود . وما زالت لآل الشيخ أعظم مكانة لدى الملوك والأمراء السعوديين . ولا شك أن الحركة الوهابية التي

تميزت بالنشاط والوضوح كانت بذرة من بذور الوعي الإسلامي وعاملاً مهماً من عوامل اليقظة الإسلامية .

٢- الحركة السنوسية :

تنسب إلى مؤسسها محمد علي السنوسي (١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ/١٧٨٧م - ١٨٥٩م) الذي ولد بالجزائر وينتمي لأسرة عرفت بالعلم . تعلم السنوسي العلوم الإسلامية في فاس ، كما درس فترة بالأزهر . ثم رحل إلى الحجاز حيث درس على عدد من علماء الحرمين الشريفين . ومما لا شك فيه أن السنوسي تأثر أثناء إقامته بالحجاز بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولذلك فكر في إقامة حركة من أجل رد المسلمين إلى أصول الإسلام الصحيحة وصفائه الأول وبساطته ونقائه .

ومن الحجاز غادر السنوسي إلى الجزائر ، ولكن لم يستطع دخولها بسبب الاحتلال الفرنسي ، فاضطر إلى الإقامة في الجبل الأخضر بليبيا ، في برقة وأنشأ الزاوية البيضاء ، وهي أول زاوية أنشئت للحركة . والزاوية السنوسية هي مركز ديني وثقافي واجتماعي وعسكري ، وهي عبارة عن فناء واسع تحيط به مرافق تشمل مسكن الشيخ والمسجد ومكان للضيوف وخلاوي للتلاميذ ، بالإضافة إلى سكنهم وسكن الأتباع ، كما أنها أيضاً مكان لإيواء اللاجئين .

انتقل الشيخ السنوسي بعد ذلك إلى واحة الجغبوب التي أصبحت مركزاً للدعوة السنوسية وأخذ الناس يتقاطرون عليها حتى نافست الأزهر .

أهداف الحركة السنوسية :

١. الدعوة للتوحيد المطلق والتقيد التام بتعاليم وآيات القرآن الكريم .

٢. محاربة البدع .

٣. الجهاد في سبيل الله لأن دعوة الحق لابد لها من قوة تحميها وتدافع عنها وتحارب اعداءها .

٤. توجيه الأمة الإسلامية ، التزاماً بأمر الله تعالى) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. (١٠٣) (سورة آل عمران)

ومن خلال الزوايا التي أنشأتها الحركة عملت على تحقيق أهدافها وكسبت كثيراً من الأتباع في وقت وجيز وذلك لسخط الناس على الأحوال التي كانوا

يعيشون تحت ظلها وأملهم في مستقبل أفضل .

وقد قامت الدعوة السنوسية على وجوب دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف على يد مشايخ اكفاء ، وإصلاح حياة الناس وفقاً للأصول الإسلامية ثم الاستعداد للذود عن الإسلام والمسلمين – وقد التزمت الدعوة السنوسية بالمذهب المالكي .

نهج الدعوة السنوسية :

التزم السنوسيون نهجاً سلمياً في دعوتهم وتسامحوا مع معارضيهم في الرأي من أهل الطرق الأخرى ، ولم يتعرضوا للأولياء والعلماء بالنقد أو التجريح، كما أنهم لم يهاجموا الخلافة العثمانية رغم خلافاتهم معها ، ورغم علاتها ، رأوا فيها صيانة وحماية لمصالح وحدة المسلمين ، وأن إضعافها ليس من مصلحة الإسلام ، لذا نظر السلطان العثماني للحركة السنوسية وزعيمها نظرة ارتياح . وبذلت الدولة العثمانية جهدها للاستفادة من مكانة الشيخ المرموقة في القضاء على الاضطرابات الداخلية لاسيما في الأماكن الصحراوية النائية ، واعترفت بإمارة السنوسي الكبير وخلفائه ، وانتقلت الحركة من مجرد دعوة سلفية إلى دعامة من دعامات الحكومة في العالم الإسلامي .

وأول اعتراف رسمي بالدعوة السنوسية صدر بفرمان عام ١٨٥٦م بإعفاء أملاك الزوايا من الضرائب وسمح للحركة بجمع ضريبة من أتباعها ، كما اعتبرت الزاوية (حمى) يلجأ إليها الناس .

ولم يصطدم السنوسي الكبير بالدولة العثمانية لأن همه كان ينحصر في أصلاح عقيدة المسلمين ورفع الجهل والخرافات وإزالة الخلافات بين المسلمين.

ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بين الحركة والدولة العثمانية حين عظم نفوذ الدعوة وبدأت الزوايا تؤدي دوراً سياسياً وتصدى رجالها لتوغل النفوذ الفرنسي والإيطالي في شمال أفريقيا ، وقد كان السلطان العثماني آنذاك صديقاً لفرنسا . وازدادت العلاقات سوءاً حينما أخذت الدولة العثمانية تميل إلى سياسة التتريك وتنظر إلى الحركة السنوسية كحركة إسلامية عربية معادية . تأزم الموقف بين الطرفين حين رفض السنوسيون دفع الضرائب التي فرضت على الزوايا والأملاك السنوسية كما رفضوا رفع العلم التركي على

جنوب الجغبوب والكفرة وإقامة ممثل للحكومة التركية فيها – وظلت العلاقات متذبذبة بين الدولة العثمانية والحركة إلى أن حسمت إيطاليا الأمر واحتلت ليبيا في عام ١٩١٢م .

انتشار الدعوة السنوسية :

انتشرت الدعوة السنوسية في واحات الصحراء الكبرى وفي سلطنات أفريقيا الوسطى وأفريقيا الغربية – وكانت لتلك البلاد صلات تجارية مع شمال أفريقيا – واجتهد السنوسي الأكبر في تقوية تلك الصلات كوسيلة لنشر دعوته ، فأمن التجار على حياتهم وممتلكاتهم بمحررات كان يكتبها إلى شيوخ القبائل التي دخلت في طاعته كي يأذنوا لأصحاب تلك القوافل باجتياز أرضهم في سلام ، كما وصلت الدعوة السنوسية إلى بلاد برقو وقويت الصلات بين الدعوة السنوسية وسلطنة وداي وازداد نشاط الحركة في كانم وتوسعت الدعوة وانتشرت حتى بلغت دارفور .

الحركة السنوسية والاستعمار :

نسبة لانتشار الدعوة السنوسية انزعج المستعمرون لأن في ذلك خطراً على مصالحهم ، كذلك هاجم الفرنسيون المراكز السنوسية في السودان الفرنسي ودارت عدة معارك بين الفريقين انسحب على اثرها السنوسيون .

ومن جانب آخر تعرضت ليبيا للغزو الإيطالي – كما مر – حيث احتلت إيطاليا بنغازي . وعندما علم أحمد الشريف السنوسي – الذي خلف عمه المهدي – أمر أتباعه وعموم المواطنين بالجهاد في سبيل العقيدة والوطن كتب إلى المراكز والشيوخ وأعيان القبائل بذلك . كما كتب إلى أمراء الشرق الإسلامي وزعمائه مستنجداً بهم .

دافع أهل بنغازي وأبلى السنوسيون بلاءً حسناً وأدهشوا العالم ببسالتهم وشجاعتهم تحت قيادة أحمد الشريف السنوسي رغم تفوق سلاح الطليان . وفي تلك الظروف الصعبة أبرم السلطان العثماني صلحاً مع الطليان وسحب قواته من الميدان لضعف دولته – ومع ذلك واصل السنوسيون جهادهم ضد المستعمر الباغي وقد انتصروا في بعض المعارك . وطلبت إيطاليا الصلح ، ولكن أحمد الشريف رفض طلب إيطاليا لأنها دولة باغية ومعتدية . وبسبب تفوق سلاح

إيطاليا وموقف الدولة العثمانية ظلت إيطاليا مستعمرة لليبيا .

وهكذا يتضح جهاد المسلمين في ليبيا واستماتتهم في القتال ضد الاستعمار الأوربي دفاعاً عن عقيدتهم ووطنهم – كل ذلك بسبب قوة إيمانهم وعقيدتهم والتزامهم التام بها في كل شأن من شؤون حياتهم .

٣- الحركة العرابية:

تنسب للزعيم المصري أحمد عرابي – الذي ولد عام ١٨٤١م ، وتعلم في الأزهر ثم التحق بالجيش ، ولأن أحمد عرابي كان ضابطاً في الجيش فقد كانت الفكرة السائدة عن ثورته أنها ثورة عسكرية ، ولكن الحقائق تؤكد أنها ثورة قومية ويتضح ذلك من مطالب الضباط الوطنيين وتأييد كل فئات الشعب المصري لها .

حالة مصر قبل الثورة العرابية :

تفاقمت الأزمة المالية واضطر الخديوي إسماعيل للاستجابة لمقترحات الدائنيين ، فأصدر مرسومين في مايو ١٨٧٦م ، يقضي أولهما بإنشاء لجنة صندوق الدين المصري العام من مندوبين عن الدول الدائنة ، ويقضي المرسوم الثاني بتوحيد كل ديون الحكومة . وتعتبر هذه اللجنة أول هيأة رسمية أوربية تمارس التدخل الأجنبي في مصر ، وقد فشلت في معالجة الأزمة المالية ، فاتفقت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية على ضرورة فرض رقابة ثنائية على مالية مصر مع الإبقاء على لجنة صندوق الدين المصري العام . وقبل الخديوي إسماعيل الرقابة الثنائية . كما تم تشكيل لجنة تحقيق أوربية لفحص شؤون مصر المالية ، وقدمت مقترحات من أجل الإصلاح ، منها :

أ . أن يتنازل الخديوي عن جميع أملاكه وأملاك أسرته للحكومة نظير راتب سنوي معقول .

ب. أن يتنازل الخديوي عن سلطته المطلقة لوزارة مسؤولة .

جـ. إنشاء نظام تشريعي للضرائب .

الوزارة المختلطة :

لم تجد الرقابة الثنائية ، فاتفقت انجلترا وفرنسا على تأليف وزارة مختلطة يكون فيها وزير المالية من بريطانيا ووزير الأشغال من فرنسا

برئاسة نوبار باشا وهو أرمني وعرف بميوله الأوربية . حددت مهمة الوزارة بتدبير المال اللازم للدائنيين – ولتحقيق هذا الهدف تم فصل أعداد هائلة من الموظفين المصريين ، وتخفيض الجيش المصري من ١٨ ألف جندي إلى ١١ ألف جندي وأحيل ألفان من الضباط المصريين للاستيداع . أشعلت تلك الاجراءات التعسفية جذوة النضال الوطني ضد التدخل الأجنبي ، فاجتمع العلماء والأعيان والتجار في شكل جمعية وطنية ، واتفقوا على وضع مشروع يتضمن الآتي :

أ . لائحة وطنية لتسوية مالية مصر يعارضون بها مشروع وزير المالية الإنجليزي .

ب. إسقاط وزارة توفيق بن إسماعيل التي خلفت وزارة نوبار باشا .

جـ. تأليف وزارة قومية مستقلة مسؤولة أمام مجلس نواب حقيقي .

استجاب الخديوي إسماعيل لمطالب الشعب رغم احتجاج الوزيرين (الإنجليزي والفرنسي) وأقر اللائحة الوطنية وعهد إلى شريف باشا بتأليف وزارة جديدة في أبريل ١٨٧٩م ، ولكن هذه الوزارة فشلت بسبب تدخل انجلترا وفرنسا لمصلحة الدائنيين .

عزل الخديوي إسماعيل :

ضغطت الدول الأوربية على السلطان عبد الحميد ، ونجحت في إقناعه بعزل الخديوي إسماعيل وتولية ابنه توفيق في يونيو ١٨٧٩م . وبعد ذلك غادر الباشا المعزول مصر إلى إيطاليا حيث قضى فيها بقية حياته .

ويعتبر عزل الخديوي بتلك الصورة انتصاراً للنفوذ الأجنبي .

أسباب الحركة العرابية :

١. معاناة الشعب المصري من ظلم واستعباد حكم الأسرة الخديوية له .

٢. سوء الأحوال الاقتصادية ، مما جعل الحكومة المصرية تغرق في ديون باهظة من البنوك والشركات الأوربية . وفي عام ١٨٧٥م وصلت الحالة المالية أسوأ درجة حيث عجزت الحكومة عن سداد أقساط الديون ، واصبحت مصر على وشك الإفلاس مما اضطر الخديوي إسماعيل لبيع أسهم مصر في قناة السويس لانجلترا . ولم تمهد تلك الصفقة لبريطانيا ، السيطرة على القناة فحسب بل

على مصر والسودان .

٣. التدخل الأجنبي في شؤون مصر الداخلية ، ومن أمثلة ذلك : لجنة صندوق الدين المصري العام – المحاكم المختلطة – الوزارة المختلطة – البعثات الأوربية التي تذهب إلى مصر لمعالجة الأزمة المالية .

٤. الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل المواطنين .

٥. إهمال الجيش ، وإبقاء الضباط المصريين في الرتب الصغيرة ، بالإضافة لتأخر دفع المرتبات وتسريح عدد كبير من الجنود والضباط المصريين والموظفين بسبب تردي الأحوال المالية .

الحركة العرابية (١٨٨١ – ١٨٨٢م) :

نسبة للأسباب السالفة الذكر ، سرت بين الوطنيين موجة من التذمر فتقدمت مجموعة من الضباط المصريين في يناير ١٨٨١م بعريضة إلى رياض باشا رئيس مجلس النظار (الوزراء) تضمنت الآتي :

١- رفع الغبن والظلم عن العسكريين المصريين .

٢- إصلاح نظام الجيش والترقيات .

٣- عزل عثمان رفقي الشركسي وزير الحربية الذي اصدر قانوناً يقفل باب الترقي أمام الضباط المصريين .

اعتبر رياض باشا تلك العريضة تمرداً يجب القضاء عليه وقبض على عرابي واثنين من أصحابه هما : عبد العال حلمي وعلي فهمي ومحاكمتهم، وعندها تحركت فرق من الموالين لهم من الجيش إلى مقر نظارة الحربية وأخرجتهم بالقوة من المعتقل وتوجهوا جميعاً إلى سراي عابدين ، وطلبوا من الخديوي عزل ناظر الحربية ، وأصروا على البقاء حتى تجاب مطالبهم . وأخيراً صدر الأمر بعزل الوزير عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي – الشاعر المشهور – ناظراً للحربية في فبراير ١٨٨١م – وبنجاح تلك الحركة أصبح عرابي واصحابه موضع أعجاب الأمة المصرية وانعقدت عليهم الآمال في تحقيق المطالب الشعبية التي تتلخص في الآتي :

١. اسقاط وزارة رياض باشا .

٢. إقامة الحياة النيابية في البلاد .

٣. إعادة عدد الجيش إلى ما كان عليه .
٤. وقف التدخل الأجنبي في شؤون مصر الداخلية .

انتهز عرابي فرصة اختلاف وزير الحربية الجديد مع الخديوي والاضطرابات العامة في البلاد ، فاجتمع بزعماء الحزب الوطني (ظهر منذ أواخر عام ١٨٧٩م) واتفق معهم على أن يقوم الجيش بمظاهرة سلمية بتأييد مطالب الأمة. وسار عرابي إلى ميدان عابدين بفرقته وفرق المشاة والمدفعية ورابط أمام القصر في ٩ سبتمبر ١٨٨١م وتقدم لتوفيق بمطالب الأمة السالفة الذكر . وبعد أخذ ورد وافق الخديوي على عزل وزارة رياض ووعد بالاستجابة للمطالب الأخرى ، كما وافق على دعوة شريف باشا لتكوين الوزارة الجديدة .

وزارة شريف باشا :

تم تشكيلها في سبتمبر ١٨٨١م ونجح العرابيون في السيطرة عليها ، وصار أحمد عرابي وزيراً للحربية . وأخذت الحكومة تعمل على تحقيق مطالب الشعب وأصدرت الأمر بانتخاب النواب بعد شهر من تشكيلها ، كما اهتمت بإعداد الدستور . ولكن لم ينص الدستور على حق المجلس في مناقشة الميزانية تحاشياً لمعارضة انجلترا وفرنسا .

افتتح المجلس في ديسمبر ١٨٨١م ، واعترض النواب على عدم حقهم في مناقشة الميزانية . ومن جانب آخر بعثت حكومتا انجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة إلى الخديوي توفيق في يناير ١٨٨٢م يعبران فيها عن استعدادهما لمساعدته ويحثانه على إقالة الحكومة وحل المجلس النيابي . وكان لتلك المذكرة وقع سيئ في نفوس المواطنين والنواب الذين أعلنوا بالإجماع عن رغبتهم في وضع مشروع لائحة أساسية تنص على حق المجلس في مراقبة أبواب الميزانية . ونتيجة لتلك الظروف استقال شريف باشا .

حكومة البارودي :

عهد الخديوي إلى البارودي بتأليف وزارة جديدة ، عين فيها عرابي وزيراً للحربية . وضعت تلك الحكومة برنامجاً شاملاً للاصلاح وعزمت على التصديق على اللائحة الأساسية للمجلس وعلى الحد من التدخل الأجنبي . وغضبت انجلترا وفرنسا على الوزارة الجديدة ، فأرسلتا في أواخر مايو ١٨٨٢م مذكرة

جديدة للخديوي تطلبان فيها إقالة البارودي وإبعاد عرابي وعبد العال حلمي وعلي فهمي – واستقالت حكومة الباردوي احتجاجاً على تلك المذكرة ؛ أما عرابي وأصحابه فقد رفضوا الإذعان لمطالب الدولتين .

لكل ما سبق اضطربت الأحوال في مصر ، خاصة في الاسكندرية التي قتل فيها عدد كبير من المواطنيين والأجانب . وتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة إسماعيل راغب باشا وبقي عرابي وزيراً للحربية إلا أن تلك الحكومة فشلت في إعادة الهدوء للبلاد .

انزعجت الحكومتان (البريطانية والفرنسية) لتطور الأحداث في مصر ولذلك عقد مؤتمر في الاستانة لبحث المسألة المصرية وتعهدت الدول في ذلك المؤتمر بعدم السعي لنيل كسب خاص في مصر ؛ إلا أن مندوب انجلترا – اللورد دفرن – احتفظ لدولته بحق التدخل عند الضرورة القصوى .

كانت إنجلترا تتحين الفرصة لاحتلال مصر . وفي تلك الظروف اشتد الخلاف بين الخديوي الضعيف والوزارة ، وادعى الإنجليز بأن الحالة خطيرة يخشى منها على أرواح الرعايا الأجانب ، فأرسلت انجلترا بالاشتراك مع فرنسا اسطولاً حربياً إلى مياه الاسكندرية ، كما أرسلت الدولتان مذكرة للخديوي تطالبان فيها بتغيير الوزارة وإبعاد عرابي ورفاقه . وبالفعل رضخ الخديوي لمطالب الدولتين واستقالت الوزارة ، ولكن عرابي أصر على الاحتفاظ بمنصبه ولذلك لجأت انجلترا إلى تدبير مؤامرة مع الخديوي للقضاء على عرابي ورفاقه- وتنفيذاً لتلك المؤامرة اتخذت انجلترا من اضطرابات الاسكندرية وما قامت به الحركة العرابية من إصلاحات في الطوابي والاستحكامات العسكرية ذريعة لضرب الاسكندرية في ١١ يوليو ١٨٨٢م .

ونسبة لضعف الخديوي وتآمره مع انجلترا أمر بعزل عرابي واعتبره مسؤولاً عما حدث ، ولكن الشعب التف حول عرابي واستعد للمقاومة ، واحتل الانجليز الاسكندرية في ١٥ يوليو ١٨٨٢م .

احتلال القاهرة :

(انظر خريطة رقم (٧)

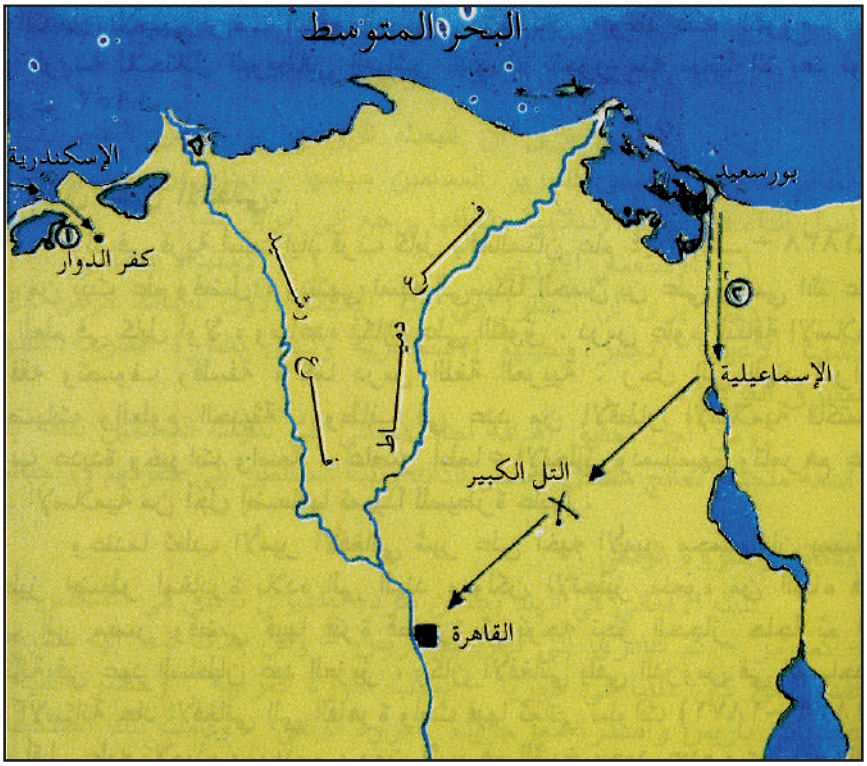

خريطة رقم (٦) احتلال مصر

فكر الإنجليز بعد احتلالهم الاسكندرية في مهاجمة القاهرة عن طريق قناة السويس – وهذا ما كان يستبعده عرابي ولذلك لم يهتم بتحصين الجهة الشرقية خاصة أن المهندس (فرديناند ديلسبس) المشرف على القناة ضمن لأحمد عرابي حياد القناة وعدم السماح للانجليز باستخدامها – وكان هذا خطأ فادحاً من عرابي لثقته وتصديق وعد (ديلسبس) .

وصل الإنجليز إلى الاسماعيلية عن طريق قناة السويس واستولوا على مدينة السويس . وتراجع المصريون إلى التل الكبير حيث نشبت معركة ضارية هزمت فيها قوات عرابي هزيمة نكراء بسبب عداء الخديوي لعرابي وإصدار

السلطان إعلاناً بعصيان عرابي بالإضافة لحدوث بعض الخيانات في الجيش.

بعد ذلك تقدم الإنجليز نحو القاهرة واحتلوها دون مقاومة في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م وسلم عرابي ورفاقه أنفسهم للسلطة الإنجليزية وسلمت باقي المعسكرات والقلاع خارج القاهرة وسرح الجيش المصري وزج بكثير من الضباط والجنود والأعيان والتجار وغيرهم في السجون بتهمة الانتماء والتعاون مع العرابيين . وفي ٣ ديسمبر ١٨٨٢م صدر الحكم بإعدام عرابي والبارودي وعدد من الضباط البارزين ، ثم استبدل حكم الإعدام بالنفي إلى سيلان بعد تجريدهم من رتبهم العسكرية ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم – كما تم نفي الكثير من الوطنيين ، ومنهم الشيخ محمد عبده والشيخ أحمد العوام – خطيب الحركة العرابية .

وهكذا تم القضاء على الحركة العرابية ، وقد كانت حركة وطنية قومية ضد التدخل الأجنبي وضد الحكم المطلق والاستبداد . ومنذ ذلك التاريخ وقعت مصر فريسة للاحتلال البريطاني المباشر الذي لم تتحرر منه نهائياً إلا بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

٤- جمال الدين الأفغاني:

ولد في قرية أسعد اباد قرب كابل بأفغانستان عام ١٢٥٤هـ – ١٨٣٨م . وكان من بيت علم وفضل ، وينتهي نسبه إلىسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه. تلقى العلم في كابل أولاً ، وساعده ذكاؤه على التفوق . درس علوم الثقافة الإسلامية من فقه وتصوف وفلسفة ، كما درس اللغة العربية . رحل إلى الهند لدراسة الرياضيات والعلوم الحديثة ، وطاف في عدد من الأقطار الإسلامية فاكتسب تجارب عديدة وخبرات واسعة . عاصر أطماع الإنجليز ودسائسهم وتآمرهم على البلاد الإسلامية من أجل إضعافها تمهيداً للسيطرة عليها .

وعندما تغلب الأمير الأفغاني شير على أخيه الأمير محمد خان بمساندة الإنجليز اضطر لمغادرة بلاده إلى الهند ، ولكن الإنجليز منعوه من البقاء فيها فذهب إلى مصر وقضى فيها فترة قصيرة ثم توجه نحو الحجاز حاجاً

ثم إلى الاستانة. وكان الأفغاني يلقي الدروس في المساجد . ومن الاستانة عاد الأفغاني إلى القاهرة ولبث فيها ثماني سنوات (١٨٧١- ١٨٧٩م) حيث أقبل عليه تلاميذه ومريدوه ، ومن اشهرهم الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم ومحمود سامي البارودي وغيرهم من الذين أشعلوا الحركة الوطنية بمصر (١٨٨١ - ١٨٨٢م) .

صورة رقم (٣) جمال الدين الأفغاني ←

تميز الأفغاني بقوة الشخصية وكان حاد الذكاء ، واسع الأفق صلباً قوي الشكيمة شجاعاً . وكان معتداً بنفسه لا يخشى في الحق لومة لائم وقد حدثت مشادة بينه وبين الخديوي توفيق ، فأمر بطرده من مصر وكان ذلك في أغسطس ١٨٧٩م وعندما ودعه تلاميذه ومريدوه قدموا له مالاً - وكان في حاجة ماسة للمال - لكنه رفض استلامه وقال لهم قولته المأثورة : « أنتم إلى هذا المال أحوج ، إن الليث لا يعدم فريسته حيثما ذهب » . وقد أحدثت أفكار الأفغاني وآراؤه وكتاباته في الأمة الإسلامية حركة فكرية لم تكن موجودة من قبل ، كان لها أثرها في تقوية المعارضة للنفوذ الأجنبي وإشعال الحركة الوطنية في مصر وانتشارها .

أهداف جمال الدين الأفغاني :

١- رفع المستوى الفكري والروحي للشعوب الإسلامية .

٢- توحيد المسلمين وجمع شملهم في سائر أقطارهم حتى يلحقوا بركب الأمم المتقدمة .

٣- تحرير البلاد الإسلامية من السيطرة الأوربية الاستعمارية الحاقدة ، ومن

الاستبداد ، وتمكينها من ترقية شئونها الداخلية.

وكان الأفغاني يرى أن البعث الروحي هو أساس التقدم الاجتماعي والثقافي ، وهو الأساس لتحرير المسلمين سياسياً . وكان يرى بأن سبب البلاء وأصل الداء في البلاد الإسلامية وتخلفها يرجع إلى أمرين هما :

١- الاستعمار الأوربي . ٢- الاستبداد السياسي .

وكان يرى أن انجلترا هي عدو الإسلام الأول ، لذلك كرس جل وقته لكشف ألاعيب الإنجليز وحيلهم الاستعمارية ونادى بالثورة العارمة عليهم في المشرق العربي .

ومن أجل تحقيق أهدافه لجأ الأفغاني إلى تثقيف المسلمين ثقافة إسلامية واسعة متجددة تعالج مشاكل العصر آنذاك وتنبه المسلمين إلى حقوقهم وواجباتهم .

الأفغاني والعروة الوثقى :

لبث الأفغاني في الهند بعد أن طرده الخديوي توفيق في أغسطس ١٨٧٩م - كما مر - ثم غادرها إلى لندن ثم باريس - ومن هناك دعا إليه الشيخ محمد عبده الذي كان منفياً في سوريا - بسبب الثورة العرابية . وحضر الشيخ محمد عبده إلى باريس وأصدرا معاً جريدة «العروة الوثقى» . وقامت تلك الصحيفة بأداء رسالتها على أتم الوجوه ، إذ هاجمت المستعمرين بشجاعة وقوة كما دعت لمقاومة كل أنواع التدخل الأجنبي في البلاد الإسلامية لا سيما في مصر . ومن خلال أحداث الثورة المهدية بالسودان أثارت تلك الصحيفة شعور المسلمين ضد الإنجليز، الأمر الذي أفزع الإنجليز وأثار غضبهم .

وأدركت بريطانيا خطر تلك الصحيفة الواسعة الانتشار والتي فضحت سياستها وأطماعها الاستعمارية في الشرق فضيقت عليها الخناق ومنعت دخولها البلاد الإسلامية التي تحت سيطرتها كالهند ومصر ، فأصدرت حكومات تلك البلاد قرارات تشدد في منعها وبسبب شدة المراقبة على الجريدة واستحالة توزيعها احتجبت عن الصدور في اكتوبر ١٨٨٤م .

مفاوضة الإنجليز للأفغاني بشأن مصر والسودان :

كما مرّ ، فقد تميز الأفغاني بقوة الشخصية والفكر والذكاء والتأثير على المسلمين وأصبحت له مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ، لذلك رأى

الإنجليز الاستفادة منه لمعالجة أحوال مصر والسودان بما يضمن لهم تحقيق مآربهم ومطامعهم الاستعمارية ، فتمت مفاوضته عن طريق الشيخ محمد عبده في مسألة مصر والسودان ، ولكن لم تنجح تلك المفاوضات . ولما استفحل أمر الإمام محمد أحمد المهدي قام (اللورد سالسبوري) رئيس وزراء بريطانيا و(ونستون تشرشل) باستدعاء الأفغاني إلى لندن لأخذ رأيه في المهدي والسفر للسودان ضمن وفد لإقناع المهدي بالتخلي عن حركته – ولكن نجاح الثورة المهدية ووفاة المهدي المبكرة حالت دون تحقيق تلك الغاية .

ومما يذكر أن الإنجليز عرضوا على الأفغاني ليكون سلطاناً على السودان بهدف القضاء على المهدي ، لكنه ردّ على (سالسبوري) بقوله : « تكليف غريب وسفه في السياسة ، اسمح لي يا حضرة اللورد أن أسالك : هل تملكون السودان حتى تبعثوا إليه بسلطان ؟ » .

دعوة الشاه للأفغاني :

بعد تعطيل الجريدة ذهب الشيخ محمد عبد إلى بيروت ، واتجه الأفغاني إلى إيران تلبية لدعوة من الشاه ناصر الدين . قوبل الأفغاني بحفاوة بالغة ولكن سرعان ما دبت الغيرة في نفس الشاه وذلك لقوة شخصية الأفغاني وغزارة علمه وسعة أفقه وكثرة مريديه . أحس الأفغاني بتنكر الشاه له وحقده عليه فاستأذن في الرحيل إلى روسيا وأقام بها نحو أربع سنوات (١٨٨٦ – ١٨٨٩م) وقد عمل خلال تلك الفترة على تحسين أحوال المسلمين الروس . أحس الأفغاني أيضاً بعدم الرضا عنه من قبل القيصر فرحل إلى فرنسا مرة أخرى ، ومنها إلى إيران بدعوة وإلحاح من الشاه . وبوصوله إلى ايران التف حوله جمهور غفير من العلماء والأعيان والعامة وأخذ يبث تعاليمه التي تدعو إلى الحرية والثورة وسرعان ما دبّ الخلاف بين الشاه والأفغاني مرة أخرى فاستأذن الأخير وخرج إلى البصرة ومنها إلى لندن يهاجم الشاه من هناك ويحث العلماء على الخروج عليه ويحرضهم على عزله .

الأفغاني والسلطان عبد الحميد :

هنالك أسباب حملت السلطان عبد الحميد لدعوة الأفغاني إلى الاستانة :

١ . خوف السلطان عبد الحميد من انضمام الأفغاني إلى حزب تركيا الفتاة .

٢. طلب شاه إيران من السلطان عبد الحميد التوسط لدى الأفغاني لوقف نقده للشاه .

لذلك طلب السلطان من الأفغاني زيارة الاستانة وألح عليه في الطلب ولما رفض الأفغاني ، وعده السلطان بتنفيذ آرائه في الإصلاح فقبل الأفغاني الذهاب للاستانة في أواخر ١٨٩٢م – وكان الأفغاني يأمل في مساعدة السلطان له على تحقيق هدفه وهو انشاء الجامعة الإسلامية .

الأفغاني والجامعة الإسلامية :

إن فكرة الجامعة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية قديمة ، وقد تجددت في العالم الإسلامي في فترة تدهور الامبرطورية العثمانية كرد فعل للاطماع الاستعمارية الأوربية في المنطقة الإسلامية – وكان جمال الدين الأفغاني من أشهر الدعاة لها .

وأهداف الجامعة الإسلامية كما رآها الأفغاني :

١- توحيد كلمة المسلمين .

٢- بث الروح الإسلامية في الشرق حتى ينهض بثقافته وعلمه وتربيته وصفاء دينه وتنقية عقيدته من الخرافات واستعادة عزته ومكانته بين الأمم.

٣- مناهضة التدخل الأوربي للتحرر من سيطرة المستعمرين والاحتلال الأجنبي واجلائه عن الأقطار الإسلامية .

٤- النهوض بالشرق الإسلامي كي يساير المدنية الحديثة دون التخلي عن معتقداته الإسلامية وقيمه ومثله وتقاليده .

وكان الأفغاني يأمل في إقامة حكومة إسلامية لكافة الأقطار الإسلامية تتبع للخليفة العثماني – ولما رأى استحالة تحقيق هذه الغاية اكتفى بالدعوة لخلق نوع من الوحدة الإسلامية والترابط الوثيق بين الأقطار الإسلامية وأن يحكم كل قطر بحكومة منفصلة يختارها الناس ويكون سلطانها القرآن الكريم وأساسها العدل والشورى .

لاقت فكرة الجامعة الإسلامية قبولاً بين المسلمين ، ومن جانب آخر كانت الامبراطورية العثمانية تعاني من التفكك والتدهور . لذلك دعا السلطان عبد الحميد الأفغاني إلى الاستانة وقربه إليه ليكون أداة لتحقيق

فكرة الجامعة الإسلامية تحت إشرافه ورعايته . ولكن الأفغاني سرعان ما تنبه لأغراض السلطان ، ورفض أن يكون أداة في يده لتنفيذ مخططاته السياسية فحدثت الجفوة وفترت العلاقة بين الرجلين فطلب الأفغاني الإذن بالرحيل فرفض السلطان وتحايل عليه وحبسه في منزله بالاستانة – ومرض الأفغاني بالسرطان ومات في ١٨ مارس ١٨٩٧م وظهرت إشاعات مختلفة حول موته من إهمال مقصود في علاجه والاتفاق مع طبيب السلطان الخاص للتخلص منه.

وبموته فقد العالم الإسلامي عالماً فذاً وأصيلاً في إيمانه وصدقه وثورته وغيرته على الإسلام والمسلمين . وانتهت حياة ذلك العالم التي كانت مليئة بالنشاط الفكري والسياسي والدعوة لإعلاء راية الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين والتصدي للاستعمار والمستعمرين خاصة الإنجليز .

ومما عرف عن الأفغاني أيضاً مهاجمته للاستعمار في جرأة وجسارة وخص بالهجوم الإنجليز الذين كانوا في نظره أصل الداء الذي أصاب الأمة الإسلامية واتخذ من الخطابة أداة لتحقيق أغراضه، وكان يعرض التراث الإسلامي في ثوب عصري جديد وبأسلوبه الفريد وثقافته العميقة وإدراكه وتفهمه التام لقضية ومشاكل المسلمين الملحة آنذاك . وتمكن الأفغاني من التأثير على الشباب المسلم وتفجير طاقاتهم لخدمة الإسلام والمسلمين . ولا شك أن الأمة الإسلامية مدينة بيقظتها الفكرية ونهضتها السياسية إلى ذلك الزعيم الكبير والفيلسوف الشهير والمفكر الإسلامي الجرئ السيد جمال الدين الأفغاني .

٥- عبد الرحمن الكواكبي :

ولد الكواكبي ونشأ في مدينة حلب في عام ١٨٤٨م ، وتوفي عام ١٩٠٢م وينتسب إلى بيت ذي حسب ونسب – تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي في مدرسة أسرته «المدرسة الكواكبية» ، وكانت تسير على الطريقة الأزهرية . تعلم بعض العلوم الرياضية والطبيعية ودرس اللغة الفارسية واللغة التركية وكثيراً من الكتب التاريخية ، كما عنى بدراسة قوانين الدولة العثمانية . ولما أكمل دراسته تولى ضروباً من أعمال القضاء والإدارة والتعليم شهدت على كفاءته وعلى قدرته الفائقة على الابتكار والتجديد .

صورة رقم (٤) عبد الرحمن الكواكبي

اصطدم الكواكبي كثيراً بنظام الدولة واستبداد الحكام وفساد رجال الدولة الذين كانوا يحاربونه . وكان سلاحه دائماً النزاهة والصراحة والعدل والاستقامة وكان سلاحهم الدسائس والخداع واتهامه بالخروج على النظام وإثارة الشغب .

ارتفع شأن الكواكبي في حلب وصار يقصده أصحاب الحاجات والمشاكل وكان جريئاً لا يقر ظالماً على ظلم ولا يسالم جائراً لمنصب أو جاه وقد جرت عليه نزاهته وصراحته وقول الحق العداء والكيد مما كبده الخسائر في ماله ورزقه.

الكواكبي والجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية :

اهتم الكواكبي بالنظر في المسائل العامة التي شغلت العالم الإسلامي والعربي في فترة تدهور الدولة العثمانية ، وأهمها حركة الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية – كما مر – وقد اشتد الخلاف حين ارتبطت الدعوة للجامعة الإسلامية بالخلافة ، كما أن فكرة الجامعة الإسلامية رفضها دعاة الإصلاح من العرب الذين رأوا أنها ليست بقادرة على التصدي للقضايا التي تجابه الأمة الإسلامية والعربية ، كما رفضها أيضاً دعاة القومية العربية القائلون بإمامة قريش والداعون إلى استقلال العرب وسيادتهم ، وكانو يرون أن السلطان عبد الحميد أضفى على الخلافة هالة وقداسة تحميه من نقد طلاب الإصلاح وتطلق يده في محاربتهم ومن جانب آخر فإن ظهور الحركة الطورانية وتحفز الدول الأوربية الاستعمارية للانقضاض على أقطار العالم العربي أدت إلى ظهور المصلحين ومنهم الكواكبي . وقد عمل أولئك المصلحون من أجل بناء الشخصية العربية داخل العالم الإسلامي .

الكواكبي والإصلاح :

يرى الكواكبي أن الإصلاح يتم بتحرير المسلمين من الجمود والخرافة والعودة بهم إلى بساطة الإسلام الأولى التي يسرت فهمه – ويرى أن الجمود والخرافة لا محل لها بين المسلمين ، وأنه لابد من الاجتهاد بالرأي والاقناع بالدليل . والقى الكواكبي على العلماء الجامدين المتشددين تبعة شيوع الأفكار الفاسدة بين العامة وحملهم والحكام المستبدين تبعة الخنوع والذل الذي كان يعاني منه المسلمون آنذاك .

انفرد الكواكبي بالدعوة إلى الإصلاح الديني والإصلاح القومي في آن واحد – وكان يؤمن بأنه لا تناقض بين الدعوتين وأنهما مكملتان لبعضهما . وأقام الكواكبي برنامجه لإصلاح الدولة والخلافة على ثلاث قواعد هي :

١. فصل الملك عن الخلافة . ٢. عودة الخلافة إلى الأمة العربية .

٣. قيام الخلافة العربية على أساس الانتخاب والشورى والتعاون والمساواة بين كافة الأقطار والشعوب الإسلامية .

كان الكواكبي يرى أن خلافة العثمانيين لم تنعقد بها بيعة عامة من حكومات المسلمين ولا من رعاياها وأنها فشلت في التصدي لمشاكل الشعوب الإسلامية وتحقيق الوحدة الإسلامية .

شروط الخلافة عند الكواكبي:

١. أن يكون الخليفة – عربياً – .
٢. أن يتم اختياره بالانتخاب .
٣. أن تكون وظيفته روحية (فصل الخلافة عن الدولة) .
٤. أن يعاونه مجلس شورى تمثل فيه كافة الشعوب الإسلامية .
٥. أن تنفذ وصاياه طواعية في المسائل الدينية .

وبالإضافة إلى فصل الدين عن الدولة دعا الكواكبي إلى ضرورة تطبيق اللامركزية في الدولة العثمانية .

ومن كتبه « جمعية أم القرى » و « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» أودع فيها زبدة آرائه عن أسباب تأخر العالم الإسلامي وكيفية النهوض به .

الكواكبي والأفغاني :

تأثر الكواكبي بالأفغاني ويعتبر تلميذاً له وقد اهتم كل منهما بالمسائل العامة التي شغلت العالم الإسلامي والعربي في فترة تدهور الدولة العثمانية وأهمها: حركة الجامعة الإسلامية والتدخل الأجنبي في شؤون البلاد الإسلامية – وكان لكل منهما نهجه في تشخيص الداء وتقديم الدواء .

واختلف الرجلان إذ نجد أن الأفغاني انشغل كثيراً بمهاجمة السياسة الأوربية الاستعمارية لتدخلها السافر في شؤون الشعوب الإسلامية – خاصة السياسة الإنجليزية . ودعا المسلمين إلى مناهضة التدخل الأجنبي بكافة الوسائل والطرق ، ورأى أن الجامعة الإسلامية هي أنجع الوسائل لمناهضة ذلك التدخل – أما الكواكبي فقد نظر إلى نفوس المسلمين ودعاهم إلى إصلاحها لأنها إن صلحت فلن تستطيع السياسة الاستعمارية أن تلعب بهم . وكان يرى أن التمسك بالقومية العربية وإحياء التراث الإسلامي هو خير سبيل لنهضة ورقي الشعوب الإسلامية ، بينما كان الأفغاني لا يؤمن بالقومية الضيقة والوطن الضيق بل كان يرى أن البلاد الإسلامية كلها وطن واحد لكل المسلمين .

أسئلة :

١. « تحددت أطماع أوربا الاستعمارية بالحروب الصليبية ، وجاءت الكشوف الجغرافية مقدمة لحركة الاستعمار الأوربي الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين » . اشرح هذه العبارة موضحاً أسباب الاستعمار الأوربي لبلاد الشرق.

٢. اكتب عن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية مع توضيح الدور الذي قام به أمراء آل سعود في تأييدها وحمايتها .

٣. كيف تمكن محمد علي من القضاء على دولة السعوديين الأولى ؟

٤. " بعد انسحاب جيوش محمد علي وزوال نفوذه من الجزيرة العربية ، تحوّل الصراع إلى حرب أهلية " – وضح نتائج هذا الصراع .

٥. " يعتبر الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، المؤسس الحقيقي للملكة العربية السعودية الحالية " – وضح كيف استطاع أن يرد مُلك آبائه ، ويؤسس الدولة السعودية الثالثة .

٦. ما الأهداف التي قامت من أجلها الحركة السنوسية ؟

٧. " التزم السنوسيون نهجاً سلمياً في دعوتهم وتسامحوا مع معارضيهم في الرأي ، ولم يهاجموا الخلافة العثمانية رغم خلافاتهم معها " اشرح هذه الحقيقة موضّحاً النهج الذي سلكته الدعوة السنوسية .

٨. اكتب باختصار عن :

(أ) ضم عسير إلى المملكة العربية السعودية .

(ب) جهاد الحركة السنوسية ضد الاستعمار .

٩. ما الأسباب التي أدت إلى قيام الحركة العرابية ؟

١٠. اكتب مقالاً عن شخصية جمال الدين الأفغاني .

١١. " أحدثت آراء الأفغاني وكتاباته حركة فكرية في الأمة الإسلامية لم تكن موجودة من قبل ، كان لها أثرها في أشكال وانتشار الحركة الوطنية " اشرح هذه العبارة متناولاً :

- الأهداف من وراء أفكاره .
- دعوته إلى الجامعة الإسلامية .
- مفاوضته مع الإنجليز .
- علاقته بالسلطان عبد الحميد .

١٢. " يرى الكواكبي أن الإصلاح لا يتم إلا بتحرير المسلمين من الجمود والخرافة والعودة إلى بساطة الإسلام الأولى " وضّح هذه العبارة متناولاً برنامجه الإصلاحي ورأيه في شروط الخلافة .

الوحدة الرابعة

حركات التحرر العربية

الأهـــــداف :

يتوقع من الطالب بعد دراسة هذه الوحدة أن :

١- يعرف مفهوم حركة التحرر العربية .
٢- يتعرف أسباب ومراحل انتشار الوعي الوطني بين الشعوب العربية .
٣- يتعرف أسباب الكفاح العربي ضد الاستعمار الأوربي .
٤- يقدر بطولات وتضحيات الشعوب العربية في مقاومتها للاستمار.

تمهيد :

تابعنا في الوحدة السابقة أوضاع الولايات العربية في ظل الحكم العثماني من النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتابعنا المراحل التي مرت بها العلاقة بين العنصرين الرئيسين المكونين للدولة، وهما العرب والأتراك ، وتدخل الدول الأوربية الاستعمارية في هذه العلاقة وتوجيهها خدمة لأطماعها الاستعمارية . وقد وصلت هذه العلاقة لأحرج مراحلها في عام ١٩١٦م عندما أعلن العرب ثورتهم ضد الأتراك (الثورة العربية الكبرى) بقيادة الشريف الحسين بن على أمير مكة . واشترك في هذه الثورة عرب الحجاز والشام والعراق ، ومتطوعين من باقي الأقطار العربية . وقد انضم العرب لبريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى ، وحاربوا ضد تركيا التي انضمت للمعسكر الآخر بقيادة ألمانيا ، ذلك بعد أن قطعت بريطانيا الوعد للعرب بمنحهم الاستقلال بعد انتهاء الحرب .

أسئلة :

١- ظهر تنكر بريطانيا لوعدها للعرب بالاستقلال في موقفين . وضحهما.

٢- أدرس الخريطة التالية ، ثم وضح العلاقة بين الولايات العثمانية والعربية آنذاك .

الدرس الأول

خضوع الأقطار العربية للاستعمار الأوربي :
١٩٢٠- ١٩٤٥م

الأطماع الاستعمارية في الأقطار العربية :

كما مر عليك ، فقد خرجت أوروبا للعالم بعد حركة الكشوف الجغرافية، وأخذت دولها تتصارع في السيطرة على الطرق البحرية ، والمراكز الإستراتيجية على هذه الطرق . ولما كان العالم العربي أهم هذه المراكز – بحكم موقعه – فقد أصبح الكثير من مناطقه هدفا لهذا السباق الاستعماري . وقد بدأ هذا التنافس منذ القرن السادس عشر الميلادي في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. وقد كانت هذه المناطق تتبع آنذاك للدولة العثمانية التي تصدت لأطماع أسبانيا في البحر الأبيض والبرتغال في البحر الأحمر .

نشاط :

وضح نتائج صراع العثمانيين مع القوى البحرية البرتغالية والإسبانية .

ولم تلبث بريطانيا وفرنسا أن دخلتا التنافس الاستعماري كقوتين بحريتين لهما وزنهما ، ونجحتا بعد قليل في إبعاد إسبانيا والبرتغال عن مناطق نفوذهما في العالم العربي . وقد أخذ التنافس الأستعماري في مرحلة الأطماع صيغا غير عسكرية في الغالب تمثلت في عقد المعاهدات والأحلاف مع الحكام المحليين في الولايات العربية مستغلة في ذلك ضعف الدولة العثمانية وتدهورها ، وفي النشاط التجاري عبر الشركات مثل شركة الهند الشرقية البريطانية التي عملت على توطيد النفوذ البريطاني في العراق والخليج العربي . ومن العوامل المهمة التي ساعدت على ذلك الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية للأوربيين منذ القرن السادس عشر وتحصلوا بموجبها على تسهيلات اقتصادية وقانونية مكنتهم من بسط نفوذهم على معظم الولايات العربية . ونجد أن اشتداد التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية والذي بلغ ذروته في القرن

التاسع عشر قد دفع بها إلى عدد من المؤتمرات الدولية لمعالجة المسألة ، كان أهمها : مؤتمر برلين ١٨٧٨م ، مؤتمر برلين ١٨٨٤م وفيها تم تقسيم مناطق النفوذ في آسيا وإفريقيا بين الدول الأوربية، غير أنها أظهرت أيضاً شدة الخلافات بين الدول الاستعمارية . وقد لجأت الدول الاستعمارية الأوربية إلى وضع يدها على بعض مناطق النفوذ التي اشتد عليها التنافس . فاحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م ، والسودان عام ١٨٩٨م . واحتلت فرنسا الجزائر في عام ١٨٣٠م ، وتونس عام ١٨٨١م ، ومراكش عام ١٩١٢م . واحتلت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١م . وهكذا بدأت القبضة الاستعمارية تشتد على ولايات الدولة العثمانية العربية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى .

نشاط :

ارسم خريطة تقريبية للدولة العثمانية ووضح عليها مناطق نفوذ الدول الأوربية ، أعط كل دولة لونا أو رمزاً معيناً (ركز على بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) .

العالم العربي في أعقاب الحرب العالمية الأولى :

وصل الصراع بين القوى الاستعمارية والأوربية قمته باندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) والتي انقسمت فيها الدول الأوربية إلى معسكرين : الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا وروسيا ، بينما كان على رأس المعسكر الآخر ألمانيا والنمسا وتركيا . وبعد معارك دامية كانت الغلبة في الحرب للحلفاء ، مما عنى القضاء النهائي على الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها بين المنتصرين الذين اتفقوا أثناء الحرب على صيغة هذا التقسيم في اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م . التي نصت المادة الثانية فيها على اعطاء فرنساء جنوب الأناضول وسوريا ومنطقة الموصل بالعراق . واعطت المادة الثالثة انجلترا فلسطين والعراق حتى بغداد شمالاً .

نشاط :

١. ارجع إلى نص اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م ، ووضح الطريقة التي تم بها

تقسيم الأقطار العربية بين بريطانيا وفرنسا .

٢. قارن ذلك بخريطة مناطق النفوذ التي رسمت سابقاً .

وبعد انتهاء الحرب تداعت الدول الأوربية إلى فرساي بباريس في فرنسا لعقد مؤتمر الصلح ١٩١٩م وذلك لتوفيق أوضاع العالم بعد انتهاء الحرب . وقد شارك في المؤتمر بصفة أساسية ممثلو الدول الكبرى المنتصرة في الحرب ، إلى جانب وفد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الرئيس الأمريكي ولسون الذي حمل معه مبادئه الأربعة عشر من أجل ضمان السلم العالمي والتي من أهمها المبدأ الداعي لإعطاء الشعوب المستعمرة حق تقرير، المصير وهو المبدأ الذي تمسكت به الشعوب العربية في مطالبتها بالاستقلال . كما نادت مبادئ ولسون بعقد مؤتمر سان ريمو ١٦أبريل ١٩١٦م انقسم مؤتمر الصلح الي عدد من المؤتمرات الفرعية . عصبة الأمم لحل النزاعات سلمياً بين الدول .

مؤتمر سان ريمو ١٦أبريل ١٩٢٠م :

انقسم مؤتمر الصلح الي عدد من المؤتمرات الفرعية اختص كل منها بمسألة وكانت مسألة الشرق الأوسط من نصيب المؤتمر الذي انعقد بمدينة سان ريمو بايطاليا في ١٦ أبريل ١٩٢٠م وقد شاركت في هذا المؤتمر بريطانيا وفرنسا وايطاليا وفيه تمسكت هذه الدول بمصالحها الاستعمارية في الشرق الأوسط مع محاولة التوفيق بينها وبين مبادئ ولسون التحررية . وقد تمخض عن ذلك أن قرر المؤتمر وضع دول المنطقة تحت الانتداب الأوربي . والانتداب نظام ابتدعه دهاة الساسة الانجليز أمثال لورد سمتز ولورد لوقارد ويتلخص في اسناد مسؤلية حكم الدول المتخلفة للدول المتحضرة لفترة من الزمن لتأخذ بيدها في سبيل التقدم .

نشاط :

ناقش هذه الفكرة مع زملائك موضحاً رأيك فيها ومدعماً له بالحجج .

بهذا خضعت الاقطار العربية المختلفة لحلقة جديدة من حلقات الاستعمار.

والجدول التالي يوضح نوع الانتداب الذي خضعت له الدول العربية :

انتداب بريطاني	انتداب فرنسي	انتداب ايطالي
مصر	سوريا	ليبيا
السودان	لبنان	اريتريا
شرق الأردن	مراكش (المغرب)	
فلسطين	الجزائر	
العراق	تونس	
الصومال البريطاني	الصومال الفرنسي	الصومال الايطالي

ونجد أن هذه الدول العربية قد خضعت لاستعمار الدول المبينة في الجدول مع اختلاف في المسميات بين انتداب وحماية ووصاية ...الخ غير أن مضمون الاستعمار يظل واحدا . وعليه أصبحت الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج تحت وطأة الاستبداد والاضطهاد وسلب الحرية ونهب الموارد الاقتصادية وإثارة النعرات العرقية والطائفية ونشر الثقافة الغربية على حساب الثقافات الوطنية .

أسئلة :

١- عرف مصطلحات : الاستعمار ، الحماية ، الانتداب .

٢- اذكر الصيغ التي اتخذها التنافس الاستعماري في مرحلة الأطماع.

٣- الامتيازات الأجنبية عبارة عن تسهيلات .....و.....منحتها الدولة العثمانية للرعايا الأجانب بأراضيها .

٤- رتب التواريخ التالية مع احداثها على القائمة أسفله :

١٨٨٢م / ١٩١٨م / ١٨٣٠م / ١٨٨٤م / ١٩١١م / ١٩٢٠م / ١٨٨١م / ١٩١٦م / ١٩١٢م / ١٩١٩م / ١٨٩٩م / ١٩١٤م .

الحدث	التاريخ
مؤتمر برلين	
احتلال فرنسا للجزائر	
احتلال فرنسا لتونس	
احتلال بريطانيا لمصر	
احتلال بريطانيا للسودان	
احتلال ايطاليا لطرابلس	
احتلال فرنسا لمراكش	
بداية الحرب العالمية الأولى	
اتفاقية سايكس – بيكو	
نهاية الحرب العالمية الأولى	
مؤتمر الصلح (فرساى)	
مؤتمر سان ريمو	

٥. ما المقصود بمبادئ ولسون ؟ وما أثرها على العرب .

٦. اكتب مقالاً تاريخياً عن مؤتمر سان ريمو ونتائجه .

الدرس الثاني :

السمات العامة لحركات التحرر العربية

تمهيد :

أذكر جنسية الاستعمار الذي خضعت له الدول الآتية :

السودان ، الجزائر ، مصر ، فلسطين ، مراكش ، ليبيا ، العراق .

مفهوم حركة التحرر :

حركة التحرر هي الحركة التي انتظمت الأقطار المستعمرة في إفريقيا وآسيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى وكانت تهدف إلى التحرر من الاستعمار والقضاء على آثاره ، وإقامة حكم وطني يحقق تطلعات الشعوب . وقد قاد هذه الحركات المتعلمون من أبناء المستعمرات ، واستخدمت الأساليب السياسية والعسكرية في نضالها ضد المستعمر . ويطلق عليها أيضاً اسم الحركة الوطنية بحكم ارتباطها بالوطن وتوجهاتها الوطنية .

نشاط :

اكتب مقالاً عن الحركة الوطنية السودانية وضح فيه أهدافها وأساليبها في النضال وقيادتها .

تتميز حركات التحرر العربية بمجموعة من السمات المشتركة بينها – رغم تنوعها واختلافها بحكم اختلاف طبيعة وظروف الأقطار المختلفة ونجد أن أبرز هذه السمات تتمثل فيما يلي :

١- أن المدى الزمني لهذه الحركات امتدت بين الحربين العالميتين (١٩١٨ – ١٩٤٥م) وهي فترة العنفوان والكفاح الصعب من أجل الاستقلال ، إذ كانت الدول الاستعمارية متمسكة ببقائها في مستعمراتها ، وكانت الشعوب تناضل نضالاً شرساً من أجل حريتها وقد أتي هذا النضال أكله بنيل معظم الدول العربية لاستقلالها في العشر سنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .

٢- أن ظهور هذه الحركات ارتبط بانتشار التعليم الحديث بين شباب المستعمرات

مما أدي لظهور طبقة جديدة هي الطبقة المتعلمة التي تولت قيادة هذه الحركات تعبيراً عن وعيها وتطلعاتها الوطنية .

٣- كانت هذه الحركات منفتحة على التيارات الفكرية والسياسية في العالم مما جعلها تتأثر بالأفكار القومية والاشتراكية والليبرالية وغيرها .

٤- استخدمت هذه الحركات الأساليب السياسية في نضالها ضد المستعمر مثل تكوين الجمعيات والأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والثقافية وقيادة المظاهرات والإضرابات وعقد الندوات والليالي السياسية وكتابة المنشورات والعرائض والمذكرات وغير ذلك من أشكال العمل السياسي مع ملاحظة أن العمل السياسي كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى صدامات دامية مع قوات الاحتلال يسقط فيها الشهداء .

٥-حرصت حركات التحرر العربية على نشر الوعي بين الشعوب العربية ومحاربة الجهل والأمية عن طريق نشر التعليم الحديث وعن طريق الصحافة والأدب والفن .

٦- توج كفاح حركات التحرر العربية بنيل الأقطار العربية لاستقلالها وتحررها من حكم المستعمر وإن بقيت آثار الاستعمار لفترة من الزمن .

٧- تولى رموز وقادة الحركات الوطنية والقوى السياسية والأحزاب التي ناضلت الاستعمار، الحكم في مرحلة التحرر عقب خروج المستعمر .

نشاط :

يقوم الفصل تحت توجيه المعلم بمناقشة هذه السمات العامة بالتطبيق على الحركة الوطنية السودانية التي سبق للطلاب دراستها .

أسئلة :

١- عرف مفهوم حركة التحرر .

٢- اكتب مقالاً عن السمات العامة لحركة التحرر العربية .

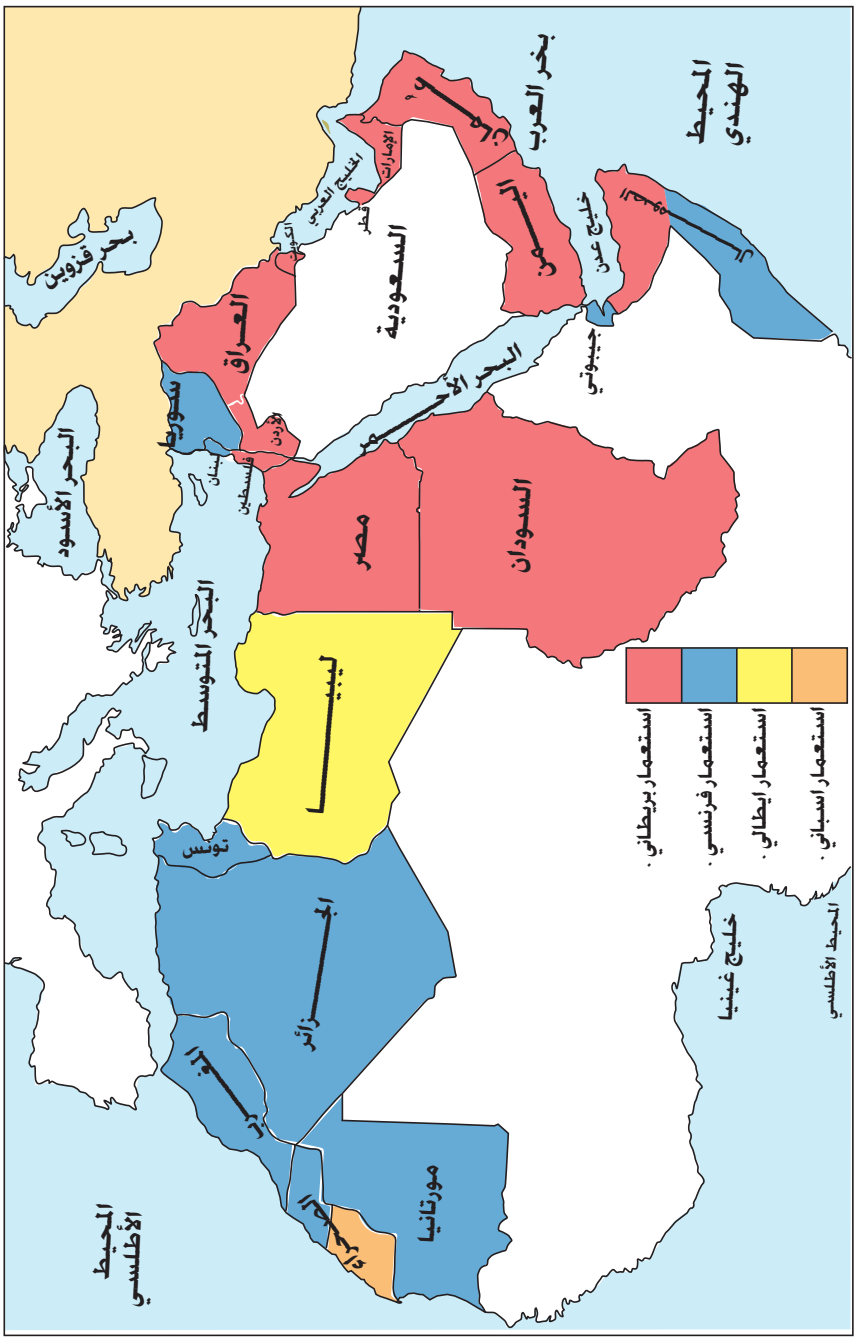

خريطة رقم (١) العالم العربي في أعقاب مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م .

الدرس الثالث :

حركة التحرر المصرية

تطورت الأحداث بشكل سريع في مصر في أعقاب الحرب العالمية الأولى حيث اندلعت ثورة ١٩١٩م التي أدي ضغطها إلى إجبار الإدارة البريطانية على إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذي أعلنت فيه إلغاء الحماية على مصر . وبموجبه وضع دستور ١٩٢٣م الذي أعاد الحياة النيابية إلى مصر . واستمر العمل بموجب هذا الدستور إلى أن ألغاه إسماعيل صدقي واستبدله في البرلمان. وقد استفاد الانجليز من الصراعات بين الحكومة المصرية ، وبين الأحزاب المتعددة فعززوا قبضتهم على البلاد .

معاهدة ١٩٣٦م :

تحت ضغط الحركة الوطنية المصرية ، وتجمع نذر الحرب العالمية الثانية على اثر اعتداء ايطاليا على الحبشة وازدياد خطرها على مصر والبحر الأحمر أخذت بريطانيا تعمل على توطيد مركزها برضاء السلطات المصرية ودخلت معها في مفاوضات طويلة تمخضت عن معاهدة ١٩٣٦م المشهورة .

وعلى الرغم من أن المعاهدة نصت على انتهاء الاحتلال إلا أنها سمحت للجنود البريطانين بالبقاء في منطقة القناة بحجة الدفاع عن مصر . كما نصت الاتفاقية على أن تكون موانئ مصر ومطاراتها وطرق المواصلات فيها تحت تصرف القوات البريطانية في حالة نشوب الحرب أو خشية وقوع اضطرابات دولية .

وبالرغم من أن المعاهدة أقرت عودة الجنود المصريين إلى السودان إلا أن السودان أصبح آنذاك وبموجب تلك المعاهدة نفسها مستعمرة انجليزية يحرسها جنود تحت إمرة الحاكم العام البريطاني الذي أبقت السلطة العسكرية والمدنية في يده وعلى الرغم من أن الحكومة المصرية آنذاك قد روجت لتلك المعاهدة وأطلقت عليها "وثيقة الشرف والاستقلال " إلا أنها في حقيقة الأمر لم تكن إلا حلقة جديدة من حلقات القيود البريطانية على مصر جعلت لانجلترا حق السيطرة العسكرية والإشراف والتدخل في شئون مصر الداخلية . وقد هيأ بقاء

القوات البريطانية في منطقة القناة لانجلترا فرصة الضغط السياسي على مصر .

اشتداد وطأة الاحتلال على مصر :

تجلت وطأة معاهدة ١٩٣٦م في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، وعندما أصبحت مصر تحت تصرف القوات البريطانية وحلفائها احتفظت بريطانيا بالحق في تنفيذ بنود المعاهدة ، فأعلنت الأحكام العرفية ووضعت الرقابة على المطبوعات وأخذت تسقط وتقيم الوزارات حسب مصالحها. واشتد تبعاً لذلك السخط العام وعمت المظاهرات وكثرت المطالبات بسحب القوات البريطانية من مصر بمجرد انتهاء الحرب .

وازداد المصريون أملا في تحقيق أهدافهم الوطنية عندما أعلنت في أثناء الحرب العهود والمواثيق الدولية ومن بينها تصريح الرئيس الأمريكي روزفلت في يوليو ١٩٤٠م عن الحريات الأربعة وهي حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية التحرر من البؤس والحرية التي تنتج عن التحرر من الخوف ، ثم صدر ميثاق الأطلنطي الذي وقعه تشرشل في ١٤ أغسطس ١٩٤١م وأعلنا فيه أنهما يريدان إلا يقع أي تبدل إقليمي يخالف رغبة الشعوب المعنية وإنهما يحترمان حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكومات التي تدير شؤونها وأنهما يرغبان في أن تسترد الأمم المغلوبة على أمرها حقوقها وحكوماتها الحرة .

ولكن سرعان ما خابت آمال الوطنيين المصريين وبقية الشعوب العربية المكافحة من أجل الاستقلال عندما اتضح جلياً أن ظروف الحرب وحدها هي التي أملت تلك المواثيق التي هي وضعت لخدمة انجلترا وحلفائها ولتضليل الشعوب الأخرى لدعم مجهودات الحلفاء الحربية .

الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية :

تسلطت على مصر في هذا الحين عدة عوامل أثرت تأثيراً سيئاً في مسار الحركة الوطنية وتتلخص هذه العوامل في الآتي :

١- تعدد الأحزاب وقيام المنافسة الممقوتة بينها وتكالبها على الحكم.

٢- فساد القصر وتدخله في الحكم حتى أصبحت الوزارة ألعوبة في يده وغدت كراسي الحكم طوع إرادته .

٣- اعتماد الإنجليز على قوتهم العسكرية الموجودة في القصر للضغط السياسي على مصر والتدخل في شئون البلاد كما حدث في ٤فبراير ١٩٤٦م عندما استخدمت بريطانيا القوة المسلحة لإعادة حزب الوفد برئاسة مصطفي النحاس إلى الحكم .

ولما رفعت الرقابة عن الصحف والمطبوعات بعد انتهاء الحرب العالمية وأبيحت الاجتماعات العامة وألغيت الأحكام العرفية ، سرت في البلاد رغبة جدية في الوصول إلى حل بشأن مطالب البلاد القومية في الجلاء ووحدة مصر والسودان ولكن الحكومة البريطانية أصرت على إبقاء المبادئ الأساسية لمعاهدة ١٩٣٦م ، ولجأت إلى العنف لقمع المظاهرات في القاهرة وغيرها من مدن مصر واستشهد بعض شبان مصر ، وازداد السخط العام على الوزارة المصرية فتحرج مركزها واضطر رئيسها محمود فهمي النقراشي إلى الاستقالة وخلفه إسماعيل صدقي الذي مضى في خطة العنف وفشلت الجهود للتوفيق بين الأحزاب .

مشروع معاهدة صدقي بيفن :

سعت وزارة صدقي إلى مفاوضة انجلترا في القضية المصرية واستطاع إسماعيل صدقي في النهاية أن يصل مع المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية آنذاك إلى مشروع معاهدة عرف باسم مشروع صدقي - بيفن (١٩٤٣م) ولكن ذلك المشروع لم يحقق المطالب إذ أنه نص على مرور ثلاث سنوات لإتمام الجلاء عن مصر وعلى ضرورة قبول مصر لمبدأ الدفاع المشترك مع بريطانيا والاحتفاظ بالحالة الراهنة آنذاك في السودان.

واستقال إسماعيل صدقي في ديسمبر ١٩٤٦م بسبب فشله في مفاوضاته مع بيفن . تولى محمود فهمي النقراشي الوزارة من جديد واستأنف النقراشي المفاوضات مع السفير البريطاني في مصر ، إلا انه وجدا إصراراً من الحكومة البريطانية على موقفها المعروف ، فقرر مجلس الوزراء المصري عرض قضية البلاد على مجلس الأمن للمطالبة بجلاء القوات البريطانية من مصر والسودان ، وإنهاء النظام الإداري القائم بالسودان ولأن ذلك يتنافى مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى الرغم من عدالة القضية المصرية ووضوحها امتنع مجلس

الأمن من إصدار قرار بشأنها، بسبب سيطرة الدول الاستعمارية عليه . وتعثرت المفاوضات منذ ذلك الوقت بين مصر وبريطانيا رغم محاولات الوزارات المصرية المتعاقبة لفتحها بسبب إصرار الجانب البريطاني على موقفة وتمسك الشعب المصري بحقوقه الشرعية في الجلاء والحرية والاستقلال .

وتأزم الموقف بصورة ملحوظة في أكتوبر ١٩٥١م عندما أعلن النحاس باشا أمام البرلمان قطع المحادثات السياسية بين الحكومتين ، المصرية والبريطانية وإلغاء معاهدة ١٩٣٦م واتفاق ١٨٩٩م بشأن السودان . وتفاقم الموقف وأزداد خطورة وحدة عندما احتلت القوات الإنجليزية كثيراً من المراكز الإستراتيجية الهامة في قناة السويس والمدن المصرية المجاورة وأصبحت القوات المصرية المرابطة في سيناء مهددة بالخطر الإسرائيلي الإنجليزي .

عجزت الحكومة المصرية عن مجابهة الموقف المتأزم رغم استبسال شبان مصر الوطنيين المسلمين في الدفاع عن القناة ، وواصل القصر ترفه وبذخه وفساده وانشغاله بسفاسف الأمور . وتكاثر الظلم والغبن على الشعب المصري إثر تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية وانعدام العدالة الاجتماعية وانقسام المجتمع المصري إلى أقلية من السادة الأثرياء وأغلبية من الفقراء والبؤساء وطبقة متوسطة تتأرجح بين هذا وذاك .

تطور الوعي السياسي القومي في تلك الظروف الحرجة وتعالت المطالبة بالجلاء والإصلاح والحرية والاستقلال. عبرت بعض الصحف المصرية والوطنية عن ذلك الشعور الوطني العام وجهر بعض الأحرار المناضلين بذلك وتحديا للملك وبطانته والأحزاب .

وعندها قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بقيادة ضباط مصر الأحرار وكانت تهدف إلى الآتي :

١- القضاء على الاستعمار .

٢- القضاء على الإقطاع .

٣- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .

٤- تكوين جيش وطني قوي .

٥- تحقيق العدالة الاجتماعية .

٦- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .
٧- النهوض بالإنتاج .

أسئلة :

١- ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يلي :
أ- رئيس الوزراء المصري الذي قام بإلقاء دستور ١٩٢٣م واستبداله بدستور ١٩٣٠م هو :
١- على ماهر. ٢- إسماعيل صدقي .
٣- سعد زغلول. ٤-نوبار باشا .
ب/ نص ميثاق الأطلنطي الذي وقعه تشرشل في ١٤أغسطس ١٩٤١على :
١- حق الشعوب في الأمن ٢- حق الشعوب في التنمية
٣- حق الشعوب في الحريات الأربع ٤-حق الشعوب في اختيار حكوماتها
٢/ أكمل ما يلي بكتابة العبارات المناسبة :
أ/ نص مشروع معاهدة (صدقي – بيغن) على مرور .....سنوات لإتمام الجلاء عن مصر .
ب/ أعلن .....في أكتوبر ١٩٥١م أمام البرلمان إلغاء معاهدة ١٩٣٦م واتفاق ١٨٩٩م بشأن السودان .
٣/ اكتب عن :
أ/ معاهدة ١٩٣٦م . ب/ أهداف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

نشاط :

أكتب مقالاً عن موقف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من قضية السودان .

الدرس الرابع :

حركة التحرر العراقية

خضع العراق للانتداب البريطاني كنتيجة لمؤتمر سان ريمو في ابريل ١٩٢٠م وقد أدي ذلك إلي أن يعزز الانجليز قبضتهم علي البلاد عسكرياً واقتصادياً .

مقاومة الانتداب :

واظهر الشعب العراقي عدم قبوله لسياسة الانتداب ، وأخذ ينظم صفوفه ويطالب باستقلال العراق التام ضمن الوحدة العربية. وقد كان لتأسيس المملكة العربية السورية في دمشق بزعامة الأمير فيصل أكبر الأثر في أثارة حماس الشعب العراقي ومطالبته بالاستقلال والوحدة العربية . وحاول الانجليز الاستفادة من الخلافات الطائفية والمذهبية والعنصرية في العراق لتمكينهم من فرض سيطرتهم عليه، إلا أن العراقيين تناسوا خلافاتهم وغلبت عليهم روح الوطنية فتوحدت كلمتهم وقويت معارضتهم للحكم البريطاني في العراق فثاروا عليه في ابريل ١٩٢٠م . وقد كان لسوء تصرف الإدارة البريطانية العسكرية في العراق التي لم تقدر مدي انتشار الوعي القومي عند العراقيين ، وقامت باضطهاد الزعماء الوطنيين وألقت القبض علي بعضهم وصادرت الصحف الوطنية، مم أدى لاندلاع المقاومة العراقية للانتداب البريطاني. وامتدت المقاومة فشملت معظم بلاد العراق ماعدا بغداد التي فرض عليها الجيش البريطاني سيطرته الكاملة. ولما يئس الانجليز من إخماد المقاومة وقمع الحركة الوطنية لجأوا كعادتهم في مثل هذه الحالات إلي المسالمة والتفاهم وعينوا السير كوكس ، الذي عرف باعتداله وتفهمه لنفسية العرب ليكون مندوباً لبريطانيا في العراق . وشرع كوكس بمجرد وصوله للعراق في مفاوضة الزعماء الوطنيين علي أساس إنشاء حكومة وطنية في العراق ، وتأسست تلك الحكومة الوطنية ، إلا أنها كانت حكومة شكلية لا تستطيع تنفيذ القرارات التي تصدرها إلا بموافقة المندوب السامي البريطاني الذي يمثل السيادة العليا في البلاد ، ولذلك ظل شعور الشعب العراقي عدائياً تجاه الانتداب البريطاني .

فيصل ملكا للعراق :

وتهدئة للمقاومة العراقية وسعياً وراء كسب تأييد العرب عامة وزعماء الحركة الوطنية ،خاصة لجأت بريطانيا إلي ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ليكون ملكاً علي العراق . وبعد التفاوض والتفاهم مع الأطراف المعنية أعلن تشرشل في المؤتمر الذي عقده في القاهرة في مارس ١٩٢١م لدراسة الحالة في البلاد العربية ومحاوله الوصول إلي حلول للمشكلات القائمة فيها عن قيام حكومة عراقية وطنية ، واختيار الأمير فيصل ملكاً للعراق ودعا إلي اجراء مفاوضات معه لعقد معاهدة تحالف تصبح أساسا للعلاقات بين بريطانيا والعراق بدلاً من الانتداب . واجري استفتاء في العراق في ظل السيطرة البريطانية وتم تتويج فيصل ملكاً علي العراق في أغسطس ١٩٢١م .

استبشر العراقيون خيراً بعهد الملك فيصل وظنوا انه سيكون تمهيداً لإلغاء الانتداب ونيل الاستقلال وأبدوا استعدادهم لعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا لخدمة مصالحها المشتركة . وأبرمت بريطانيا مع العراق عدة معاهدات كانت أهمها معاهدة ١٩٣٠م ، والتي أيدت بموجبها بريطانيا دخول العراق كدولة مستقلة في عصبة الأمم ، شريطة أن تسمح العراق لبريطانيا باستعمال قواعد معينة للطيران وان تستخدم جميع طرق المواصلات بالبلاد وان يظل الطرفان حليفان لمدة خمس عشرة سنة تبدأ من تاريخ دخول العراق عصبة الأمم في سنه ١٩٣٢م صار العراق عضواً في عصبة الأمم وبدأ تنفيذ اتفاقية ١٩٣٠م التي كانت إيذاناً بانتهاء الانتداب ، ولكن الاتفاقية لم تحقق آمال العراقيين في الاستقلال التام ، بل غيرت شكل علاقة الانتداب دون المساس بمضمونها ، فقد كبلت العراق بقيود التحالف مع بريطانيا التي احتفظت بقوات حربية في بعض المراكز العراقية في وقت الحرب والسلم علي السواء .

انقلاب ١٩٤١م :

وأشاع جو الحرب العالمية الثانية وشعور العراقيين بالضيق والسخط علي بريطانيا روح التذمر في صفوف الجيش العراقي فقامت مجموعة من الضباط بانقلاب عسكري أطاح بالحكومة القائمة آنذاك واضطر الملك (فيصل الثاني) والوصي علي العرش الأمير عبد الله وعدد من رجال السياسة إلي الفرار وتقرر

أن يكون احد الوزراء السابقين ، رشيد عالي الكيلاني ،حكومة يسندها ضباط الجيش ويعلن خلع الوصي عبد الله واختيار احد أفراد الأسرة الهاشمية وصياً علي العرش .

وقد أبدي الكيلاني رغبة في الاحتفاظ بصداقة انجلترا في حدود معاهده ١٩٣٠م ، ولكن الحكومة البريطانية رفضت الاعتراف بحكومته باعتبار إنها غير دستورية ورأت فيها امتداداً للنفوذ الألماني إلي المنطقة العربية مما يهدد ميزان الحرب ضد بريطانيا خاصة عندما رفضت الحكومة العراقية أن تأذن لقوات بريطانيا بالنزول في العراق استناداً علي معاهدة ١٩٣٠م .

وحاول الجيش العراقي احتلال مطار الحبانيه وهو اكبر قاعدة جوية بريطانية في العراق واتخذت بريطانيا من هذا الموقف ذريعة لاحتلال العراق وضرب الحركة الوطنية فأنزلت قوات عسكرية كبيرة بالبصرة واستدعت قوات من الجيش العربي من شرق الأردن الذي كان تحت الانتداب البريطاني، وتقدمت القوات المشتركة لضرب الجيش العراقي الذي كان ينتظر مساعدة الألمان التي لم تصل . والتقي الجانبان في معركة غير متكافئة في الفالوجة هزم فيها الجيش العراقي ودخلت القوات البريطانية بغداد وسقطت حكومة رشيد الكيلاني الذي فر الي خارج البلاد .

وعاد الملك فيصل الثاني وولي عهده الأمير عبد الله ، واعدم عدد كبير من الضباط العراقيين ، وشكلت حكومة جديدة موالية لبريطانيا قبضت علي البلاد بيد من حديد وعملت على تدعيم مركز بريطانيا في المنطقة.

حلف بغداد :

وما أن انتهت الحرب في عام ١٩٤٥م حتى طالب العراقيون بتعديل معاهده ١٩٣٠م تعديلاً يزيل القيود التي تحد من استقلال بلادهم. واستجابت انجلترا لرغبة العراقيين ودخلت في محادثات مع صالح جبر رئيس وزراء العراق آنذاك تمخضت عن مشروع معاهدة (صالح جبر – بيفن) في يناير ١٩٤٨م. ولكن مشروع المعاهدة الجديدة لم يحقق آمال العراقيين فقامت مظاهرات صاخبة تهتف بسقوطها ، ورفض الوصي ومجلس الوزراء الموافقة عليها وظلت معاهدة ١٩٣٠م قائمة .

وبقي الحال هكذا حتى أحست الدول الرأسمالية وعلي رأسها بريطانيا وأمريكا بخطر المبادئ الشيوعية علي وجودها في منطقة الشرق الأوسط العربي فقامت بعقد ميثاق حلف بغداد في عام ١٩٥٥م للدفاع عن الشرق الأوسط اشتركت فيه بريطانيا وتركيا والعراق وإيران وباكستان . وحل حلف بغداد محل اتفاقية ١٩٣٠م . وتسلمت الحكومة العراقية القواعد الجوية التي كانت لبريطانيا في العراق وتعهدت بان تضعها تحت تصرف دول الحلف . وهكذا ظلت حكومة العراق مرتبطة بالسياسة البريطانية عن طريق حلف بغداد بينما كان الشعب العراقي يبغض ذلك الحلف ويتطلع للسير في موكب الدول العربية المتحررة التي كانت تنتهج سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز . وفي ١٤/ يوليو ١٩٥٨م قامت ثورة مسلحة بقيادة عبد الكريم قاسم وأطاحت بالملكية وأعلنت قيام الجمهورية العراقية وانسحاب العراق من حلف بغداد.

أسئلة :

أ- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي :

(أ) عندما اشتدت ثورة ١٩٢٠م عينت بريطانيا المستر كوكس مندوباً سامياً علي العراق للتفاهم مع العراقيين . ( )

(ب) نتج عن انقلاب ١٩٤١م اختيار (فيصل الثاني) ملكاً علي العراق.( )

(ج) تأسس (حلف بغداد عام ١٩٥٥م لمكافحة المبادئ الشيوعية . ( )

٢- رتب المعطيات التالية مع ما يناسبها في القائمة أسفله :

الأمير فيصل / معاهدة ١٩٣٠م / رشيد عالي الكيلاني / معركة فالوجه/ عبد الكريم قاسم . (ضع أجابتك في (أ))

(أ)	(ب)
	انقلاب ١٩٤١م
	ثورة ١٩٥٨م
	مؤتمر القاهرة
	هزيمة الجيش العراق
	عصبة الأمم

الدرس الخامس :

التطورات السياسية في المملكة السعودية والحجاز

في أثناء الحرب العالمية الأولي أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً علي العرب ، بذلك أصبح في الجزيرة العربية عاهلان كبيران : عبد العزيز بن سعود أمير نجد و الحسين ابن علي ملك الحجاز . وقد وثقت بريطانيا علاقتها بهذين الأميرين فوعدت الحسين بإقامة دولة عربية مستقلة ، وأجرت علي ابن سعود مرتباً شهرياً في مقابل تعهده بالا يدخل في علاقات خارجية مع أية دولة أخري عدا بريطانيا . ولما كان لكل من الحسين وابن سعود سياسة ووجهه نظر مغايرة للآخر في الشئون العربية كان لا بد أن ينشأ بينهما تنافس واختلاف .

النزاع بين ابن سعود والحسين بن علي :

رأي عبد العزيز بن سعود انه ليس آمنا علي ملكة من أطماع الشريف حسين الذي تبينت أطماعه بجلاء عندما أعلن نفسه ملكاً للعرب ولم يكتف بذلك بل شرع يدعو لنفسه ليكون خليفة المسلمين.

وقد أدي قبول العشائر المتاخمة للحجاز التي شاركت الحسين بن علي في ثورته علي الأتراك للدعوة الوهابية ودخولهم تحت نفوذ بن سعود بالرغم من سعي الحكومة البريطانية للتوفيق بينهما .

وأرسل الملك حسين بعض قواته لتأديب العشائر الخارجة عليه فأدبتهم وعادت إلي الحجاز واعتبر ابن سعود ذلك الإجراء اعتداء عليه وعلي ممتلكاته وصمم علي وضع حد لغزوات الحسين المتكررة علي الحدود النجدية . وتأزم الموقف بين الحاكمين حين رفض الملك الحسين أن يأذن للحجاج الوهابيين بالحج .

وحدث أول نزاع مسلح بين الجانبين في مايو ١٩١٩م عندما زحفت قوات الحسين بقيادة ابنه عبد الله ملك المملكة الأردنية الهاشمية فيما بعد، نحو احدى القرى واحتلها ولما كانت تلك القرية تعتبر من ضمن الحدود النجدية ومعظم قبائلها تعتنق المبادئ الوهابية تأهب ابن سعود للدفاع عنها ،فقامت قواته بمجابهة قوات الأمير عبد الله وهزمها شر هزيمة ولم ينج من القتل إلا

القليل ، من بينهم الأمير عبد الله الذي اعترف في مذكراته بان نجاته في تلك المعركة كانت معجزه . وكان بإمكان ابن سعود أن يتقدم ويحتل الطائف ومكة ولكنه آثر العودة إلي نجد خشية تدخل الحكومة البريطانية التي حذرته من التقدم في الأرضي الحجازية .

غزو الحجاز وضم الطائف ومكة :

حاولت بريطانيا أن تسعي بين الفريقين لتحسين العلاقات بينهما ولتدعيم نفوذها في المنطقة فطلبت منهما أن يتبادلا كتب مودة لعلها تكون سببا في حلول الصفاء محل الجفاء ولكنها لم تفلح في ذلك لإصرار الحسين بعدم الكتابة ورفضه لاستلام كتاب ابن سعود وواصلت الحكومة البريطانية مسعاها لتقريب شقة الخلاف بين الجانبين حتى هيأت الجو لمؤتمر الكويت في ديسمبر ١٩٢٣م لحسم الخلافات ، ولكن المؤتمر فشل ، وأخذت العلاقات بين الطرفين تزداد سوءا واختمرت فكرة فتح الحجاز في ذهن ابن سعود وعزم علي أن يبدأ بالطائف واقتحمها دون كبير عناء رغم جهود الحسين في صده عنها بجيشه المسلح بالأسلحة الحديثة وأصبحت قوات ابن سعود علي وشك الانطلاق لمكة . وإزاء الغزو السعودي وحفاظاً علي المقدسات الإسلامية في الحجاز اجتمع أعيان الحجاز من تجار وعلماء وغيرهم في جدة وأرسلوا برقية للملك الحسين يبينوا له فيها خطورة الموقف وطلبوا منه التنازل نهائياً عن العرش وتنصيب ابنه الأمير علي ملكاً علي الحجاز . ورضخ الحسين وتنازل لابنه الأمير علي . غير أن الملك الجديد رأي أن قواته لا تكفي للدفاع عن مكة التي تتقدم نحوها قوات بن سعود فانسحب بمن معه من الجند إلي جدة واستطاع السعوديون أن يدخلوا مكة في ١٦/ اكتوبر١٩٢٤ وبعدها تقدم بن سعود نحو جدة وحاصرها واستولي عليها وبذلك أصبح الحجاز كله للسعوديين وبويع السلطان عبد العزيز بن سعود ملكاً علي الحجاز وأصبح لقبه الجديد ، (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) .

القضاء علي آل الرشيد :

وفي هذا الحين تمكن ابن سعود من غزو إقليم شمر وضمة إلي بلده لتصبح نجد وحدة خالصة ثم سار بقواته إلي حائل قاعدة آل الرشيد وحاصرها

حصاراً عنيفا اضطر معه أميرها طلال آل الرشيد إلي التسليم لابن سعود الذي دخلها منتصراً والحق إمارتها بنجد .

ضم عسير :

كانت مقاطعة عسير التي تقع بين الحجاز واليمن مثار خلاف بين شريف مكة وإمام اليمن والشيخ احمد الإدريسي الذي هاجر من المغرب إلي عسير في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبسط نفوذه الروحي والسياسي علي الجزء الجنوبي من عسير حتى تهامة واستطاع أحفاد الإدريسي الاحتفاظ بنفوذهم في عسير رغم تهديد الشريف الحسين من الشمال والإمام يحي من الجنوب علي تحالفهم مع ابن سعود وانتهز إمام اليمن فرصة انتقال ابن سعود بحروبه ضد الشريف الحسين للتوسع علي حساب الأدارسة فاحتل الحديدة وزحفت قواته شمالاً للاستيلاء علي بقية عسير ولما أحدق الخطر بعسير استنجد أمامها السيد حسن الإدريسي بالملك ابن سعود الذي استجاب له وعقد معه في عام ١٩٢٦م معاهدة بسط فيها الحماية علي عسير وفي عام ١٩٣٠م عاد الإدريسي فطلب أن تنضم بلاده رسمياً إلي ابن سعود وتم ذلك بالفعل في عام ١٩٣٢م وصدر مرسوم ملكي بتوحيد أجزاء مملكة نجد وملحقاتها والحجاز وعسير في مملكة واحدة أطلق عليها اسم المملكة العربية السعودية .

تسوية الخلاف مع إمام اليمن :

لم يعترف أمام اليمن يحي حميد الدين بضم عسير التي يعتبرها جزءا من بلاده إلي المملكة السعودية ،وحاول الطرفان الوصول إلي اتفاق بشان الحدود بينهما ولكنهما فشلاً في ذلك واندلعت الحرب بينهما في عام ١٩٣٤م ورغم انتصار ابن سعود على الإمام إلا انه قبل توسط زعماء العرب لحقن الدماء فعقدت بين الطرفين معاهدة الطائف في مايو ١٩٣٤م التي اعترف فيها إمام اليمن بحدود المملكة العربية السعودية بما فيها عسير .

توطيد دعائم المملكة :

وجه ابن سعود اهتمامه بتثبيت دعائم ملكه فعمل علي تقويه مركزه بعقد عدة معاهدات مع الدول الأوربية وتركيا وإيران وعني بتوثيق علاقاته ببقية البلاد العربية المجاورة كالعراق ومصر وأصبح لبلاده مكانة مرموقة في

العالم العربي والإسلامي .

كما قام ابن سعود بنهضة شاملة في الداخل اخرج بها المملكة من عزلتها ووطد الأمن والسلام في ربوعها واخضع القبائل والعشائر وأصبح الطريق للحج مأمونا وعمل علي تطوير الزراعة والمواصلات والتعليم والصحة كما شجع البدو علي الاستقرار في القرى الحديثة ، وعمل على تحضيرهم وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق وقد ساعد اكتشاف البترول بكميات كبيرة في مختلف أرجاء المملكة السعودية علي تنفيذ تلك المشاريع الإصلاحية .

أسئلة :

١. اجب عن الأسئلة التالية باختصار .

(أ) وضح موقف بريطانيا من عبد العزيز آل سعود في نجد والحسين بن علي في الحجاز .

(ب) اذكر أهم أسباب الخلاف بين ابن سعود والحسين بن علي .

٢. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة :

(أ) قام أمير حائل ..... بالتسليم لابن سعود بعد أن حاصره حصاراً عنيفاً.

(ب) دار النزاع بين إمام اليمن وابن سعود حول إقليم.....

٣. اكتب عن ضم ابن سعود للحجاز .

نشاط :

ارسم خريطة المملكة العربية السعودية ووضح علي كل إقليم تاريخ ضمه للمملكة .

الدرس السادس :

سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي

لم تكتف فرنسا بالقضاء علي استقلال سوريا في عام ١٩٢٠م بل عملت علي تجزئتها إلي دولتين منفصلتين هما سوريا ولبنان. وقامت بتقسيم سوريا إلى أربع ولايات هي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية العلويين وولاية جبل الدروز واقتطعت أربع أقضية (محافظات) من ولاية دمشق هي بعلبك وطرابلس وصور وصيدا وضمتها إلي جبل لبنان وصنعت منه ما أسمته لبنان الكبير وجعلت عاصمته دمشق ووضعت للواء الإسكندرونة نظاماً خاصاً للحكم، وتنازلت عنه فيما بعد (١٩٣٩م) لتركيا بحجة أن أكثر سكانه من الترك .

سوريا :

وقد أدت هذه التجزئة إلي تفتيت الوحدة السورية و تدمير الاقتصاد السوري وربطة بالاقتصاد الفرنسي مما أدي إلي هزات مالية كثيرة . وأقامت فرنسا في كل من سوريا ولبنان حكماً عسكرياً مطلقاً ، ووضعت يدها علي جميع الإدارات والمصالح الحكومية وملأتها بالموظفين الفرنسيين والأرمن ، وفرضت علي البلاد ضرائب باهظة . وقضي الفرنسيون علي الحريات وعطلوا الصحف وطاردوا الوطنيين الأحرار وأكثروا من النفي والاعتقال كما أنهم اتبعوا سياسة (فرق تسد) فاثاروا العصبيات العنصرية والطائفية واستغلوها أسوا استغلال كما اهتموا بنشر ثقافتهم الفرنسية بواسطة المعاهد والمنشآت التي خصصت لهذا الغرض وتجاهلوا الثقافة واللغة العربية وحاربوها .

مقاومة الانتداب في سوريا :

وبالرغم من هذا الحكم العسكري المطلق الذي فرضته فرنسا علي البلاد تحت ستار الانتداب ، إلا أن الشعور الوطني ما لبث أن انفجر في ثورات عنيفة واضطرابات متجددة ضد الفرنسيين كان أخطرها ثورة ١٩٢٥م التي كادت أن تنجح في هزيمة وطرد الفرنسيين من البلاد السورية . وبدأت الثورة في جبل الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش ثم امتدت إلي حماة ودمشق واشترك في قيادتها عبد الرحمن شهبندر ، ونسيب البكري وغيرهم من الزعماء الوطنيين المرموقين ، وكانت تهدف إلي طرد القوات المحتلة وتحقيق وحدة البلاد السورية وإقامة حكومة شعبية دستورية ديمقراطية تؤمن بالحرية والمساواة والإخاء. وتطورت الثورة إلي معارك عنيفة كبد فيها الدروز الذين عرفوا بالشجاعة والصبر علي القتال ، القوات الفرنسية خسائر فادحة وكادوا أن ينتصروا عليها، ولكن الفرنسيين تمكنوا في النهاية من قمع الثورة بعد أن استعملوا القسوة والشدة وقذفوا دمشق بالمدافع والقنابل ودمروا جزءاً كبيراً منها ، وكانت تلك نقطة تحول في تاريخ سوريا الحديث إذ ردت فرنسا إلي صوابها وأقنعتها انه لابد من العدول عن سياستها التعسفية وانتهاج سياسة العقلانية والتفاوض. ووافقت فرنسا علي قيام حكومة وطنية بدمشق ، ووضعت مشروعاً للمعاهدة بين البلدين وأجريت الانتخابات في يونيو ١٩٢٨م ، لتكوين جمعية تأسيسية. وقررت تلك الجمعية أن تكون سوريا جمهورية نيابية ووضعت مشروعاً للدستور ينص علي الوحدة السورية وحق رئيس الجمهورية في إبرام المعاهدات مع الدول الأجنبية وتكوين جيش وطني . ولما كانت هذه المواد لا تتفق ومصالح فرنسا اعترض عليها المقيم الفرنسي في سوريا ولكن الجمعية التأسيسية تمسكت بها وعندها أمر المقيم الفرنسي بحلها وإصدار الدستور في عام ١٩٣٠م . بعد أن حذف منه المواد المعينة وأضيف إليه مادة تطلق يد فرنسا في العمل كما تشاء، وفي الوقت نفسه اصدر دستوراً منفصلاً بدولة لبنان .

معاهدة ١٩٣٦م :

ولم تسفر التجربة الجديدة عن أي نجاح يذكر فازدادت الاضطرابات، مما حدا بالحكومة الفرنسية ، وكان قد تولي أمرها الحزب الاشتراكي الذي كان

أكثر تفهماً وميلاً لإجابة مطالب الوطنيين ، للتفاوض وللوصول لمشروع معاهدة ١٩٣٦م التي تقضي بمنح السوريين الاستقلال المشروط بقيام تحالف بين الدولتين وإلزام الحكومة السورية بتقديم كافة التسهيلات والمساعدات لفرنسا، لاسيما في حالة الحرب وتدريب الجيش السوري علي يد بعثة عسكرية فرنسية، ووضع مطارات سوريا وقواعدها العسكرية تحت تصرف القوات الفرنسية التي تبقي في سوريا .

وعلي الرغم من هذه القيود التي اقتبس معظمها من معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا فقد قبلها السوريون كخطوة أولي نحو الاستقلال والحكم الوطني ، ولكن البرلمان الفرنسي رفض إجازة مشروع المعاهدة وعاد حكم الانتداب إلي سابق عهده. وأقيلت الحكومة الوطنية ، وحُكمت البلاد حكماً صارماً قاسياً حتى نشوب الحرب العالمية الثانية حيث دخل تاريخ سوريا في دور جديد .

استقلال سوريا :

أعلن زعماء الأحزاب السياسية في سوريا ولاءهم لفرنسا وعرضوا خدماتهم في أثناء الحرب بغرض تطويق عنق فرنسا بالمساعدة في وقت الشدة حتى تحقق آمالهم الوطنية بعد الحرب. وقدرت فرنسا تلك المبادرة فشكلت حكومة وطنية في سوريا لها مجلس استشاري يمثل الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية في سوريا ، إلا إنها لم تكن مطلقة اليد في تغيير شئون البلاد . وبعد انهيار فرنسا أمام الغزو الألماني تسلمت قوات فيشي الحكم في سوريا إلي أن دحرتها القوات البريطانية مع قوات فرنسا الحرة في عام ١٩٤١م وحل محلها انتداب مشترك بين الدولتين وأعلن الجنرال كاترو باسم فرنسا الحرة ، أن بلدي سوريا ولبنان يتمتعان الان بامتياز وصلاحيات الدولتين المستقلتين، وأن القيود الوحيدة التي تمنع هذه الحقوق قد فرضتها الحرب العالمية ولكن هذه الوعود المحاطة بالحذر قد خيبت آمال السوريين الذين كانوا يريدون الاستقلال لا الوعد به . وتزعزع الوضع ونشبت الاضطرابات وعاد سوء التفاهم بين الوطنيين والفرنسيين إلي ما كان عليه قبل الحرب وتداركت فرنسا الموقف فوافقت علي إجراء انتخابات عام ١٩٤٣م ، التي أسفرت عن قيام مجلس وطني يمثل كافة القطاعات والطوائف السورية . وفي عام ١٩٤٥م تقدمت فرنسا

بمشروع ينص علي استقلال سوريا ولبنان شريطة عقد اتفاقيات اقتصادية وثقافية بينهما وبين فرنسا ، والحصول علي مطار في سوريا ، وقاعدة بحرية في لبنان، وان تظل الجيوش الخاصة بهما تحت القيادة الفرنسية حتى تتألف قيادة وطنية.

غير أن هذه الشروط المجحفة أدت إلي رفض المشروع برمته وصمم السوريون واللبنانيون علي النضال من أجل استقلالهم التام ، وأضربت المدن السورية واللبنانية واشتدت الاضطرابات ، فما كان من السلطات الفرنسية إلا أن استعملت القوة وأطلقت نيران مدافعها علي دمشق وحمص وحماة وفتكت بالأبرياء وهدمت الأسواق والأحياء وعندها توترت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا التي تدخلت لوقف المذابح وأجبرت القوات الفرنسية علي الانسحاب.

ولجأت الحكومتان السورية واللبنانية في عام ١٩٤٦م إلي مجلس الأمن للمطالبة بجلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن بلديهما واشتد ضغط الرأي العام العالمي علي فرنسا فوافقت بالتشاور مع بريطانيا علي جلاء جميع القوات الأجنبية من سوريا ولبنان في ابريل ١٩٤٦م وتم فعلا في وقته المحدد ونالت كل من سوريا ولبنان استقلالها التام .

لبنان :

كانت فرنسا تعتز دائما بصلاتها التاريخية مع اللبنانيين لاسيما الطائفة المارونية التي كانت تعتبر فرنسا وخاصة بعد تدخلها لحمايتهم في ١٨٦٠م ، ملاذها ومصدر ثقتها، ولهذا ورغم إجماع أهل سوريا علي المطالبة بالاستقلال التام فقد أبدي أكثر الموارنة والكاثوليك للجنة كنج – كرين الأمريكية رغبتهم في أن تكون فرنسا هي الدولة المنتدبة علي سوريا ، ولا شك أنهم كانوا مدفوعين بعواطفهم الدينية وميولهم الثقافية التي تشدهم إلي فرنسا ، وظنوا أنها كدولة منتدبة ستأخذ بأيديهم إلي التقدم والمدنية والحرية والاستقلال ولكن سرعان ما خاب أملهم في فرنسا وأدركوا أن الانتداب والاستعمار صنوان واخذوا يطالبون مع غيرهم من مختلف قطاعات الشعب بالحرية والاستقلال . وعلي الرغم من أن الانتداب الفرنسي علي لبنان لم يلق من المقاومة المسلحة ما لقيه الانتداب في سوريا، إلا أنه كان أيضا بغيضا إلي نفوس المواطنين وكثيراً

ما تعرض لنقد الصحافة اللبنانية العنيف ، وأراد الجنرال غورو أول مقيم فرنسي في سوريا ممالأة لبنان علي حساب سوريا ليوقع بين الشعبين الشقيقين، فانشأ ما أسماه لبنان الكبير وجعل عاصمته بيروت وضم إليه أجزاء من سوريا وأعلن استقلاله الاسمي . ولكن المواطنين اللبنانيين قد فطنوا لمكائد فرنسا وعملوا علي إحباطها ، فاجتمع فريق من زعمائها الذين ينتمون إلي طوائف دينية مختلفة في يونيو ١٩٢٠م وأصدروا قراراً أعلنوا فيه حق لبنان التاريخي في الاستقلال التام والحياد السياسي ، كما قرروا أن يقوم الاتفاق والتفاهم بين لبنان وسوريا إلا أن السلطات الفرنسية ألقت القبض عليهم ووجهت إليهم تهمة الخيانة وحكمت علي أكثرهم بالسجن والتشريد .

أثر المقاومة السورية علي تطور الأحداث في لبنان :

كان لثورة ١٩٢٥ السورية أثرها المباشر علي لبنان إذ إنها أجبرت السلطات الفرنسية علي تدارك الموقف هناك فأجرت الانتخابات، وأعلنت الجمهورية اللبنانية في عام ١٩٢٩م. ولكن تلك الإجراءات الشكلية لم تصرف الوطنيين عن المطالبة بالاستقلال الحقيقي . وفي عام ١٩٣٦م تقدمت السلطات الفرنسية بمشروع معاهدة علي غرار المعاهدة الفرنسية السورية السالفة الذكر وان كانت اشد منها قيوداً ، وقد أدي رفض البرلمان الفرنسي لتلك المعاهدة إلي إقالة الحكومة الوطنية وتعطيل الحياة النيابية في لبنان وإلي عودة حكم الانتداب إلي شدته وقسوته ، حتى قيام الحرب العالمية الثانية التي أجبرت فرنسا علي انتهاج سياسية الملاينة والتفاوض من جديد ، وأعلن جورج كاترو الذي عين كقائد عام لجيوش فرنسا الحرة ، وكمندوب فوق العادة لحكومة الجنرال ديغول في يونيو ١٩٤١م – استقلال لبنان وسوريا وتألفت الحكومة اللبنانية الجديدة في نوفمبر من نفس العام وأجريت أول انتخابات حرة في لبنان تحت إشراف فرنسا في عام ١٩٤٣م خسرتها العناصر الموالية لفرنسا واكتسحتها العناصر الوطنية التي تنادي بالاستقلال وتعديل الدستور ليلائم وضع لبنان المستقل . وعارضت السلطات الفرنسية هذا وألقت القبض علي رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح وآخرين ونفتهم إلي قلعة راشيا . وأعلنت الأحكام العرفية مما أدي إلي تذمر المواطنين واستيائهم ، ودخلت البلاد في

إضراب شامل ومظاهرات عامة واحتج اللبنانيون المغتربون لحكومات البرازيل والولايات المتحدة علي تصرف فرنسا، مما أدي إلي تزايد الضغوط السياسية علي فرنسا في الداخل والخارج .

استقلال لبنان :

وأذعنت فرنسا للضغوط المتزايدة وأعلنت عودة المنفيين إلي بيروت وعودة الحياة الدستورية للبلاد مرة أخري وبحلول عام ١٩٤٤م تسلمت الحكومة اللبنانية كافة مسئوليتها الدستورية وما أن حل عام ١٩٤٦م حتى تم جلاء جميع الجيوش الأجنبية من لبنان في عهد الرئيس بشارة الخوري ونالت لبنان استقلالها التام.

أسئلة :

أ- ارسم دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة فيما يلي :

(أ) بدأت ثورة ١٩٢٥السورية في

١. دمشق ٢. جبل الدروز

٣. حلب ٤. طرابلس

(ب) نصت معاهدة ١٩٣٦ في سوريا علي :

١. تقديم التسهيلات لفرنسا في حالة الحرب .

٢. تدريب الجيش السوري علي يد الفرنسيين .

٣. وضع قواعد ومطارات سوريا تحت تصرف الفرنسيين.

٤. كل ما ذكر صحيح .

٢. رتب المعطيات التالية مع ما يناسبها في القائمة التالية:

لواء اسكندرونه / سلطان باشا الأطرش / الجنرال كاترو / طائفة الموارنة / بشارة الخوري .

(أ)	(ب)
	قوات فرنسا الحرة .
	استقلال لبنان .
	تركيا.
	الولاء لفرنسا .
	ثورة ١٩٢٥م .

نشاط :

ارسم خريطة لسوريا الكبري ووضح فيها التقسيمات التي أقامها الفرنسيون .

الدرس السابع :

الحركة الاستقلالية في المغرب العربي

كان الاتجاه العام للاستعمار الفرنسي في مراكش وغيرها من دول المغرب العربي الواقعة تحت نفوذه كالجزائر وتونس ، هو الاستيلاء علي الأراضي الزراعية الخصبة والاستيطان فيها وتوسيع وتطوير إنتاجها الزراعي والحيواني، واستغلال إمكانات البلاد الاقتصادية الهائلة من معادن وبترول والاستفادة من مواقعها الإستراتيجية البرية والبحرية التي تهيمن علي جزء كبير من البحر الأبيض المتوسط والصحراء الكبرى لخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية .

ولتحقيق هذه الأهداف عمدت فرنسا إلي سياسة القمع والبطش بالمواطنين ومحاربة اللغة والثقافة العربية وإحلال اللغة والثقافة الفرنسية محلها ، أي (فرنسة) المغرب العربي وجعله جزءاً لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية .

وقد كان الاستقلال الاقتصادي والاضطهاد السياسي وانعدام الحقوق الأساسية بكافة المغرب العربي سببا أساسيا لنهوض حركات التحرر الوطني في كل من تونس والجزائر ومراكش .

المقاومة المغربية للاستعمار الفرنسي :

ببداية الحرب العالمية الأولي كانت القوات الفرنسية الاسبانية قد تمكنت من إخضاع المناطق الساحلية لمراكش ، ولكن سكان المناطق الجبلية استطاعوا أن يحافظوا علي استقلالهم وحريتهم بقوة السلاح ، وقد حمل لواء الجهاد في الريف المراكشي الأمير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم قبائل درياغل ، الذي كبد القوات الاسبانية المتفوقة عليهم عدداً وعدة خسائر فادحة في العتاد والأرواح خاصة في عام ١٩٢٤م .

وذعرت الحكومة الفرنسية لتلك الانتصارات المغربية وخشيت علي ممتلكاتها في شمال أفريقيا فوحدت جهودها مع اسبانيا لسحق حركة المقاومة الوطنية الريفية .

وزحفت القوات الفرنسية والاسبانية الموحدة في سبتمبر ١٩٢٥م علي أماكن تجمعات الثوار وأطبقت عليهم من كل جانب وبعد معارك عنيفة ضرب فيها

الوطنيون أمثلة رائعة في الاستشهاد والتضحية ، رأي زعيم المقاومة محمد عبد الكريم الخطابي أنه لا نتيجة ترجي من تلك الحرب غير المتكافئة إلا فناء أنصاره المجاهدين فألقي السلاح وأعلن استسلامه لفرنسا التي ألقت القبض عليه ونفته مع نفر من أنصاره إلي جزر رينيون في المحيط الهندي التي بقي فيها واحداً وعشرين عاماً .

وتابعت القوات الفرنسية والاسبانية زحفها في داخل مراكش وطوقت القبائل الثائرة وأجبرتها علي التسليم رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها.

تجدد المقاومة المغربية :

وتجددت الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة للاستعمار الفرنسي في مستهل الثلاثينيات عندما أصدرت السلطات الفرنسية في مراكش قانون التطهير في مايو ١٩٣٠م بصدد (محاكم البربر) ونص هذا القانون علي إلغاء المحاكم الشرعية وقيام مجالس البربر العرفية لتحل محلها ، واستئناف أحكام هذه المجالس إلي المحاكم الفرنسية مباشرة كما نص علي منع استعمال اللغة العربية في المدارس والمناطق البربرية . ومنع تعليم الديانة الإسلامية وفتح الطريق أمام المبشرين الفرنسيين لنشر الديانة المسيحية بين قبائل البربر.

وزعمت فرنسا أن الغرض من هذا القانون هو حماية حقوق البربر التقليدية ولغتهم وأصالتهم من تغول العنصر العربي ، بينما كان المقصود منه تطبيق سياسة (فرق تسد) وزرع الشقاق بين العرب والبربر . وقد أثار هذا الإجراء استياء البربر و العرب علي حد سواء وعمت مظاهرات الاحتجاج كافة البلاد .

ظهور الأحزاب السياسية في المغرب :

كتلة العمل الوطني :

ونتيجة لهذه التطورات الأحداث في المنطقة ظهر في عام ١٩٣٤م أول تنظيم سياسي ممثلا في كتلة العمل الوطني من أجل الدفاع عن الوطن وتحريره ولم يعارض التنظيم الجديد بقاء الحماية الفرنسية في مراكش إلا أنه طالب بالمساواة بين المستوطنين والمواطنين باقتراحات عملية لمنح الحريات الشخصية والسياسية للمواطنين ، وتطوير التعليم والحياة الاجتماعية

والاقتصادية والثقافية في البلاد . وكثّف التنظيم نشاطه في الداخل والخارج لتحقيق تلك الأهداف .

ولكن السلطات الفرنسية ضاقت ذرعاً بنشاط كتله العمل الوطني فأمرت بحلها وقفل مراكزها في مارس ١٩٣٧م .

(٢) الحزب الوطني :

وسرعان ما تجمع أعضاء الكتلة المنحلة وقرروا تأليف حزب جديد باسم « الحزب الوطني » لتحقيق المطالب المغربية» بزعامة علال الفاسي ومحمد البريدي واهتم الحزب الجديد بمكافحة سياسة التفرقة والتمييز التي مارستها السلطات الفرنسية الاستعمارية ، وركز علي نشر الوعي القومي عن طريق الدروس والمحاضرات الوطنية العامة . كما عني بشباب البربر لينشأوا نشأة عربية قومية. وشكل الحزب لجنة للإصلاح الديني لمقاومة الخرافات وتقوية بنيان الأسرة المغربية ، ولجاناً أخري للتقويم الاجتماعي والاقتصادي، ولجنة لحماية فلسطين . وقد ازدادت الحركة الوطنية نشاطا وقوة بتولي السلطان محمد بن يوسف «الملك محمد الخامس» عرش المغرب لإيمانه بحق بلاده في الاستقلال وتقريبه الزعماء الوطنيين ومقاومته لأساليب الاستعمار الفرنسي ما وسعته المقاومة.

وعادت السلطات الفرنسية إلي سياسة القمع والاضطهاد ضد المواطنين ، فقامت بنفي زعماء الحزب الوطني وعلي رأسهم علال الفاسي إلي الجابون بإفريقيا الاستوائية وبإخماد المظاهرات الصاخبة التي اجتاحت المغرب احتجاجاً علي ذلك . واستمر التصادم بين الوطنيين والمستعمرين في الداخل وتكونت الحركات السياسية في الخارج مثل هيئة الدفاع عن المغرب الأقصى ، التي كونها المغاربة في فرنسا لتنوير الرأي العام العالمي بقضية بلادهم والدعاية لها .

حزب الاستقلال :

وفي خلال الحرب العالمية الثانية هدأت الأحوال نوعاً ما في المغرب الأقصى أنتظاراً لما يسفر عنه الصراع الذي دار في شمال إفريقيا بين بريطانيا وحلفائها ضد ألمانيا وايطاليا ولم يشأ الزعماء الوطنيون علي حد قولهم ،

أن يطعنوا فرنسا من الخلف ، بل أعلنوا تضامنهم معها للتغلب علي ما كان يتهددها من أخطار لاسيما الغزو الألماني في يوليو ١٩٤٠م . ولكن ذلك لم يغير من موقف فرنسا التي واصلت سياستها العدائية نحو الشعب المغربي لهذا فقد شعر الزعماء الوطنيون بخيبة أمل شديدة وتكتلوا جمعياً في حزب واحد عرف باسم (حزب الاستقلال) الذي أدرج في برنامجه مطلب سيادة المغرب . وفي يناير ١٩٤٤م . تقدم الحزب إلي السلطان وممثل فرنسا ودول الحلفاء بمذكرة يطالب فيها بالاتي:

١. إلغاء نظام الحماية ٢. استقلال المغرب ووحدة أراضية. ٣. إقرار نظام ملكي دستوري .

وأبدي السلطان عطفه علي تلك المطالب التي أثارت حماساً عارماً في البلاد، إلا أن السلطات الفرنسية أصرت علي رفضها والتمسك بمعاهدة الحماية ١٩١٢م ، وقامت باعتقال بعض الزعماء السياسيين وأخذت المواطنين بالعنف خاصة في مدينة فاس التي حرم أهلها من الماء والكهرباء والمواد الغذائية لعدة أسابيع .

ورد سلطان مراكش على السياسة التعسفية بزيارة أماكن الاضطرابات في طنجة في ابريل ١٩٤٧م حيث خطب خطبة طالب فيها بحقوق شعبه في الحرية والسيادة والوحدة كما حيا جامعة الدول العربية . وكان ذلك إيذاناً ببعث الحركة الوطنية من جديد بتأييد من السلطان .

واعتبرت الحكومة الفرنسية هذا العمل من السلطان عدائيا ، ولجأت إلي سياسة الشدة والعمل علي القضاء علي الحركة الوطنية وادي ذلك لخلع السلطان ، كما اتفقت مع السلطات الاسبانية علي اتخاذ إجراءات مشدده لقمع الحركة الوطنية في المغرب .

قضية مراكش أمام الأمم المتحدة :

وفي ذلك الحين قررت الجامعة العربية الخروج بالمشكلة المغربية إلى المجال الدولي فقامت بعرضها ، رغم معارضة فرنسا الدائمة لذلك، علي هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٥٢م . وقد أوصت الهيئة بتطوير المنظمات السياسية الحرة للمغاربة بقصد تحقيق الحكم الذاتي .عمل الوطنيون علي توحيد صفوفهم

بإقامة جبهة وطنية تضم سائر الأحزاب المراكشية تتحد كلها في ميثاق عام يتلخص في رفض الانضمام لفرنسا والمطالبة بالاستقلال وتأييد السلطان في كل مواقفه مادامت متفقة مع الميثاق. وإزاء هذه التطورات السياسية لم تجد الحكومة الفرنسية بداً من حل حزب الاستقلال وتشريد زعمائه والعمل علي أضعاف السلطان بخلق طبقة مناوئة له تطالب بعزله، ومقاومة تدخل الدول العربية في المسالة المراكشية والخروج بها إلي المجال الدولي .

نفي السلطان :

قاوم السلطان محمد الخامس كل تهديدات فرنسا واستمر في مساندة الحركة الوطنية وتقريبه لزعمائها ورفض توقيع المراسيم الجائرة في حق الشعب المراكشي التي عرضها عليه المقيم الفرنسي في مراكش ، فعزمت فرنسا علي عزلة والتخلص منه وقرر مجلس الوزراء الفرنسي في ٢٠ أغسطس ١٩٥٣م إقصاء السلطان نهائيا عن العرش بعد أن رفض الإذعان لطلب التنازل ، وتقدمت قوة عسكرية فرنسية فقبضت علي السلطان ووضعته هو وأسرته في طائرة عسكرية أقلتهم إلي جزيرة كورسيكا ثم نقلوا إلي مدغشقر ، ونصب الفرنسيون مكانه محمد بن عرفه .

استقلال المغرب :

لم تهدا المقاومة المغربية للاستعمار الفرنسي ، ولم تتوان الجامعة العربية في تأييد المواطنين وإثارة المسألة المراكشية في كافة المجالات الدولية. وقامت الجامعة العربية بالتنسيق مع مجموعة الدول الأسيوية الأفريقية برفع القضية المراكشية مرة أخري إلي هيئة الأمم المتحدة وبذل العون المادي للزعماء الوطنيين من اجل مواصلة الكفاح في الداخل والخارج بوسائل ايجابية مجدية. كما أثيرت القضية المراكشية في مؤتمر باندونج لبلدان آسيا وإفريقيا الذي عقد في ابريل ١٩٥٥م وحصلت منه علي قرار بالإجماع يطالب فرنسا بالاعتراف بحق الشعب المغربي في الاستقلال وتقرير مصيره ، كما طالب حزب لاستقلال بخلع محمد بن عرفه وإعادة السلطان محمد الخامس وإلغاء معاهدة الحماية .

وأخيرا اضطرت فرنسا إلي إعادة النظر في سياستها نحو مراكش فأفرجت عن السلطان محمد الخامس وإعادته إلي عرشه واعترفت بحزب الاستقلال

ودخلت مع السلطان في مفاوضات انتهت في عام ١٩٥٦م بعقد معاهدة اعترفت فيها فرنسا بإلغاء الحماية وباستقلال مراكش مع الاحتفاظ ببضعة امتيازات فرنسية وبقاء مراكش ضمن دائرة الفرنك الفرنسي .

وشهدت السنوات التي تلت ، إبرام أكثر من معاهدة تعاون اقتصادي وقضائي وثقافي بين فرنسا ومراكش ، التي استبدلت اسمها القديم باسم جديد هو المغرب.

خريطة رقم (٢) المغرب .

أسئلة :

١. اجب عن الأسئلة التالية باختصار :

(أ) وضح معني (فرنسة) المغرب العربي .

(ب) اذكر أهم ما نص عليه (قانون التطهير) الذي أصدره الفرنسيون عام ١٩٣٠م .

(ج) اشرح أهم أنشطة الحزب الوطني المغربي .

٢. اكتب في الموضوعات التالية :

(أ) حزب الاستقلال المراكشي .

(ب) السلطان محمد الخامس ودورة في الاستقلال .

الدرس الثامن :

القضية الفلسطينية

فلسطين عبر التاريخ

كانت فلسطين جزءاً من سوريا (بلاد الشام) والتي تشمل سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن. ويعتبر الكنعانيون من أوائل العناصر البشرية التي استوطنت الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام وكان ذلك في الفترة من ٢٥٠٠-١٠٠٠ ق.م ، وعرف ذلك الجزء آنذاك بأرض كنعان .

وقد اهتم الكنعانيون بتعمير البلاد وتطويرها فأقاموا فيها حضارة راقية وأنشأوا مدناً من أشهرها عكا وصور ويافا ونابلس . ثم جاء بعدهم العبرانيون وهم من سلالة يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وقد عُرف يعقوب باسم إسرائيل ، وإليه ينسب اليهود، وقد جاءوا مهاجرين إلى أرض (كنعان) من مصر بعد أن ضاق بهم الحال هناك في عهد الفرعون (رمسيس الثاني) . وكان ذلك في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد على وجه التقريب. وقد عرفوا بالعبرانيين لعبورهم نهر الأردن إلى مدينة أريحا الكنعانية التي قتلوا أهلها ودمروها واحرقوها وقضوا على حيواناتها ، وهذه سنتهم في الماضي والحاضر .

وفي ذلك الوقت جاءت أيضاً قبائل من جزر كريت التي فرت من هجمات القبائل اليونانية، وأخذت تبحث عن وطن لها ، فاستولت على الأراضي الكنعانية الساحلية من جنوبي غزة حتى ما بعد الكرنك ، وعرفت هذه المنطقة باسم فلسطين نسبة إلى أن هذه القبائل (الفلستينيون) الذين أتوا من جزيرة كريت وقد نشبت حروبات عنيفة بين العبرانيين الذين استولوا على أرض كنعان من الداخل والفلسطينيين في الساحل تغلب فيها العبرانيون ، ومع ذلك ظل اسم فلسطين باقياً كعلم في المنطقة.

وطوال هذه الفترة ظل اليهود بعيدين عن فلسطين ومشردين في الأرض غير أن ارتباطهم الديني القوي بفلسطين ظل قوياً . وكان كبار السن منهم يحجون إليها ويعتبرونها (أرض الميعاد) ونجد أن اليهود القاطنين في العالم

الإسلامي قد وجدوا معاملة كريمة تنبع من طبيعة الإسلام . بينما تعرضوا للاضطهاد في أوربا .

المملكة اليهودية في فلسطين :

تمكن العبرانيون (اليهود) في القرن العاشر قبل الميلاد من السيطرة على فلسطين لفترة طويلة ، وقام داؤد بتأسيس المملكة اليهودية في عام ١٠٠٠ ق. م واتخذ من أورشليم (القدس) عاصمة لمملكته ، ثم خلفه ابنه سليمان الذي وسع ملكه وبنى الهيكل الشهير في القدس والذي عرف بهيكل سليمان .

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة اليهودية إلى مملكتين :

١. مملكة إسرائيل الشمالية وعاصمتها السامرة .

٢. مملكة يهوذا وعاصمتها القدس .

وفي عام ٧٢١ م ق. م سقطت مملكة اسرائيل الشمالية على يد الآشوريين (أتوا من الأجزاء الشمالية من العراق). كما سقطت مملكة يهوذا على يد الكلدانيين في عام ٥٨٦ ق. م بعد تدمير أورشليم القدس وهدم هيكل سليمان . وبعد سيطرة الآشوريين والكلدانيين وقعت فلسطين تحت حكم الفرس ثم الإغريق إثر فتوحات الإسكندر الأكبر ، ثم سيطر عليها الرومان في أواخر القرن الأول قبل الميلاد واستولوا على كافة بلاد الشام .

وفي عام ٧٠ ق . م ثار اليهود على الرومان ، ولكن الرومان قاموا بتدمير القدس وهدم هيكل سليمان مرة أخرى ، وأصبحت القدس مستعمرة رومانية وحرم على اليهود السكن فيها .وبالتالي انتهت المملكة اليهودية تماماً وتشتت اليهود في العراق ومصر وسوريا واليمن وشمال إفريقيا وأوربا وفي شتى أنحاء المعمورة .

فتح المسلمين لفلسطين :

بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين أصبحت فلسطين تحت حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية حتى القرن السابع الميلادي حيث استولى عليها المسلمون في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر حكم المسلمين لتلك الأراضي المقدسة من عام ١٨هـ- ٦٣٩ م ، حتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وكان المسلمون متسامحين مع أصحاب الديانات الأخرى

لاسيما اليهودية والمسيحية ، وبسبب ذلك التسامح اعتنق غالبية السكان الإسلام وتزاوجوا وانصهروا مع العرب المسلمين وعادت فلسطين عربية خالصة لا بالفتح ، بل بأنصهار شعوبها الأصلية في البوتقة الإسلامية العربية .

الغزو الصليبي لفلسطين :

وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي تمكنت الحملات الصليبية من الاستيلاء على فلسطين ، وظلت كل بلاد الشام طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر مسرحاً للحروب بين المسلمين والمسيحيين (الحروب الصليبية) وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين إلى أن تمكن المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي من هزيمة الصليبيين واسترداد فلسطين لنفوذ المسلمين العرب في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧ م) . واستمرت فلسطين مسلمة عربية تتناقلها دويلات عربية مستقلة حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي (١٥١٦م) حيث استولى عليها الأتراك العثمانيون لفترة أربعة قرون (١٥١٦ -١٩١٨م) أي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، التي انتهت بهزيمة ألمانيا وحليفتها تركيا وبعد تلك الحرب وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

ارتباط اليهود الروحي بفلسطين :

من التسلسل التاريخي السابق فإن دولة اليهود انتهت في فلسطين منذ ما قبل ميلاد المسيح (عام ٧٠) ق.م ثم أصبحت خالصة للمسلمين العرب منذ عام ٥٨٣هـ- ١١٨٧م حيث استردها صلاح الدين الأيوبي القائد المسلم بعد هزيمته للمسيحيين ، وظلت فلسطين جزءاً من دويلات مسلمة مثل الدولة الأيوبية ودولة المماليك والدولة العثمانية . وظلت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٨م) حيث أصبحت تحت الانتداب البريطاني الذي منحها لليهود.

ونسبة للإضطهاد الذي لقيه اليهود من المجتمع الأوربي المسيحي، أصبحوا في ترابط وتضامن ، وصاروا أكثر عنصرية وتمسكاً وتشبثاً بأرض فلسطين المقدسة عندهم .

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحسنت أحوال اليهود في أوربا نتيجة للأفكار الجديدة التي انتشرت في أوربا آنذاك مثل الحرية والإخاء

والمساواة فأصبحوا يتمتعون بكافة الحقوق التي كان يتمتع بها الأوربيون. وبسبب ذلك تقدموا سريعاً وسيطروا على كثير من النواحي الاقتصادية والفكرية والسياسية في أوربا وقد أدى هذا إلى إثارة الحقد والكراهية تجاههم مما دفع بعض الشعوب الأوربية إلى اضطهادهم عنصرياً كما حدث في ألمانيا وروسيا وبولندا حيث تعرضوا للاضطهاد والمذابح .

أسئلة :

١. وضح علاقة المجموعات التالية بأرض فلسطين :

الكنعانيون ، العبرانيون ، الفلستينيون .

٢. اكتب مذكرة تاريخية عن الفتح الإسلامي لفلسطين .

٣. قارن بين أقوال اليهود المتشتتين في العالم الإسلامي وفي أوربا المسيحية .

نشاط : ارسم خريطة لفلسطين ثم وضح عليها :

- المدن الكنعانية .
- الممالك اليهودية .
- الفتوحات الإسلامية .

الدرس التاسع :

الحركة الصهيونية وتطورها

نتيجة لموجات الاضطهاد والتشريد التي تعرض لها اليهود ، وظهور الحركات القومية التي اجتاحت أوربا ، رأي اليهود ضرورة التمسك بقوميتهم ودينهم وقد تبلورت هذه الفكرة التي عرفت (بالحركة الصهيونية) في الدعوة إلى قيام وطن قومي ودولة لليهود في فلسطين (أرض الميعاد) تكون عاصمتها القدس لأن فيها هيكل سليمان .

وتعرف الصهيونية بأنها حركة يهودية عنصرية دينية وسياسية واسمها مأخوذ من جبل صهيون وهو أحد جبال القدس . وهدف هذه الحركة تحقيق الطموح الديني والقومي لليهود بالاستيلاء على فلسطين وجعلها مركزاً لدولتهم ، وإعادة تشييد هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى المبارك وممارسة العبادة فيه .

صورة رقم (١) مدينة القدس والمسجد الأقصى.

وقد أعلن ديفيد بن غوريون أول رئيس للحكومة الإسرائيلية (أنه لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل) (أي المسجد الأقصى) ومما يوضح أطماع إسرائيل في الأراضي الإسلامية العربية خريطة مملكة إسرائيل التي تضم :فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق عدا شماله

، وصحراء سيناء ودلتا النيل والمدينة المنورة وما حولها من مناطق بني قريظة وبني النضير وغيرها في شمالي الحجاز .

المخطط الصهيوني لاحتلال فلسطين :

تعتبر جمعية (أحباء صهيون) التي أسسها اليهود الروس في اسطنبول عام ١٨٢٢م من أقدم الجمعيات الصهيونية ، وقد نشطت هذه الجمعية كثيراً في شراء الأراضي وتدريب الشباب وتهجيرهم إليها ، وكذلك في أحياء اللغة العبرية وقد مد اليهودي الفرنسي روتشايلد هذه الجمعية بالعون المادي فأنشأت المستعمرات للمهاجرين اليهود في فلسطين حتى بلغت في عام ١٩٠٠م اثنين وعشرين مستعمرة ، وبلغ عدد اليهود المقيمين فيها ما يقارب الثلاثين ألفاً.

هذه بالإضافة إلي كتابات المفكرين اليهود التي تدعو لضرورة إحياء التراث اليهودي القومي وتحقيق فكرة إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين .

ثيودور هرتزل

صورة رقم (٢) ثيودور هرتزل

وهو يهودي نمسوي من أصل مجري وهو أول من بدأ الحركة الصهيونية كحركة سياسية ، وكان يعمل بالصحافة وفي عام ١٨٩٦م نشر كتابه الشهير (الدولة اليهودية) وقد شرح فيه فكر الدولة اليهودية وشكلها وتفاصيل الحياة فيها ، وفضل أن تكون جمهورية وفي عام ١٨٩٧م دعا هرتزل إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) بسويسرا الذي أسفر عن تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية وانتخاب هرتزل رئيساً لها

ومن قرارات المؤتمر الصهيوني :

١. العمل على خلق الشعور بالقومية اليهودية بكافة الوسائل .
٢. تهجير اليهود إلى فلسطين .
٣. السعي لدى الدول للاعتراف بالحركة الصهيونية.
٤. وجوب الاستعمار الزراعي في فلسطين .

وبعد هذا المؤتمر بدأ اليهود يعملون على إنشاء المنظمات والشركات اليهودية لتنفيذ قرارات المؤتمر وعلى رأسها الهجرة لفلسطين وشراء الأرض

هناك .

هرتزل والسلطان عبد الحميد الثاني :

واتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩م) وطلب منه أن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود تحت الحكم العثماني مقابل خمسين مليون جنيهاً ذهبياً ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض رفضاً باتاً على الرغم من الأزمة المالية الحادة التي كانت تعاني منها الإمبراطورية العثمانية آنذاك ومع ذلك لم ييأس هرتزل ، وأخذ يرسل الوسطاء للسلطان ولكن الأخير ظل في إصراره على الرفض وخاطب الوسطاء بقوله «انصحوا هرتزل بألاً يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع إني لا استطيع أن أتخلى من شبر واحد من الأرض ، وهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملاييهم . وإذا مُزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن،ولكن يجب أن يبدأ التمزيق أولاً في جثثنا ،فإني لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» .

صورة رقم (٣) السلطان عبدالحميد الثاني .

واتخذ السلطان عبد الحميد بعد ذلك كافة الوسائل لمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين ووضع قانون الجواز الأحمر لليهود لدخول فلسطين للسياحة أو الزيارة ومنع تملكهم للأراضي ، مما أدى إلى حقد اليهود عليه وعملهم على تقويض أركان إمبراطوريته والخلافة الإسلامية لاحقاً .

وعندما أطاح ضباط تركيا الأحرار بحكم السلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٨م ظن اليهود أن الفرصة أصبحت مواتية لنيل فلسطين وجعلها وطناً قومياً لليهود ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل . وبعد ذلك اتجه اليهود إلى دول أوربا الغربية، وخاصة بريطانيا لتساعدهم على تحقيق هدفهم .

حاييم وايزمان :

يهودي من أصل روسي ، هاجر إلى بريطانيا في عام ١٩٠٤م ، وكان يرى أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن تحقق أماني اليهود ، وقد عمل وايزمان أستاذاً للكيمياء بجامعة مانشستر البريطانية وأخذ يعمق صلاته بزعماء بريطانيا السياسيين ونجح في ذلك ، فقد عرف لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني آنذاك وونستن تشرشل وزير الحربية وآرثر جيمس بلفور وزير الخارجية البريطانية (صاحب الوعد المشؤوم).وقد استطاع اليهود إقناع القادة البريطانيين بمبادئ الحركة الصهيونية ومزاعمهم ، ومنها عودة اليهود إلى أرض الميعاد وإن فلسطين أرض بلا شعب يجب أن تعطى لشعب بلا وطن أي اليهود .

ونتيجة لمجهودات وايزمان في دعم مجهودات بريطانيا الحربية باكتشافه لمادة الأستون (وهي مادة ضرورية لتحضير المواد المتفجرة) في أول الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وغير ذلك من نشاطات اليهود الإعلامية الاقتصادية كان لها أكبر الأثر في تعاطف إنجلترا مع اليهود ومناصرتها للحركة الصهيونية .

تصريح بلفور (٢ نوفمبر١٩١٧م) :

وجه آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك ذلك التصريح المشؤوم إلى اللورد روتشليد المليونير الفرنسي الشهير بصفته رئيساً للمنظمة الصهيونية الإنجليزية . ومن ضمن ما جاء فيه : أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي بفلسطين وستبذل جهدها لتسهيل وتحقيق هذه الغاية على أن يكون مفهوماً بوضوح أنه لا يجوز عمل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين ولا الحقوق ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . وقد وافق ولسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك التصريح ، كما أيدته كل من فرنسا وايطاليا .

وهناك العديد من المآخذ على هذا التصريح ، منها :

١ . أن فلسطين حين صدور هذا الوعد كانت ولاية عربية تابعة للدولة العثمانية

ولم تكن خاضعة لبريطانيا ، كما أن نسبة اليهود فيها لا تتجاوز ٧٪ من سكانها . ولهذا فإن وعد بلفور لليهود (وعد من لا يملك لمن لا يستحق) وهذا لا يتفق مع مبادئ القانون الدولي .

٢. أن هذا الوعد يتعارض مع الوعود التي بذلها الحلفاء للعرب وموافقتهم على إنشاء دولة عربية مستقلة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، تتضمن فلسطين (مراسلات الحسين - ماكهون).

٣. أن العرب لم يكونوا على علم بوعد بلفور لليهود .

٤. أن عبارة (وطن قومي) التي وردت في التصريح لم تكن متعارفة آنذاك ولم تكون واضحة المعنى ، ويُرجح أن الغرض من استعمالها بدل كلمة (دولة) هو لتغطية وتمويه نوايا الحركة الصهيونية الرامية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.

٥. ومن أكبر المآخذ على هذا الوعد بأنه لم يرد فيه أيّ ذكر لعرب فلسطين رغم أنهم كانوا يشكلون ٩٣٪ من سكان ، فلسطين آنذاك و أشير إليهم فقط (بالطوائف غير اليهودية) .

أسئلة :

(أ) أجب باختصار عن الأسئلة التالية :

١. عرف الصهيونية .

٢. ما الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟

٣. من قائل هذه العبارة (لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل)؟

٤. وضح الدور الذي قامت به جمعية (أحباء صهيون) التي أسست في اسطنبول عام ١٨٢٢م .

(ب) اكتب مذكرات تاريخية حول:

١. ثيودر هرتزل .

٢. حاييم وايزمان .

٣. موقف السلطان عبد الحميد من الحركة الصهيونية .

٤. تصريح بلفور ١٩١٧م والمآخذ عليه .

الدرس العاشر :

الانتداب البريطاني على فلسطين

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبموجب مؤتمر سان ريمو الذي عقد في أبريل ١٩٢٠م تم تقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا ، ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ومن ضمن ما جاء في صك الانتداب ومن أجل تنفيذ مخطط اليهود ما يلي :

- الاعتراف بالصلة التاريخية التي تربط اليهود بفلسطين .
- على حكومة فلسطين تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين .
- تسهيل حصول اليهود المهاجرين على الجنسية الفلسطينية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن صك حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين هو نفس المشروع الذي تقدمت به المنظمة الصهيونية لمؤتمر سان ريمو بشأن فلسطين.

موقف عرب فلسطين من الانتداب :

احتج عرب فلسطين على الانتداب البريطاني واستنكروا تصريح بلفور، لأن ذلك يتعارض مع الوعود التي قطعتها كل من بريطانيا وفرنسا مع العرب بمساعدتهم على نيل استقلالهم . كما أن ذلك يتعارض أيضاً مع مبدأ عصبة الأمم الذي ينص على أن تكون لرغبة السكان الاعتبار الأول في اختيار الدولة المنتدبة . وبما أن عصبة الأمم لم تهتم بالتعرف على رغبة العرب الذين يمثلون ٩٣٪ من السكان، فقد اعتبر العرب أنفسهم غير ملزمين بقبول الانتداب وعملوا على مقاومته بالاضطرابات والمظاهرات والثورات المسلحة.

السياسة البريطانية في فلسطين :

جعلت بريطانيا هربرت صمويل – وهو إنجليزي يهودي صهيوني في عام ١٩٢٠م على رأس الإدارة بفلسطين ، وقد جمع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، وذلك لتمكين اليهود وتحقيق مطامعهم في فلسطين.

وهناك ثلاثة جوانب مهمة في سياسة الانتداب لتنفيذ مخططات ومطامع اليهود ، طوال فترة الانتداب (١٩٢٠م – ١٩٤٧م) ، وهي :

هجرة اليهود إلى فلسطين.
بيع الأراضي لليهود.
تطوير أنظمة الحكم الذاتي.

هجرة اليهود إلى فلسطين وشراء الأراضي :

عملت بريطانيا على تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين وتسهيل شرائهم للأراضي الزراعية واستيطانهم فيها . وسُمح للمنظمة الصهيونية بتهجير ١٦٥٠٠ يهودي سنوياً إلى فلسطين . ولكن لضعف اقتصاد فلسطين من ناحية ومظاهرات عرب فلسطين من ناحية أخرى اضطر هربرت صمويل إلى إيقاف الهجرة وهذا أدى إلى احتجاج اليهود ، وهاجموا صمويل هجوماً عنيفاً.

وبما أن هجرة اليهود إلى فلسطين من مهام الانتداب ، فقد استمرت هجرات اليهود ، خاصة في عهد النازية بألمانيا التي نكلت باليهود هناك . وقد قفز عدد المهاجرين إلى فلسطين من ٩٥٣٣ في عام ١٩٣٢م إلى ٦١٨٥٤ في عام ١٩٣٥م. وفي عام ١٩٣٦م أصبحت نسبة السكان اليهود ٣٠٪ تقريباً . والملاحظ أن المهاجرين الجدد كان معظمهم من الشباب المتحمسين للحركة الصهيونية وكان معظمهم من الطبقة المتعلمة ذات التخصصات ، وجاءوا بعزيمة وإصرار لبناء دولة اليهود في فلسطين.

وتبع الهجرة إلى فلسطين تدفق مبالغ طائلة من رؤوس الأموال اليهودية ، وعملت المنظمة الصهيونية واهتمت بشراء الأراضي الزراعية وقيام المشاريع الزراعية والصناعية التي ساعدت في استيعاب أعداد أكثر من المهاجرين.

وعلى الرغم من مجهودات قيادات عرب فلسطين ، وعلى رأسهم الحاج أمين الحسيني للحد من بيع الأراضي لليهود ، إلا أن شراء اليهود للأراضي ظل مستمراً ، خاصة وسط الفقراء من الفلسطينيين وبأسعار مغرية .

ومن نتائج بيع الأراضي لليهود واستيطانهم فيها ، تم طرد العرب من تلك الأراضي وانتشرت العطالة بينهم ، وأزيلت معالم القرى العربية وحلت محلها مستعمرات يهودية . وبمرور الزمن تفاقمت مشكلة المزارعين الفلسطينيين لفقدانهم لأراضيهم ، ولعدم سماح اليهود لهم بالعمل في تلك

الأراضي كعمال.

تطوير أنظمة الحكم الذاتي :

في عام ١٩٢٢م أوضحت وزارة المستعمرات البريطانية أن من ضمن سياستها في فلسطين : إقامة مجلس تشريعي للبلاد يشارك فيه العرب واليهود. ولكن العرب عارضوه ورفضوه ، كما رفضوا المجلس الاستشاري من بعده ، كما رفضوا إنشاء وكالة عربية . ولجأت الحكومة البريطانية إلى تكوين مجلس استشاري يتكون جميع أعضائه من موظفين بريطانيين لإدارة شؤون فلسطين ، وتم تكوينه في ديسمبر ١٩٢٣م . وظل يدير البلاد حتى نهاية الانتداب في مايو ١٩٤٧م . ومن اجل تمكين اليهود في فلسطين استعانت الإدارة البريطانية بشخصيات يهودية ، وبموظفين بريطانيين عرفوا بتعاطفهم الشديد مع اليهود وبعدائهم للعرب. واستفاد اليهود من تلك الأوضاع فأنشأوا المدارس والجمعيات الدينية والوطنية والمالية مما ساعدهم على دعم مشروعهم الخاص بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم كما وعدهم بلفور . وكانت الوكالة اليهودية في فلسطين التي تفرعت منها المجالس والجمعيات اليهودية بمثابة حكومة داخل حكومة الانتداب بفلسطين.

وعملت الوكالة اليهودية على إحياء الثقافة والتراث اليهودي وتدريس اللغة العبرية ، وأجبرت حكومة فلسطين على الاعتراف بها كلغة رسمية في فلسطين إلى جانب اللغة العربية والإنجليزية ، وتمكنت الوكالة من إنشاء جيل يهودي مشبع بمبادئ الحركة الصهيونية ويعمل بإصرار من اجل قيام الدولة اليهودية في فلسطين.

أما عرب فلسطين فقد أهملوا من قبل حكومة الانتداب وساءت أحوالهم التعليمية والاقتصادية . وعملت حكومة الانتداب على حماية الصناعات اليهودية في فلسطين مما مكنهم في توسيع مشاريعهم الزراعية والصناعية . وأصبح لليهود كذلك امتياز توليد الكهرباء من الأردن ، وامتياز البحر الميت لاستخراج أملاحه ومعادنه. وإزاء تطور وتوسع مشاريع اليهود الاقتصادية وغيرها ونهوض مجتمعهم بصورة مذهلة تخوف عرب فلسطين من أن تصبح كل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

ونسبة لانحياز السياسة البريطانية طوال فترة الانتداب لليهود ولتزايد أعداد اليهود بالهجرة إلى فلسطين. كان عرب فلسطين يقومون بإضرابات ولكن دون جدوى . وطوال فترة الانتداب كان عرب فلسطين يسعون إلى تحقيق الأهداف التالية :

١. إلغاء وعد بلفور.

٢. رفض الانتداب البريطاني على فلسطين.

٣. استقلال فلسطين.

ظلت الإضرابات تقوم وتتجدد في فلسطين من وقت لآخر لاسيما في أعوام ١٩٢١م ، ١٩٢٣م، ١٩٢٩م ، ١٩٣٣م وبلغت قمتها في عام ١٩٣٦م ، ولم تتوقف إلا في عام ١٩٣٩م عند نشوب الحرب العالمية الثانية.

أسئلة :

(أ) اكتب كلمة (صواب) أمام العبارة الصحيحة وكلمة (خطأ) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

١. اعترف صك الانتداب البريطاني على فلسطين بصلة اليهود التاريخية بها ( )

٢. وضعت بريطانيا اليهودي صمويل هربرت على رأس إدارتها في فلسطين. ( )

٣.قبل العرب بهجرة اليهود إلى فلسطين ومنحوهم جزءاً من أراضيهم. ( )

٤. استعانت الإدارة البريطانية بموظفين يهود من أجل تمكين اليهود في فلسطين. ( )

٥. اهتمت حكومة الانتداب بتطوير الأوضاع التعليمية والاقتصادية لعرب فلسطين . ( )

(ب) ما الأهداف التي سعى عرب فلسطين إلى تحقيقها خلال فترة الانتداب؟

الدرس (11):

ثورة عرب فلسطين (١٩٣٦م – ١٩٣٩م)

كانت أسباب هذه الثورة ، نفس الأسباب التي أدت إلى انفجار حركات المقاومة الفلسطينية منذ عام ١٩١٩م ، وتتلخص تلك الأسباب في التالي :

- سخط عرب فلسطين على الانتداب البريطاني وعدم ثقتهم في السياسة البريطانية في فلسطين لانحيازها لليهود.
- كراهية عرب فلسطين لليهود ومعارضتهم القوية لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين.
- رغبة عرب فلسطين في إنهاء الانتداب البريطاني وتحقيق استقلالهم.

جماعة القسام :

ظهرت بوادر ثورة ١٩٣٦م منذ أواخر ١٩٣٥م عندما ظهر الشيخ عز الدين القسام ، الذي عرف بتدينه وورعه وعدائه الشديد للمستعمرين ، وبدعوته للجهاد المقدس ضد الإنجليز واليهود. وقام القسام بتشكيل جماعة سرية مسلحة لشن حرب العصابات ، وتوجه بها إلى جبال جنين ، وبدأت أعمالها بقتل جاويش بريطاني . وتم تطويق أولئك المجاهدين ، وقاتلوا إلى أن استشهد قائدهم واثنان من رفاقه في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م – واحتفل عرب فلسطين احتفالاً عظيماً هز المشاعر الوطنية ودفع المشيعين للاشتباك مع القوات البريطانية . كما قاموا بمظاهرات صاخبة تندد بالانتداب البريطاني والتغلغل الصهيوني في فلسطين.

وكان استشهاد القسام بمثابة الشرارة الأولى لثورة ١٩٣٦م ، وبعده استمرت الثورة بقيادة فرحان السعدي على طريق نابلس – طولكرم وقتلت ثلاثة من اليهود وجرحت سبعة آخرين . وقام اليهود بالثأر في مساء نفس اليوم وقتلوا اثنين من العرب وتظاهروا في تل أبيب وكثرت الاعتداءات والمظاهرات من الفريقين في معظم فلسطين ، وأصبح كل فريق في حالة تأهب. وعلى اثر ذلك تألفت في نابلس أول لجنة قومية ودعت إلى إضراب عام ابتداء من ٢٠ابريل سنة ١٩٣٦م إلى أن تتحقق مطالب الفلسطينيين التي تتلخص فيما يلي :

١. وقف الهجرة اليهودية فوراً.
٢. منع انتقال أراضي العرب إلى اليهود نهائياً.
٣. إنشاء حكومة ديمقراطية.

وتألفت اللجان القومية المماثلة في جميع المدن والقرى بفلسطين للإشراف على سير الإضراب الذي عمّ جميع المرافق عدا الدوائر الحكومية.

اللجنة العربية العليا :

تكونت بالقدس مجموعة من الأحزاب الفلسطينية ، وعلى رأسها الحزب العربي الفلسطيني بزعامة حاج أمين الحسيني ، وحزب الدفاع الوطني بزعامة راغب النشاشيبي ، وحزب الاستقلال بزعامة عوني عبد الهادي –واتفقت تلك الأحزاب بعد تشتت وفرقة وكونت اللجنة العربية العليا برئاسة حاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى. ودعت اللجنة إلى استمرار الإضراب المفتوح حتى تستجيب بريطانيا لكافة المطالب الفلسطينية – استمر الإضراب من ابريل حتى أكتوبر ١٩٣٦م – كما سيرت العديد من المظاهرات التي كانت كثيراً ما تنتهي بالاشتباكات الدامية مع اليهود والشرطة البريطانية.

حرب العصابات :

شدد رجال المقاومة من عملياتهم العسكرية ، وهاجموا دوريات الشرطة البريطانية ونقاطهم. وتوافد المتطوعون العرب من الأقطار العربية المجاورة . وكان فوزي الغاوغجي ، وهو من العراق ،من ابرز المتطوعين ، وكان ضابطاً في الجيش التركي ، ومحمود الأشتر من سوريا ، وقد دخل فلسطين ومعه أربعون من المقاتلين . وبدخول هؤلاء المتطوعين ولخبراتهم العسكرية تطورت حرب العصابات في فلسطين ونجحت في تخريب الكثير من المنشآت العسكرية والمدنية حتى اضطر الجيش البريطاني لاستخدام الدبابات والطائرات ضد أولئك المقاتلين الأشاوس.

وقد أدى نجاح الإضراب وحرب العصابات إلى مزيد من التأييد في الداخل والخارج لثورة عرب فلسطين.

وبسبب تلك الثورة ونجاحها ، أعلنت حكومة الانتداب قانون الطوارئ

وحاولت تهدئة عرب فلسطين من خلال المنشورات ، ولكن لم تنجح تلك السياسة فعملت حكومة الانتداب على تنفيذ قانون الطوارئ بكل عنف وقسوة، وكان ذلك القانون يبيح للسلطات سجن كل من يحمل السلاح أو يتعرض لأي مرفق من مرافق الدولة . وفرض حكم عسكري صارم يجيز للمحاكم العسكرية إعدام كل من يحمل طلقة رصاص واحدة ، وبالتالي تم إعدام مئات من العرب ، كما لجأت القوات البريطانية إلى أحكام تعسفية أخرى مثل : حظر التجول لفترات طويلة وفرض العقوبات والغرامات الجماعية على المدن والقرى الفلسطينية والنفي وهدم ونسف المنازل التي يشتبه فيها.

ولما رأى الإنجليز تصميم عرب فلسطين وشجاعتهم واستماتتهم في القتال وافقوا على وساطة ملوك العرب آنذاك لإنهاء الثورة ، وبعد اتصالات بين ملوك العرب واللجنة العربية العليا ، أصدر ملك العراق (الملك غازي) ، والملك عبد العزيز بن سعود ، وملك اليمن (الإمام يحي) نداء إلى عرب فلسطين لحقن الدماء وأنهم أي أولئك الملوك – سيواصلون السعي في سبيل مساعدة عرب فلسطين معتمدين على (حسن نوايا صديقتهم الحكومة البريطانية)، كما جاء في ندائهم ، واستجابت اللجنة العربية العليا لذلك النداء وأنهت الإضراب وتوقفت الهجمات ضد الإنجليز واليهود .

ونتيجة لعدم الاستقرار في فلسطين بسبب ثورة عرب فلسطين ، كونت حكومة بريطانيا لجنة لاستقصاء الحقائق المتعلقة بالاضطرابات في فلسطين (لجنة بيل) . وأصدرت لجنة بيل تقريراً شاملاً ، ورأت أن حل المشكلة يكمن في إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيمها بين العرب واليهود . ونص اقتراح اللجنة على تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق :

١. منطقة يهودية تمتد على الساحل والأجزاء الداخلية المجاورة وتقام عليها الدولة اليهودية .

٢. منطقة عربية تشمل معظم أراضي فلسطين المتبقية وهي : غزة وبئر السبع والخليل ونابلس وشرقي طولكرم وجنين وبيسان ، وتضم كل هذه المناطق إلى شرق الأردن وتقام عليها دولة عربية .

٣. منطقة انتداب بريطاني دائم تشمل الأماكن المقدسة ، كالقدس وبيت لحم ،

وممراً يصلهما بالبحر المتوسط قرب يافا .
وقد أوصت اللجنة بنقل العرب المقيمين في المنطقة التي خصصت لليهود إلى المنطقة العربية ، وكان عددهم ٣٢٥ ألفاً .

ردود الفعل لمشروع التقسيم :

أجمع عرب فلسطين على رفض مشروع التقسيم رفضاً قاطعاً ،وصمموا على مقاومته ، وأيدهم قادة العرب آنذاك باستثناء الأمير عبد الله حاكم شرق الأردن الذي كان يطمع في أن يكون حاكماً للدولة العربية المقترحة.

عقد العرب مؤتمراً في سوريا في سبتمبر ١٩٣٧م لمعارضة تقسيم فلسطين. ومن قرارات ذلك المؤتمر :

١. رفض قرار التقسيم ومقاومته .
٢. إلغاء الانتداب .
٣. إلغاء وعد بلفور.
٤. وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
٥. منع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .

أما اليهود المتطرفون فقد رفضوا المشروع باعتبار أنه لا يحقق تطلعاتهم للاستيلاء على كل فلسطين بما فيها شرق الأردن . ومن قادة اليهود الذين قبلوا المشروع وايزمن وآخرون كخطوة أولى ومرحلية للاستيلاء على كل فلسطين في المستقبل ونسبة لمكانة وايزمن لدى الحكومة البريطانية وموافقته على مشروع التقسيم ، واصلت الحكومة البريطانية مجهوداتها في تنفيذه .

تجدد الثورة :

تجددت مقاومة عرب فلسطين المسلحة للانتداب البريطاني والنفوذ الصهيوني في فلسطين بصورة أوسع مما كانت عليه .

قامت السلطات البريطانية باعتقال أعضاء الهيأة العربية العليا ونفيهم إلى جزيرة سيشل بالمحيط الهندي باستثناء حاج أمين الحسيني الذي تمكن من الفرار إلى لبنان ، ومن الخارج كان يمد حركة المقاومة بالسلاح والعتاد والمتطوعين .

أدت تلك الإجراءات إلى تفاقم حرب العصابات ، وأبدى عرب فلسطين

من ضروب الشجاعة والإقدام ما أذهل الأعداء . وكان من أبرز قادة حرب العصابات : عبد الرحيم حاج محمد وعارف عبد الرازق . تمكن عرب فلسطين من تحقيق بعض الانتصارات ولكن القوات البريطانية التي تكاثرت عليهم أجلتهم عن مناطقهم التي احتلوها مثل : القدس والخليل وبئر السبع .

تحول مركز المقاومة الفلسطينية بعد ذلك إلى دمشق التي كانت تصل منها المؤن والإمدادات والأوامر والتوجيهات من حاج أمين الحسيني وغيره . ونتيجة لتلك الجهود تجاوبت بقية الشعوب العربية مع عرب فلسطين وساندتهم بالمظاهرات والاحتجاجات .

وجاءت ضربة قوية للمقاومة الفلسطينية عندما أجبرت القوات البريطانية العرب على عدم التعاون مع الثوار، وتمكنت من قتل القائد الجسور عبد الرحيم حاج محمد ، والقبض على عارف عبد الرازق .

وفي تلك الظروف بدأت نذر الحرب العالمية الثانية ، والموقف في فلسطين يزداد سوءاً وحرجاً بالنسبة لبريطانيا بسبب مقاومة عرب فلسطين كما أن اللجنة الفنية التي شكلتها بريطانيا لبحث مشروع التقسيم توصلت إلى أن المشروع غير عملي وصعب التنفيذ وأوصت بالتخلي عنه نهائياً . وبسبب تلك الأحوال رأت الحكومة البريطانية ضرورة إعادة النظر في سياستها تجاه فلسطين ، ولذلك كعادتها لجأت إلى سياسة التهدئة ، فأعلنت في الكتاب الأبيض الذي أصدرته في عام ١٩٣٨م ، تخليها عن مشروع التقسيم ، ودعت إلى عقد مؤتمر في لندن يشترك فيه زعماء العرب واليهود . وقد استثنت كل من سوريا ولبنان لوقوعهما تحت الانتداب الفرنسي .

عقد المؤتمر في لندن (فبراير ١٩٣٩م) وانتهى بالفشل ، وذلك بسبب البون الشاسع بين مطالب العرب وأطماع اليهود .

من خلال السرد السابق ، ما مطالب العرب ، وما أطماع اليهود ؟

الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م :

ومواصلة لخداع بريطانيا للعرب فقد أعلنت أنها ستقدم حلاً لمشكلة فلسطين بعد فشل مؤتمر لندن ، فأصدرت الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩م ، وأكدت في صدره أن تصريح بلفور بإقامة وطن قومي لليهود ، لا يعني قط إنشاء دولة

يهودية في فلسطين .

• هل واقع الحال يصدق هذا الزعم ؟

ولمزيد من التضليل والخداع ادعت بريطانيا في ذلك الكتاب إن فلسطين ليست جزءاً من الدولة العربية المستقلة التي تناولتها مراسلات : حسين – مكماهون.

وتضمن الكتاب الأبيض المقترحات التالية :

١. إنشاء دولة فلسطينية مستقلة لا عربية ولا يهودية تتمتع بحكم ذاتي لفترة انتقال مدتها عشر سنوات ،على أن ترتبط بتحالف مع بريطانيا .

٢. السماح بهجرة ٧٥ ألف مهاجر يهودي لفلسطين خلال خمس سنوات ' على ألا يسمح بعدها بإدخال أي يهودي لفلسطين إلا بموافقة العرب وقمع الهجرة غير المشروعة تماماً .

٣. تقسم الأرض في فلسطين إلى ثلاث مناطق .

أ. منطقة يسمح فيها ببيع الأراضي العربية لليهود بدون قيد أو شرط .

ب. منطقة يتوقف فيها البيع على تصريح خاص من الحكومة .

ج. منطقة يمنع فيها البيع بتاتاً ، حفاظاً على ما بقي في يد العرب من أراضي.

في البداية قابل العرب الكتاب الأبيض بتحفظ وحذر . وبمرور الزمن أخذ العرب يطالبون الحكومة البريطانية بتنفيذه ، ولكن بدون جدوى .

أما اليهود فقد رفضوا مقترحات الكتاب الأبيض رفضاً باتاً ،وهاجموها هجوماً عنيفاً بحجة أنها منافية لتصريح بلفور ، وأنها ستقتل آمال وتطلعات اليهود في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين . وكان موقف اليهود بفلسطين أكثر تصلباً إذ أنهم أعلنوا الإضراب العام في ١٨ مايو ١٩٣٩م وقاموا بمظاهرات صاخبة وعنيفة .

ومن أجل الاستمرار في خداع العرب ، أعلنت الحكومة البريطانية تمسكها بما ورد في الكتاب الأبيض ، ولكنها سرعان ما تراجعت عن ذلك بسبب الضغوط الصهيونية التي تزايدت عليها في أثناء الحرب العالمية الثانية.

وعلى الرغم من ذلك هادن العرب الحكومة البريطانية ، ولم يقوموا

بإضرابات خلال السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية أملاً أن تقدر بريطانيا موقفهم وتقوم بتنفيذ ما جاء في الكتاب الأبيض ، ولكن هيهات .

أما اليهود فقد واصلوا معارضتهم للكتاب الأبيض ، وكذلك العرب، وتعرض رجال المقاومة العربية للمطاردة ، وتعرضت قرى العرب إلى الحرق كما تعرضت المنازل للنسف ، وتعرض المواطنون العرب للتعذيب والقتل من قبل اليهود وأعوانهم الإنجليز ، وقد قام اللورد ونجت البريطاني – الذي عرف بتعاطفه الشديد مع الحركة الصهيونية – بتنظيم اليهود وتدريبهم تدريباً عسكرياً عنيفاً مما مكنهم من القيام بأعمال عسكرية إرهابية ضد الفلسطينيين.

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الأقوى وكفتها هي الأرجح في الحرب ، نقل اليهود نشاطهم الخارجي إليها ونجحوا في كسب عطفها ودعمها ، مما جعل عدداً كبيراً من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب بمطالبة الرئيس الأمريكي آنذاك – روزفلت – بالعمل على إلغاء الكتاب الأبيض وتبني مطالب الصهيونية .

ومن الخطوات العملية الأمريكية في تأييد مطالب الصهيونية عقد مؤتمر في فندق بلتمور في مايو ١٩٤٤م بنيويورك ، فيه تمت المطالبة بالتالي:

١. رفض الكتاب الأبيض الصادر في عام ١٩٣٩م .

٢. إنشاء جيش يهودي خاص تعترف به الدول المعنية .

٣. إطلاق الهجرة اليهودية .

٤. تحويل فلسطين إلى دولة يهودية .

وتسابق المرشحون للرئاسة الأمريكية لعام ١٩٤٤م في تأييد ومناصرة اليهود وتبني مطالبهم طمعاً في كسب أصواتهم الانتخابية ، وفي دعمهم المالي والسياسي والإعلامي في الحملة الانتخابية .

ولما تولى ترومان الرئاسة في أمريكا ، أصبح أشد من سلفه روزفلت في تأييد اليهود وتبني مطالبهم ، خاصة فتح أبواب هجرة اليهود إلى فلسطين دون قيد أو شرط حتى يصبحوا أكثرية في فلسطين ويتسنى لهم تحويلها إلى دولة يهودية .

ولما اشتد الضغط الصهيوني على الحكومة البريطانية ، رأت أن تشرك الولايات المتحدة في الأمر ، ولذا قررت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة تحقيق مشتركة إنجليزية أمريكية للبحث في مشكلة اليهود وتدبير حل للمشكلة الفلسطينية .

بدأت اللجنة أعمالها في ديسمبر ١٩٤٥م ورفعت تقريرها في أبريل ١٩٤٦م وأوصت بما يلي :

١. إبقاء الانتداب البريطاني على فلسطين إلى حين وضعها تحت وصاية الأمم المتحدة .

٢. فتح باب الهجرة لمئة ألف يهودي فوراً ، وألا تتوقف الهجرة اليهودية بعد ذلك .

٣. دخول فلسطين حق مشروع لكل يهودي .

٤. إلغاء جميع القيود والقوانين التي وردت في الكتاب الأبيض للحد من بيع الأراضي لليهود .

- ومن ضمن ردود الفعل - عقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعاً في سوريا (يونيو ١٩٤٦م) ومن أهم قرارات ذلك الاجتماع :

١. اعتبار تنفيذ توصيات لجنة التحقيق عملاً غير ودي موجهاً للحكومات العربية ، ويقصد منه القضاء على كيان الشعب العربي في فلسطين .

٢. مفاوضة بريطانيا لحل مشكلة عرب فلسطين ، وفي حالة فشل المفاوضات تعرض القضية على مجلس الأمن وهيأة الأمم المتحدة .

٣. رفض أي شكل من أشكال التقسيم .

٤. إنشاء لجنة دفاع ومكاتب مقاطعة في كل دولة عربية .

مؤتمر لندن : سبتمبر ١٩٤٦م :

واستجابة لطلب الدول العربية وافقت الحكومة البريطانية على عقد مؤتمر في لندن لمناقشة القضية الفلسطينية ، وقد حضره وزراء الخارجية العرب ، وعرضت الحكومة البريطانية في ذلك المؤتمر مشروع النظام الاتحادي الذي ينصب على تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية وهي:

١. المنطقة اليهودية .

٢. القدس وما حولها .
٣. النقب .
٤. المنطقة العربية .

وتمنح استقلال ذاتي للمنطقتين : العربية واليهودية ، على أن تكون هناك حكومة مركزية للمنطقتين الأخريين تكون لها السلطة في الشأن العام . كالدفاع والعلاقات الخارجية والجمارك و الهجرة .

وقد رفضت الوفود العربية التقسيم من حيث المبدأ ، ورأت فيه نقضاً صريحاً لاستقلال فلسطين الذي نص عليه الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م . كما عارض اليهود أيضاً مشروع التقسيم لأنه لا يحقق أطماعهم .

وتمادى اليهود في أعمال العنف والتخريب وطالبوا بتنفيذ توصيات اللجنة الإنجليزية الأمريكية فوراً ، وقاموا باعتقالات سياسية كثيرة .

قضية فلسطين أمام الأمم المتحدة ١٩٤٧م :

ولما بدا للحكومة البريطانية فشلها في الوصول إلى حل للمشكلة قدمتها إلى الأمم المتحدة ، وشكلت الأمم المتحدة لجنة من ممثلي إحدى عشرة دولة للتحقيق في المشكلة ، وبعد زيارات ودراسات ، أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام :

١. دولة عربية .
٢. دولة يهودية .
٣. منطقة دولية تشمل القدس والأماكن الدينية المقدسة وتوضع الدولتان تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة عامين ، ثم تمنحان استقلالهما بعد ذلك.

عارض ممثلو العرب مشروع التقسيم معارضة عنيفة ، ولكن فاز اقتراح التقسيم ، وكان ذلك في ٢٩نوفمبر ١٩٤٧م وأصبح قراراً . وقد أيدت أمريكا مشروع التقسيم بقوة ، أما مندوب بريطانيا فقد امتنع عن التصويت ، وذلك لذر الرماد على العيون .

أسئلة :

١. أكمل ما يلي بوضع الكلمة أو العبارة المناسبة في المكان الخالي :

أ. رأت ..... أن حل مشكلة فلسطين يكمن في إنهاء الانتداب البريطاني وتقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

ب. عقد العرب مؤتمراً في ..... في سبتمبر ١٩٣٧م لمعارضة تقسيم فلسطين .

ج. اعتقلت بريطانيا أعضاء اللجنة العربية العليا ونفتهم عدا ..... الذي نجح في الفرار إلى لبنان .

د. أعلنت بريطانيا في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٨م تخليها عن .....

هـ. لما تولى ..... الرئاسة الأمريكية عام ١٩٤٤م كان أشد من سلفه روزفلت في تأييد اليهود وتبني مطالبهم .

و. عقدت الحكومة البريطانية مؤتمر .....في سبتمبر ١٩٤٦م بحضور وزراء الخارجية العرب .

٢. أجب عن الآتي باختصار :

أ. ما المناطق الإدارية التي حددها مؤتمر لندن ١٩٤٦م في مشروعه لتقسيم فلسطين .

ب. وضح التوصية التي قررتها لجنة فلسطين التي شكلتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م .

٣. اكتب مقالاً تاريخياً وافياً حول :

- ثورة عرب فلسطين عام ١٩٣٦م .

الدرس الثاني عشر

قيام دولة إسرائيل وحرب ١٩٤٨م

وبعد ذلك القرار الجائر (قرار التقسيم) الذي أصدرته الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م أعلن وزير خارجية بريطانيا أن حكومته لن تنفذ التقسيم بالقوة ، أمعاناً في تضليل وخداع العرب ، كما أعلن أن حكومته ستسحب قواتها من فلسطين وتنهي انتدابها على فلسطين في يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م .

تدهور الموقف في فلسطين :

ونسبة لوضوح المخطط والمؤامرات لدى اليهود ، فقد واصلت المنظمات الصهيونية الإرهابية جمعها للسلاح وتدريبها لكل القادة من اليهود على حمل السلاح استعداداً للحرب على عرب فلسطين وطردهم من أراضيهم.

وفي الجانب الآخر كوّن العرب جيش التحرير العربي لمواجهة الخطر الصهيوني ، وأخذ المتطوعون يفدون إلى فلسطين من السودان ومن غيره من الدول والمناطق العربية آنذاك ، وحققت القوات العربية والكتائب الفدائية انتصارات في البداية واستولت على بعض المناطق المهمة في فلسطين .

أما اليهود فقد نظموا صفوفهم ومهدت لهم بريطانيا الاستيلاء على الأماكن الإستراتيجية بعد إخلائها (أي بعد نهاية الانتداب) وتركها لهم بمعداتها وأسلحتها ، أما أميركا فجمعت لليهود الأموال الطائلة وسخرت لهم أجهزة الإعلام للدعاية لهم ، وتطوع عدد من الأمريكيين في صفوف القوات اليهودية في فلسطين ونقلت لهم كميات هائلة من المعدات والأسلحة ، من بينها أربعة وخمسين دبابة تحت ستار جرارات زراعية ، بذلك الدعم الكبير تمكن اليهود من شن هجوم كاسح على المناطق العربية واستولوا على جزء كبير منها وأصبح موقف العرب ضعيفاً ، وأصبح اليهود على وشك إعلان دولتهم .

قيام دولة إسرائيل :

سارت خطوات تنفيذ المؤامرة حسب ما خطط لها من قبل البريطانيين والأمريكان ، وما أن أعلنت الحكومة البريطانية إنهاء انتدابها على فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨م وسحبت قواتها من فلسطين ، حتى أعلن ديفيد بن غوريون رئيس

الوكالة اليهودية قيام دولة إسرائيل التي أعد لحمايتها ولإدارتها . ولم تمض على إعلان قيام دولة إسرائيل بضع دقائق حتى أعلن ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية – اعترافه بها وكان الاتحاد السوفيتي ثاني دولة تعترف بقيام إسرائيل ، مما يؤكد كبر حجم المؤامرات على حقوق عرب فلسطين منذ ذلك التاريخ. ومن بعد ذلك ومن أجل حماية دولة العدو عملت أمريكا وبريطانيا وغيرهما على مد إسرائيل بالمساعدات المالية والعسكرية اللازمة .

حرب فلسطين ١٩٤٨م :

بقيام دولة إسرائيل أصبح عرب فلسطين تحت رحمة البطش الصهيوني وعند ذلك لم تجد الدول العربية بداً من التدخل لإنقاذ عرب فلسطين ومساعدتهم لإقامة حكومة لهم ، رغم ضعف العرب آنذاك لوقوع معظم الشعوب العربية تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي . وعلى الرغم من ضعف العرب فقد تمكنت الجيوش العربية التي تجمعت من تحقيق انتصارات واضحة في بداية الحرب ، فقد تقدمت القوات المصرية حتى أشرفت على الحدود الجنوبية للقدس ، كما تقدم الجيش العراقي واحتل طولكرم ، كما حارب الجيش السورى ببسالة في شمال فلسطين ، أما الجيش الأردني الذي كان بقيادة بريطانيا فقد اكتفى باحتلال غربي الأردن ، واستبسل في الدفاع عن القدس القديمة ، وقام جيش الجهاد الفلسطيني بزعامة عبد القادر الحسيني بتنفيذ عمليات جريئة ضد العدو الصهيوني وسيطر على عدد كبير من المراكز والمستعمرات اليهودية . وقد لعب الفدائيون العرب من فلسطين والعراق وسوريا والسودان ومصر دوراً مهماً.

توقيع الهدنة :

نسبة لما واجهه اليهود في تلك المعارك ، ضاق بهم الحال فاستنجدوا بأمريكا وبريطانيا ، وسرعان ما تقدم مندوب الولايات المتحدة في مجلس الأمن باقتراح عاجل لوقف القتال في فلسطين . وفي يونيو ١٩٤٨م قرر مجلس الأمن وقف القتال لمدة شهر ، وحرمان الفريقين من جلب الأسلحة والمحاربين في خلال هذه الفترة . أما المهاجرون اليهود فسمح لهم بدخول فلسطين على ألا يتدربوا على القتال خلال الهدنة . وعهدت الأمم المتحدة إلى الكونت فولك برنادوت

الإشراف على تنفيذ شروط الهدنة ، ويعاونه عدد من المراقبين الدوليين .

ومما لا شك فيه أبداً أن تلك الهدنة كانت حلقة من حلقات المؤامرة وتواطؤ أمريكا وبريطانيا مع اليهود ، وقد أدت إلى قلب الأوضاع رأساً على عقب ووجد اليهود الفرصة لتنظيم قواتهم والحصول على كميات من الأسلحة.

تجدد القتال في ٨ يوليو ١٩٤٨م وظهر بوضوح ترجيح كفة اليهود وذلك لاستخدامهم سلاح الطيران والمدفعية الثقيلة والمدرعات . واستطاع اليهود خلال فترة الحرب التي استمرت لعشرة أيام فقط الاستيلاء على ثلاثة أضعاف ما أخذوه من قبل من أرض فلسطين .

وقام جماعة من اليهود المتطرفين باغتيال الوسيط الدولي برنادوت في القدس بتهمة انحيازه للعرب ، لأنه اقترح تقسيم النقب بين العرب واليهود وإعطاء العرب ميناء العقبة . ونتيجة لذلك الحادث تدخل مجلس الأمن مرة أخرى وأوقف القتال وفرض الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨م .

تجدد القتال :

لم يلتزم اليهود بقرارات مجلس الأمن وذلك لضمانهم تأييد أمريكا وبريطانيا لهم ، لذلك شنوا هجوماً على الجيوش العربية في كل الجهات حتى أخرجوها من الأراضي الفلسطينية ، واستولوا على بعض الأراضي من مصر ولبنان .

وقد عمل الجنرال جلوب باشا البريطاني – الذي كان قائداً للجيش الأردني على عرقلة التعاون بين الجيوش العربية وغير خططها الهجومية المتفق عليها لتمكين اليهود من الانتصار والاستيلاء على الأماكن الإستراتيجية .

وبسبب المساعدات البريطانية والأمريكية لليهود في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية وخداع الإنجليز للعرب ، تمكن اليهود من الانتصار واحتلال كل فلسطين عدا منطقتين وهما : قطاع غزة ومنطقة غربي نهر الأردن . وقد أوكلت إدارة قطاع غزة إلى حاكم من مصر ، أما منطقة غربي نهر الأردن فقد ضمت إلى الأردن .

أما القدس فقد ظلت منقسمة بين العرب واليهود تفصل بينهم أسلاك شائكة . وفي ديسمبر ١٩٤٨م قررت الأمم المتحدة تدويل القدس وقبلت

الدول العربية هذا القرار ، ولكن إسرائيل رفضته بل تحدته وأعلنت القدس عاصمة لها .

مشكلة اللاجئين :

أدى احتلال اليهود لأرض فلسطين إلى تشريد ما يقارب المليون عربي من فلسطين . ومما هو جدير بالذكر أن اليهود حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين لم يحصلوا إلا على ١٢٪ من أرض فلسطين ، وأن بقية الأراضي الفلسطينية استولى عليها اليهود بالقوة – وهذا يعني أن الأراضي التي استولى عليها اليهود بالقوة ملك للشعب الفلسطيني من الناحية القانونية .

وقد ادعت إسرائيل أن مشكلة اللاجئين من صنع حكام العرب الذين طلبوا من الفلسطينيين ترك أراضيهم وبقائهم في مخيمات ليجعلوا منهم وسيلة لتحقيق أهوائهم . وواضح أن هذه إدعاءات كاذبة ، وقد أثبتت إحدى لجان الأمم المتحدة ذلك .

وبمرور الزمن وتعنت إسرائيل وعدم سماحها بعودة اللاجئين إلى أراضيهم ، ظلت المشكلة تتعقد رغم قرار الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٤٨م الذي قضى (بدعوة) إسرائيل للسماح بعودة اللاجئين إلى بلدهم وتعويضهم عن أملاكهم ولكن لم تجروء الأمم المتحدة على إلزام إسرائيل بتنفيذ أي قرار دولي . وكل ما قامت به منظمة الأمم المتحدة أنها شكلت لجنة دولية لإغاثة اللاجئين.

ورغم الظروف السيئة للاجئين الفلسطينيين في المخيمات ، فقد تعمقت فيهم روح الوطنية والتضحية والفداء والجهاد ، وتحولوا من لاجئين يائسين متستسلمين ينتظرون الغوث والعون ، إلى فدائيين ومجاهدين ومحاربين أشاوس جادين في تحرير أراضيهم بقوة السلاح والعودة إليها .

نتائج حرب فلسطين ١٩٤٨م :

ومن أهم نتائج حرب ١٩٤٨م وقيام دولة اليهود :

١. إدراك الشعوب العربية والإسلامية لأبعاد التآمر الاستعماري والمطامع الصهيونية في البلاد العربية بصفة عامة وفي فلسطين بصفة خاصة .

٢. إدراك الشعوب العربية لضرورة الوحدة والتكاتف لمجابهة العدو الصهيوني

الشرس .

٣. قيام الضباط السوريين والعراقيين والمصريين بتغيير الأوضاع الداخلية في بلادهم لمواجهة التحديات الخارجية ، فقامت سلسلة من الانقلابات العسكرية والثورات ، ومن أشهرها الانقلابات السورية والعراقية في الفترة ما بين ١٩٤٩م – ١٩٥٨م ، وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بمصر.

وعلى الرغم من قيام تلك الانقلابات والثورات إلا أن كفة إسرائيل ما زالت راجحة بسبب المعونات المالية والفنية والعسكرية التي تدفقت عليها من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ودول أوربا الغربية وغيرها بالإضافة لضعف منظمة الأمم المتحدة وعدم قدرتها على تطبيق قراراتها على إسرائيل، كل ذلك جعل إسرائيل تواصل بطشها بالشعب الفلسطيني ، بل وتتوسع وتسيطر على أراضي عربية من سوريا والأردن ومصر في حرب حزيران ١٩٦٧م . ومع كل وحشية إسرائيل وقتلها للفلسطينيين بأفتك الأسلحة وسجنهم وتعذيبهم ومطاردتهم وهدمها لمنازلهم وتخريبها لمزارعهم ، ظلت المقاومة الفلسطينية الباسلة في حربها ومقاومتها للعدو الصهيوني ومصممة على تحرير أراضيها المحتلة بعون الله تعالى .

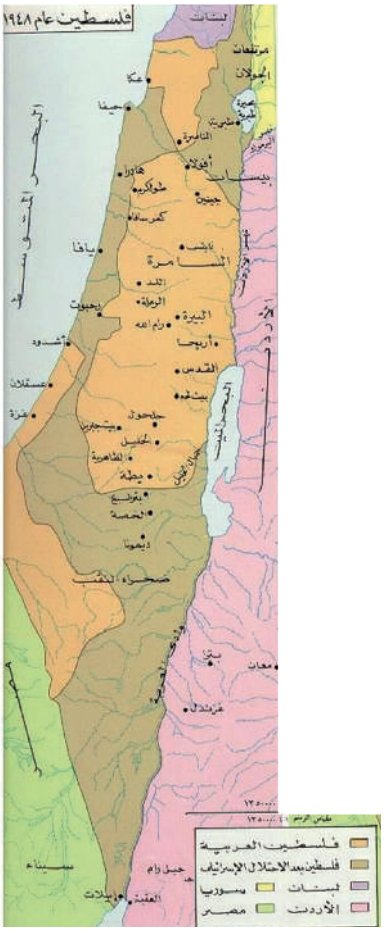

خريطة رقم (٢) فلسطين عام ١٩٤٨م

أسئلة :

١. أجب عن الأسئلة التالية باختصار :

١. وضح دور بريطانيا في دعم موقف اليهود بعد إنهاء الانتداب في ١٤ مايو ١٩٤٨م .

٢. وضح الدور الأمريكي في دعم اليهود بعد انهاء الانتداب البريطاني.

٢. رتب المعطيات التالية مع ما يناسبها في القائمة أسفله :

ديفيد بن غوربون / المنظمات الصهيونية / حرب ١٩٤٨م / الاتحاد السوفيتي / عبد القادر الحسيني

القائمة	الإجابة
١. مشكلة اللاجئين	
٢. التسليح والتدريب	
٣. جيش الجهاد الفلسطيني	
٤. الوكالة اليهودية	
الاعتراف بإسرائيل	

٣. اكتب مقالاً وافياً حول :

- حرب ١٩٤٨ ونتائجها .

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)

وفاق بين حكومة جلالة ملكة الإنجليز وحكومة الجناب العالي خديوي مصر بشأن إدارة السودان في المستقبل

حيث أن بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة الحضرة الفخمية الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية التي بذلتها بإتحاد حكومتا جلالة ملكة الإنكليز والجناب العالي الخديوي .

وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص لأجل إدارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على كل حال إلى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة ، وحيث أنه من المقتضي التصريح بمطالب حكومة جلالة الملك المترتبة على مالها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في وضع النظام الإداري والقانوني الآنف ذكره وفي إجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه في المستقبل ، وحيث أنه تراءى من جملة وجوه أصوبيه إلحاق وادي حلفا وسواكن إدارياً بالأقاليم المفتتحة المجاورة لهما ؛ فلذلك قد صار الاتفاق والإقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتي وهو :

(المادة الأولى)

تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الأراضي الكائنة إلى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي :

أولاً : الأراضي التي لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢م .

ثانياً : الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتياً ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد .

ثالثاً : الأراضي التي قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعداً .

(المادة الثانية)

يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها إلا العلم المصري فقط.

(المادة الثالثة)

تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان إلى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

(المادة الرابعة)

القوانين وكافة الأوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به من شأنها تحسين إدارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحريرها أو نسخها من وقت إلى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسري مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً تحوير أو نسخ أي قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل إلى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة وإلى رئيس مجلس نظار الجناب العالي الخديوي .

(المادة الخامسة)

لا يسري على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعداً إلا ما يصدر بإجرائه منه منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها .

(المادة السادسة)

المنشور الذي يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها يصرح للأوربيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول .

(المادة الأولى)

تعتبر ملغاة من الآن النصوص الواردة وفاقنا الرقيم ١٩ يناير سنة ١٨٩٩م التي كانت بموجبها مدينة سواكن مستثناة من أحكام النظام الذي تقرر في ذلك الوفاق لإدارة السودان في المستقبل .

تحريراً بمصر في ١٠ يولية سنة ١٨٩٩م

إمضاء	إمضاء
بطرس غالي	كرومر

ملحق رقم (٢)
السودان في معاهدة سنة ١٩٣٦م

المادة الحادية عشرة من معاهدة ١٩٣٦م وملحقها

١. مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاق جديد في المستقبل لتعديل اتفاقي ١٩ يناير و ١٠ يولية سنة ١٨٩٩م ، قد اتفق الطرفان المتعاقدان على إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام ، بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين ، مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين. والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لإدارتها في السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين ، وليس في نصوص هذه المادة أي مساس بالسيادة على السودان .

٢. وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين في السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذي يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين في الوظائف الجديدة التي لا يتوفر لها سودانيون أكفاء .

٣. يكون الجنود البريطانيون والجنود المصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلاً عن الجنود السودانيين .

٤. تكون هجرة المصريين إلى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام .

٥. لا يكون هناك تمييز في السودان بين الرعايا البريطانيين والرعايا المصريين في شئون التجارة والمهاجرة أو في الملكية .

٦. اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة في ملحق هذه المادة فيما يتعلق بالطريقة التي تصبح بها الاتفاقات الدولية سارية في السودان .

ملحق للمادة الحادية عشرة :

ما لم وإلى أن يتفق الطرفان المتعاقدان على غير ما يأتي تطبيقاً للفقرات الأولى من هذه المادة يتعين أن يكون المبدأ العام الذي يراعيانه في المستقبل بالنسبة للاتفاقات الدولية هو أنه لا تطبق على السودان إلا بعمل مشترك تقود به حكومة المملكة المتحدة وحكومة مصر وأن مثل هذا العمل

المشترك يكون لازماً كذلك إذا أريد إنهاء اشتراك السودان في اتفاق دولي منطبق عليه .

والاتفاقات التي يراد سريانها في السودان تكون على العموم اتفاقات ذات صفة فنية أو إنسانية . ومثل هذه الاتفاقات تكاد تشمل على الدوام حكماً خاصاً بالانضمام إليها فيما بعد وفي مثل هذه الأحوال تتبع هذه الطريقة لجعل الاتفاق سارياً في السودان ويجري الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وعن المملكة المتحدة كل فيما يخصه شخصان مفوضان في ذلك تفويضاً بين الحكومتين .

وفي حالة ما إذا أريد أن يطبق على السودان اتفاقاً لا يحتوي على نص خاص بالانضمام تكون طريقة تحقيق ذلك موضع تشاور واتفاق بين الحكومتين .

وإذا كان السودان بالفعل طرفاً في اتفاق وأريد إنهاء اشتراكه فيه فتشترك المملكة المتحدة ومصر في إصدار الإعلان اللازم لهذا الإنهاء .

ومن المتفق عليه أن اشتراك السودان في اتفاق ما وإنهاء ذلك الاشتراك لا يكونان إلا بعمل مشترك يجري خصيصاً بالنسبة للسودان ولا يترتبان على مجرد كون المملكة المتحدة ومصر طرفين في الاتفاق ولا على نقضهما لهذا الاتفاق .

وفي المؤتمرات الدولية التي تجري فيها المفاوضات في مثل هذه الاتفاقات يكون المندوبان المصري والبريطاني بطبيعة الحال على اتصال دائم بالنسبة لأي إجراء قد يتفقان على أنه مرغوب فيه لصالح السودان .

جزء من المحضر المتفق عليه :

١٤ . من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة أن يقدم الحاكم العام إلى حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة وإلى الحكومة المصرية تقريراً سنوياً عن إدارة السودان وأن يبلغ التشريع السوداني إلى رئيس مجلس الوزراء المصري مباشرة .

١٥ . من المتفق عليه بالإشارة إلى الفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أنه بينما يكون تعيين الرعايا المصريين في وظائف السودان الرسمية خاضعاً بالضرورة

لعدد الوظائف المناسبة الحالية ووقت خلوها ومؤهلات المرشحين المتقدمين لها فإن أحكام تلك الفقرة تسري فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة .

وتكون ترقية الموظفين في حكومة السودان إلى أية درجة كانت بدون مراعاة للجنسية وذلك بالاختيار تبعاً للجدارة الشخصية .

ومن المفهوم أيضاً أن هذه النصوص لا تمنع الحاكم العام من أن يعين أحياناً في بعض الوظائف الخاصة أشخاصاً من جنسيات أخرى إذا لم يتيسر وجود ذوي المؤهلات من الرعايا البريطانيين والرعايا المصرين أو من السودانيين .

١٦. من المتفق عليه فيما يتعلق بالفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة أنه نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب في إرسال جنود إلى السودان فإن الحاكم العام سيبادر بالنظر في أمر عدد الجنود المصرية اللازمة للخدمة في السودان والأماكن التي يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم . وسترسل الحكومة المصرية فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة ضابطاً مصرياً عظيماً يستطيع الحاكم العام استشارته في هذه الأمور .

ملحق رقم (٣)

مذكرة المؤتمر لمعالي حاكم السودان العام في أبريل سنة ١٩٤٢م

أم درمان في ٣أبريل سنة ١٩٤٣م

حضرة صاحب المعالي حاكم السودان العام

بواسطة سعادة السكرتير الإداري لحكومة السودان

يا صاحب المعالي :

يتشرف مؤتمر الخريجين العام بأن يرفع لمعاليكم بصفتكم ممثلين لحكومتي صاحبي الجلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا العظمى والملك فاروق الأول ملك مصر المذكرة التالية التي تعبر عن مطالب الشعب السوداني في الوقت الحاضر .

إن التطور العالمي وأحداث الحرب الحالية قد بعث في الشعوب ميلاً قوياً لتحقيق العدل الإنساني وحرية الشعوب كما أفصحت بذلك تصريحات الساسة البريطانيين ومواثيق رجال الديمقراطية العالميين .

والسودان كشعب من الشعوب التي تضافرت مع الإمبراطورية البريطانية في هذه الحرب منذ نشوبها قد أدرك إدراكاً صحيحاً حقوقه كشعب ينشد الحياة بعد ما يقرب من نصف قرن قضاه في أحضان حكم منظم . ومؤتمر الخريجين العام الذي يمثل الرأي العام المستنير وهو ثمرة ناضجة من ثمرات الحكم الثنائي يشعر بعظم مسؤوليته إزاء بلاده ومواطنيه جميعاً .

ولهذا يتقدم بهذه المذكرة راجياً أن تجد التقدير الذي تستحقه والترحيب الذي يطمع فيه وهو بعد واثق من أنها تعبر تعبيراً صادقاً عن ميول وأماني هذه البلاد .

١. إصدار تصريح مشترك في أقرب فرصة ممكنة من الحكومتين الإنجليزية والمصرية بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة وإحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل للسودانيين الحق في تكييف الحقوق الطبيعية مع مصر باتفاق خاص بين الشعبين المصري والسوداني .

٢. تأسيس هيئة تمثيلية من السودانيين لإقرار الميزانية والقوانين .

٣. تأسيس مجلس أعلى للتعليم أغلبيته من السودانيين وتخصيص ما لا يقل

عن ١٢٪ من الميزانية للتعليم .

٤. فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية .

٥. إلغاء قوانين المناطق المقفولة ورفع قيود الاتجار والانتقال عن السودانيين داخل السودان .

٦. وضع تشريع بتحديد الجنسية السودانية .

٧. وقف الهجرة إلى السودان فيما عدا ما قررته المعاهدة الإنجليزية المصرية .

٨. عدم تجديد عقد الشركة الزراعية بالجزيرة .

٩. تطبيق مبدأ الرفاهية والأولوية في الوظائف وذلك :

(١) بإعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلي في الحكم بتعيين سودانيين في وظائف ذات مسؤولية سياسية في جميع فروع الحكومة الرئيسية .

(٢) قصر الوظائف على السودانيين أما المناصب التي تدعو الضرورة لملئها بغير السودانيين تملأ بعقود محددة الأجل يتدرب في أثنائها سودانيون لملئها في نهاية المدة .

١٠. تمكين السودانيين من استثمار موارد البلاد التجـــــــــارية والزراعية والصناعية.

١١. وضع قانون بإلزام الشركات والبيوتات التجارية بتحديد نسبة معقولة من وظائفها للسودانيين .

١٢. وقف الإعانات لمدارس الإرساليات وتوحيد برامج التعليم في الشمال والجنوب .

هذه هي المطالب التي نرى في استجابتها إرضاء لرغبات السودانيين في الوقت الحاضر والمؤتمر يتطلع إلى معونتكم ويأمل أن يحظى بما يفيد الموافقة عليها والشروع في تنفيذها .

وتفضلوا يا صاحب المعالي بقبول فائق الاحترام .

خادمكم المطيع

إبراهيم أحمد

رئيس مؤتمر الخريجين العام

ملحق رقم (٤)
رد الحكومة على المذكرة

سيدي العزيز

كلفني صاحب المعالي الحاكم العام أن أبلغكم أنه قد اطلع على مذكرتكم المؤرخة ٣ أبريل سنة ١٩٤٢م ويلاحظ معاليه أن الكثير من مطالبكم المدونة بها يمس مباشرة مركز السودان السياسي ودستوره . إن هذا الدستور المؤسس على اتفاقية الحكم الثنائي سنة ١٨٩٩م والمعاهدة الإنجليزية سنة ١٩٣٦م، والمنفذ بموجب التشريعات الخاصة بذلك لا يمكن أن يغير إلا بعمل مشترك من قبل الدولتين المتعاقدتين . وحكومة السودان ليست مستعدة لأن تبحث في أمر تنقيح ذلك الدستور مع أية مجموعة من الأشخاص إلا أنها إذا قررت الدولتان المتعاقدتان في أي وقت إعادة النظر في الاتفاقية أو المعاهدة فحكومة السودان تأمل أن تستشير الرأي السوداني المسئول ولكن لا يمكن لحكومة السودان أن تعطي وعداً إلى أية مجموعة من الأشخاص باسم الدولتين المتعاقدتين ولا باسمها هي .

وزيادة على هذا إنكم تذكرون أن السير أنجس جيلان قال في خطابهإلى رئيس مؤتمر الخريجين العام المؤرخ ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨م أنه يكون مستعداً ليقبل من المؤتمر ما يقدمه من رسائل في المواضيع التي تقع ضمن دائرة حدوده ولاحظ السير أنجس جيلان أن المؤتمر لم يدع تمثيلاً لغير أعضائه . وإني أطلب منكم أن تعيدوا قراءة خطابي لكم المؤرخ ٣٠ -١٠ -١٩٤٠م وعلى الأخص الفقرة ١١ منه – تلك الفقرة التي قلت فيها إن مؤتمر الخريجين بدعواه تمثيل جميع السودانيين وبمحاولته تحويل صفته إلى هيئة سياسية وطنية ليس فقط يستحيل عليه أن يحتفظ بالتعاون الحكومي بل لن يكون له أمل في استمرار اعتراف الحكومة به . هذا وأن المؤتمر بتقديمه المذكرة التي هي موضوع هذا الخطاب وبالعبارات التي وردت فيها قد وقع في نفس الخطأين اللذين سبق لي أن حذرته من الوقوع فيهما وهكذا فإنه قد فقد ثقة الحكومة ولا يمكن أن تعود إلا إذا أعاد تنظيم شؤونه بحيث تكون الحكومة واثقة من أنه يحترم رغباتها ويلاحظ إنذاراتها .

ولهذه الأسباب التي دونتها آنفاً يجد صاحب المعالي الحاكم العام أنه ليس في استطاعته أن يقبل هذه المذكرة وهي لذلك مردودة إليكم .

يرغب صاحب المعالي الحاكم العام أن أضيف إلى ما تقدم أنه ومستشاروه على علم بما يحتاج إليه السودان وبالرغبة الطبيعية المشروعة التي تختلج في نفوس المستنيرين لاشتراك متزايد في حكومة بلادهم وتنميتها – ولهذه الغاية تدرس حكومة السودان وتنفذ باستمرار خططاً ترمي إلى اشتراك السودانيين اشتراكاً أوثق في إدارة شئونهم وإلى رفاهية البلاد وأهلها وتقدمهم المنظم .

على أنه يجب على المؤتمر أن يدرك أن تقرير سرعة السير في هذا الطريق هو من واجب وشأن حكومة السودان وحدها – باعتبار إلتزاماتها العظمى كوصي نحو أهل السودان وبالاستشارة مع الحليفين المتعاقدتين إذا دعت الحالة لذلك .

إن للحكومة رغبة صادقة في أن تبرهن الطبقات المتعلمة في البلاد على أنه ذات كفاءة ومقدرة لاحتلال مركزها المناسب في إدارة الشئون الداخلية. على أن أي تقدم لهذا المركز لا بد من أن يكون موضع إحراج خطير وتأخر ما لم يدرك المؤتمر نفسه في شئون الداخلية وأن يقلع عن أية دعوى صريحة أو ضمنية في تمثيل البلاد تمثيلاً عاماً – وأنها ستصر على ذلك .

وفي الختام كلفني صاحب المعالي الحاكم أن أقول إنه يأسف لأنكم رأيتم من المناسب اتخاذ هذه الخطوة المتسرعة بتقديم هذه المذكرة .

المخلص

د. نيو بلد

السكرتير الإداري

ملحق رقم (٥)

اتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان

لما كانت الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلندا (المسماة فيما بعد بحكومة المملكة المتحدة) تؤمنان إيماناً ثابتاً بحق الشعب السوداني في تقرير مصيره وفي ممارسة فعلية في الوقت المناسب وبالضمانات اللازمة فقد اتفقتا على ما يأتي :

مادة ١ :

رغبة في تمكين الشعب السوداني من ممارسة تقرير المصير في جو حر محايد ، تبدأ في اليوم المعين بالمادة التاسعة الواردة فيما بعد فترة انتقال يتوفر للسودانيين فيها الحكم الذاتي الكامل .

مادة ٢ :

لما كانت فترة الانتقال تمهيداً لإنهاء الإدارة الثنائية إنها فعلياً فإنها تعتبر تصفية لهذه الإدارة ويحتفظ إبان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير .

مادة ٣ :

يكون الحاكم العام ، إبان فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا داخل السودان ويمارس سلطاته وفقاً لقانون الحكم الذاتي بمعاونة لجنة خماسية تسمى لجنة الحاكم العام ، ويتضمن الملحق الأول لهذا الاتفاق بيان وسلطات هذه اللجنة .

مادة ٤ :

تشكل هذه اللجنة من اثنين من السودانيين ترشحهما الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما وعضو مصري وعضو من المملكة المتحدة وعضو باكستاني ترشح كلا منهم حكومته على أن يتم تعيين العضوين السودانيين

بموافقة من البرلمان السوداني عند انتخابه ويكون للبرلمان في حالة عدم موافقته حق تعيين مرشحين آخرين ، ويتم رسمياً تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية .

مادة ٥ :

لما كان الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليماً واحداً مبدأ أساسياً للسياسة المشتركة للحكومتين المتعاقدتين فقد اتفقتا على ألا يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى المادة ١٠٠ من قانون الحكم الذاتي على أية صورة تتعارض مع هذه السياسة .

مادة ٦ :

يظل الحاكم العام للسودان مسئولاً أمام الحكومتين المتعاقدتين فيما يتعلق بما يلي

(أ) الشئون الخارجية :

(ب) أي تغيير يطلبه البرلمان السوداني بمقتضى المادة ١٠١ من قانون الحكم الذاتي فيما يتعلق بأي جزء من هذا القانون .

(ت) أي قرار تتخذه اللجنة يرى فيه الحاكم العام تعارضاً مع مسئولياته وفي هذه الحالة يرفع الامر إلى الحكومتين المتعاقدتين وعلى كل من الحكومتين أن تبلغ ردها في خلال شهر واحد من تاريخ الأخطار الرسمي ، ويكون قرار اللجنة نافذاً إلا إذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك .

مادة ٧ :

تشكل لجنة مختلطة للانتخابات من سبعة أعضاء ثلاثة منهم من السودانيين يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته وعضو مصري وعضو من المملكة المتحدة وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية وعضو هندي ، ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة كل منهم . وتكون رئاسة اللجنة للعضو الهندي ، ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات الحكومتين المتعاقدتين ، ويتضمن الملحق الثاني لهذا الاتفاق بيان وظائف وسلطات هذه

اللجنة .

مادة ٨ :

رغبة في تهيئة الجو الحر المحايد اللازم لتقرير المصير ، تشكل لجنة للسودنة تتألف من :

أ.عضو مصري وعضو من المملكة المتحدة ترشح كلا منهما حكومته ثم يعينهم الحاكم العام ، وثلاثة أعضاء سودانيين يختارون من قائمة تتضمن خمسة أسماء يقدمها إليه رئيس وزراء السودان ويكون اختيار هؤلاء الأعضاء السودانيين وتعينهم بموافقة سابقة من لجنة الحاكم العام .

ب. عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة السودانية للعمل بصفة استشارية بحتة دون أن يكون له حق التصويت .

مادة ٩ :

تبدأ فترة الانتقال في اليوم المسمى «اليوم المعين» بالمادة الثانية من قانون الحكم الذاتي ومع مراعاة إتمام السودنة على الوجه المبين بالملحق الثالث لهذا الاتفاق تتعهد الحكومتان المتعاقدتان بإنهاء فترة الانتقال بأسرع ما يمكن وينبغي على أية حال ألا تتعدى هذه الفترة ثلاثة أعوام ، وتنتهي هذه الفترة على الوجه الآتي :

مادة ١٠ :

عند إعلان الحكومتين المتعاقدتين رسمياً بهذا القرار تضع الحكومة السودانية القائمة آنذاك مشروعاً بقانون لانتخاب جمعية تأسيسية تقدمه إلى البرلمان لإقراره ، ويوافق الحاكم العام على القانون بالاتفاق مع لجنته وتخضع التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير بما في ذلك الضمانات التي تكفل حيدة الانتخابات وأية تدابير أخرى تهدف إلى تهيئة الجو الحر المحايد لرقابة دولية ، وتقبل الحكومتان المتعاقدتان توصيات أية هيئة دولية تشكل لهذا الغرض .

مادة ١١ :

تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور إصدار قرار البرلمان السوداني برغبته في الشروع في اتخاذ التدابير لتقرير المصير ، وتتعهد الحكومتان المتعاقدتان بإتمام سحب قواتهما من السودان في مدى فترة لا تتعدى ثلاثة شهور .

مادة ١٢:

تقوم الجمعية التأسيسية بأداء واجبين :

الأول : أن تقرر مصير السودان كوحدة لا تتجزأ .

والثاني : أن تعد دستوراً للسودان يتواءم مع القرار الذي يتخذ في هذا الصدد، كما تضع قانوناً لانتخاب برلمان سوداني دائم .

ويتقرر مصير السودان :

(١) إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة .

(٢) وإما بأن تختار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام .

مادة ١٣ :

تتعهد الحكومتان المتعاقدتان باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان وتقوم كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

مادة ١٤ :

اتفقت الحكومتان المتعاقدتان على تعديل قانون الحكم الذاتي وفقاً للملحق الرابع لهذا الاتفاق .

مادة ١٥ :

تصبح أحكام هذا الاتفاق وملحقاته نافذة بمجرد التوقيع .

وإقراراً بما تقدم وقع المفوضون المرخص لهم بذلك من حكومتيهما هذا الاتفاق ووضعوا أختامهم عليه .

حرر بالقاهرة في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٩٥٣م عن الحكومة

المصرية .

توقيع (محمد نجيب) ختم لواء (أ . ح) عن حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا .

توقيع (رالف اسكراين ستيفنسون) ختم